قلب الأستاذ

تأليف

نَتْصُميه صُوسِكِ

سنابل للكتاب

٥ شارع صبرى أبو علم

باب اللوق - القاهرة

الإدارة:

(+202) 23 92 65 93

(+202) 01001094302

المكتبة:

(+202) 23 93 56 56

e-mail

a_mmorgan@yahoo.com

web:www.sanabil.net

المدير العام:

أحمد مرجان

قلب الأستاذ

تاليف:

نَتْصُميه صُوسِكِ

ترجمة:

أ.د. ماهر أحمد محمد الشربينى

تحرير:

عمرو عبد الهادى

تصميم الغلاف:

محمد سيد حسن

رقم الإيداع: ٢٢٨٤٥

الترقيم الدولى: 978-977-5255-09-9

الطبعة الأولى: 2014

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بالتعاون مع

مؤسسة اليابان الثقافية

JAPANFOUNDATION 国際交流基金

قلب الأستاذ

تأليف

نَتْصُميه صُوسِكِ

ترجمة عن اللغة اليابانية

أ. د. ماهر أحمد محمد الشربيني

مقدمة

فى إطار الدور الذى ألزمت به سنابل الكتاب نفسها بتقديم ترجمات عربية للأعمال الأدبية التى حققت نجاحا جماهيريا فى بلدانها عند صدورها ومازالت مجهولة نسبيا لقراء العربية خاصة أعمال كتاب أمريكا اللاتينية والشرق الأقصى، وبعد النجاح الذى حققته الطبعة العربية لرواية (الفتى الطائش) من إبداع الكاتب اليابانى الشهير نَتْصُميه صُوسِكِ، رأينا أن نضع بين أيديكم الطبعة العربية الأولى لرواية (قلب الأستاذ) وهى من أهم رواياته وأكثرها شهرة؟

ولد نَتْصُميه صُوسِكِ عام ١٨٦٧ فى العاصمة اليابانية (طوكيو) وتخرج من جامعتها من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب وعمل مدرسا بالمدارس الإعدادية والثانوية مدة، سافر بعدها فى بعثة دراسية إلى إنجلترا عام ١٩٠٠

بعد عودته إلى اليابان عمل نَتْصُميه صُوسِكِ فى صحيفة الشروق أكبر الصحف اليابانية عام ١٩٠٩ واستمر فى كتابة الروايات حتى توفى عام ١٩١٦.

الرواية هى (قلب الأستاذ).. فمن هو الأستاذ؟.. لم يفصح لنا الكاتب فلم نعرف اسمه وإن عايشناه (بشحمه ولحمه كما يقولون) منذ اللحظة التى رآه فيها الراوى (الذى لم نعرف اسمه أيضا) فى بداية الرواية وحتى نهايتها.

التقى الراوى (بالأستاذ) على شاطئ البحر المزدحم فأخذنا معه مباشرة إلى قلب العمل الروائى ليثير فضولنا لمعرفة السر الذى يخفيه الأستاذ والذى يتحكم فى كل حياته والذى سيحدد مصيره فى النهاية من خلال سعينا مع الراوى لمعرفة واكتشاف هذا السر نتعرف على أماكن وأحداث الرواية، كما نتعرف على شخوصها بأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم المتوافقة أحيانا والمتصارعة أخرى.. لأجيال وثقافات مختلفة تعيش نفس الزمن، فالراوى (الطالب الجامعى) يقف مندهشا لرؤية الأوروبى يقف مرتديا بنطالا قصيرا فقط على شاطئ البحر (أثناء جلوسى جاء كثير منهم للاستحمام فى البحر ولكنهم جميعا لم يظهروا صدورهم أو أذرعهم أو أرجلهم.. لذلك كان منظر الشخص الأوروبى الذى يرتدى بنطالا قصيرا فقط ويقف أمام الجميع منظرا عجيبا).

والأستاذ الذى يتحكم ماضيه فى أفكاره يقرر (ما هو الموقف الذى يحول الإنسان الخير إلى شرير.. المال يا صاح).

أما الأب المريض والذى لا يريد أن يعترف بمرضه (إن جسمى هو جسمى وأنا أدرى بحاله) فيتساءل (هل نعلم الأبناء كى ينفصلوا عنا؟) ويرى أن (شباب هذه الأيام يعرفون كيف ينفقون المال ولا يعرفون كيف يحصلون عليه).

(كاف) صديق الأستاذ يكتب قبل أن ينتحر (كان يجب أن أموت قبل ذلك.. لماذا عشت حتى الآن).

أما عم الأستاذ، عضو المجلس المحلى للمحافظة، وثيق الصلة بالحزب السياسى فقد سرق ميراث الأستاذ (ابن أخيه الشقيق).

ولا ينسى الكاتب وهو يعرفنا على أبطاله أن يطلعنا على المتغيرات الحضارية للأماكن (عندما تذهب إلى طوكيو المرة القادمة سوف تندهش من التغير الذى حدث فيها.. سوف ترى خطوط المترو.. وعندما يمر خط المترو فى مكان فإن طبيعة المكان تتغير وحال المدينة يتغير أيضًا.. تم عمل تقسيم إدارة جديدة للأحياء.. المدينة تعج الآن بالنشاط والحيوية والحركة ليلا ونهارا).

والآن ندعك أيها القارئ العزيز مع (قلب الأستاذ) لتعرف:

- هل يكره الأستاذ نفسه لأنه يكره البشر أم يكره البشر لأنه يكره نفسه؟
- هل الحب خطيئة؟
- هل هناك علاقة بين فكر الإنسان وماضيه؟
- هل يتحول أخيار الناس - فى وقت معين - إلى بشر أشرار؟
- هل عظماء العصور الماضية هم الأبطال الذين نعرفهم أم الذين يعاقبون الجسد من أجل السمو بالروح؟

كل هذه الأسئلة وغيرها يجيبنا عليها الرائع نَتْصُميه ضُوسِك فى روايته التى بين أيدينا مستعرضا التغيرات الفكرية والاجتماعية والعمرانية والجغرافية التى طرأت على المجتمع اليابانى مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؟

الناشر

الجزء الأول

الأستاذ وأنا

- ١ -

اعتدت أن ألقبه بـ"الأستاذ"، ولذلك سأستخدم هذا اللقب هنا ولن أُفصح عن اسمه الحقيقى، ولن أستخدم الحرف الأول منه، وهذا ليس لأننى أشعر بالحرج من ذكر اسمه، بل لأننى اعتدت هذا اللقب، سواء كان فى حديثى إليه أو الكتابة عنه.

تعرفت إلى "الأستاذ" فى مدينة "كاماكورا"، وكنت لا أزال طالبًا صغير السن، حيث وصلتنى دعوة فى الإجازة الصيفية من صديق لقضاء الصيف معًا والاستمتاع بالشاطئ، فدبرت قليلا من المال بعد أيام وقررت الذهاب إليه، ولكن عندما وصلت إلى مدينة "كاماكورا" ومكثت هناك ثلاثة أيام فقط، إذا ببرقية تأتى لصديقى تخبره بأن يعود بسرعة إلى بلدته، حيث إن أمه مريضة، ولكنه لم يصدق ما جاء بالبرقية، واستشارنى فيما يجب عليه فعله، ولم أجد فى نفسى ما أشير عليه به، فقد كانت عليه ضغوط من والديه للزواج، ولم يبلغ بعد سن الزواج، هذا بالإضافة إلى أنه لا يحب الفتاة التى اختارها له والداه، ولذلك لم يقطع إجازته بل ذهب إلى مدينة "كاماكورا" القريبة من "طوكيو"، وأرسل إلى، وبعد تفكير قرر الرجوع إلى بلدته، وتركنى وحدى.

وبما أنه ما زال هناك وقت طويل على بداية الدراسة، فمن الممكن أن أمكث فى مدينة "كاماكورا" أو أعود إلى سكنى، ولكنى قررت أن أمكث بعض الوقت فى فندق بمدينة "كامكورا". كان صديقى هذا ابنًا لرجل أعمال من مقاطعة وسط اليابان، ولذلك لم يكن يعانى عِوزًا، ولكن لم يكن مستوى معيشتنا يختلف، حيث إننا طلبة وفى نفس السن، لذا لم أكن مضطرًا إلى البحث عن فندق آخر أقل تكلفة، فقد كان الفندق فى منطقة نائية وبعيدة عن وسط مدينة "كاماكورا"، ولذلك إذا أراد أحد الاستمتاع بأشياء عصرية مثل البلياردو أو الآيس كريم، فيجب عليه السير كثيرًا بين المزارع حتى يمكنه الحصول على ذلك، وإذا ذهبت بعربة فإن الأجرة مرتفعة - عشرين ينًا - وكان هناك عدد من الفيلات المملوكة لأشخاص بالقرب من الفندق، والفندق يحتل موقعًا رائعًا، حيث يقع قريبًا جدًا من البحر.

كنت أذهب كل يوم إلى الشاطئ، وأسير بين أكواخ قديمة مصنوعة من قش ومهببة حتى أصل، حيث لا يتخيل أحد أن كثيرًا من الرجال والنساء من أهل الحضر جاءوا للتصييف فى مثل هذا المكان الضيق، ففى بعض الأحيان يكون البحر كحمام السباحة؛ لا ترى فيه إلا كثيرًا من الرؤوس السوداء، وأكون أنا وسط هذا المشهد الملىء بالحيوية ولا أعرف أحدًا، فأستمتع بالنوم على الرمال، أو ضرب الماء بقدمى.

عثرت على "الأستاذ" فى وسط هذا الزحام على الشاطئ، وكانت هناك كافيتريتان على الشاطئ، وكنت قد اعتدت الذهاب لإحداهما، حيث كان من المهم وجود مكان لزوار الشاطئ الذين لا يقطنون قريبًا

لتغيير الملابس، ففى هذه الكافيتريا يشربون الشاى ويستريحون، بجانب غسل لباس البحر والاستحمام بماء حلو لإزالة ماء البحر المالح، ووضع القبعات والمظلات وقت نزولهم البحر، وبالنسبة لى فلم أكن أملك لباس بحر لأقوم بتغييره فى هذا المكان، ولكنى كنت متخوفًا من أن يسرق أحد شيئًا منى، ولذلك كنت دائمًا أترك جميع متعلقاتى فى تلك الكافيتريا قبل نزولى البحر.

- ٢ -

عندما رأيت "الأستاذ" فى الكافيتريا، كان قد خلع ملابسه وعلى وشك نزول البحر، وكنتُ قد خرجت من البحر للتو وأقف فى اتجاه الريح لأجفف جسمى، وكان يمنع تلاقى أعيننا عدد غفير من الأشخاص الذين كانوا يتحركون فى المسافة التى بينى وبينه، واختفى "الأستاذ" عن ناظرى، وعلى الرغم من أن الشاطئ كان مكتظًا بالبشر وكنت فاقد التركيز، استطعت أن أعثر عليه بسرعة، وذلك لأنه كان بصحبة شخص أوروبى.

جذبت انتباهى البشرة الناصعة البياض للشخص الأوروبى، سواء وهو فى الكافيتريا أو خارجها، وكان يرتدى زيًّا يابانيًا، فخلع الزى ووضعه على مقعد بجانبه، ووقف وعقد يديه ونظر ناحية البحر، كان يرتدى بنطالا قصيرًا مثل الذى نرتديه، ولا يرتدى شيئًا آخر، وأثار هذا دهشتى، وكنت قبل ذلك بيومين قد ذهبت إلى شاطئ "يويجاهاما" وجلست القرفصاء فوق الرمال أتابع لمدة طويلة الأوروبيين كيف يسبحون، وكنت أجلس أعلى هضبة صغيرة بجوار

المدخل الخلفى للفندق، وفى أثناء جلوسى جاء كثير منهم للاستحمام فى البحر ولكنهم جميعًا لم يظهروا صدورهم وبطونهم أو أذرعتهم أو أرجلهم، وكانت النساء بالطبع يملن إلى إخفاء أجسادهن، وكن يرتدين أغطية رأس مطاطية بألوان كستنائى وأزرق داكن وأزرق فاتح ويظهرن بين الأمواج، ولذلك كان منظر الشخص الأوروبى الذى يرتدى بنطالا قصيرًا فقط ويقف أمام الجميع بهذا المظهر، منظرًا عجيبًا.

وبعد وقت قصير نظر ذلك الأوروبى إلى اليابانى الذى بجواره وقال له كلمات، وكان اليابانى ينحنى ليلتقط منشفة كانت قد سقطت منه فوق الرمال، ثم غطى اليابانى رأسه بالمنشفة وسار نحو البحر، وكان ذلك اليابانى هو "الأستاذ".

وبدافع الفضول نزلت إلى الشاطئ وسرت خلف الاثنين وظللت أتابعهما، وإذا بهما يسيران فى خط مستقيم ويدخلان البحر وسط الأمواج، ومرا وسط الناس الذين يمرحون قرب الشاطئ فى المياه الضحلة، ووصلا إلى منطقة واسعة وخالية من الناس فسبحا، وظلا يسبحان إلى أن ظهر رأساهما صغيرين، ثم رجعا فى خط مستقيم ناحية الشاطئ، ودخلا الكافيتريا ولم يستحما من مياه البئر ليزيلا الماء المالح، بل جففا جسميهما بالمنشفة ثم ارتديا ملابسهما وتركا المكان بسرعة.

بعد أن غادرا المكان، ذهبتُ إلى المقعد الذى كان يجلس عليه ذلك الأوروبى. جلست ودخنت سيجارة. شردت بذهنى فى "الأستاذ"، قلت لنفسى لقد رأيته قبل ذلك فى مكان ما، ولكنى لم أستطع أن أتذكر أين ومتى قابلته.

كنت فى ذلك الوقت أشعر بالملل أكثر من شرودى، ولذلك ذهبت فى اليوم التالى إلى الكافيتريا فى الوقت الذى رأيت فيه "الأستاذ" بالأمس، وانتظرت مجيئه، جاء بمفرده وهو يرتدى قبعة من القش، أمسك نظارته ثم وضعها فوق المنضدة، ولف رأسه بمنشفة، ثم سار بسرعة إلى الشاطئ، وفعل مثلما فعل بالأمس؛ حيث مر من بين كثير من المصطافين وبدأ فى السباحة بمفرده، وحينها شعرت برغبة فى اللحاق به، ونزلت إلى البحر وعندما وصلتُ إلى مكان عميق سبحت كالكلاب قاصدًا الوصول إليه، وإذا به يسبح فى اتجاه مختلف عن الأمس، حيث سبح فى اتجاه نصف دائرى ثم بدأ فى العودة إلى الشاطئ من جهة أخرى، ولذلك لم أستطع الوصول إليه، فعدت إلى الشاطئ. دخلت الكافيتريا وأنا أنفض يدى من المياه، وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه، وهو فى طريقه إلى الخروج من الكافيتريا.

- ٣ -

فى اليوم التالى، وفى نفس الوقت ذهبت إلى الشاطئ حيث رأيت الأستاذ. وفعلت الشىء نفسه فى اليوم الذى تليه، ولم تكن هناك فرصة للحديث أو إلقاء التحية، وعلاوة على ذلك كانت تصرفاته توحى بأنه غير اجتماعى، فكان يأتى فى موعد محدد ثم يرحل متجاهلا الجميع، ولم يكن يلتفت إلى ما يدور حوله مهما حدث. فى أول مرة جاء بصحبة ذلك الأوروبى، وبعد ذلك كان يأتى بمفرده.

وفى إحدى المرات، عندما خرج الأستاذ من البحر كالعادة ذهب مسرعًا ليرتدى ملابسه، ولكن لسبب ما كانت الملابس مغطاة بالرمال،

فنظر خلفه ونفض الملابس عدة مرات لكى يُسقط ما عليها من رمال، فإذا بالنظارة التى كانت موضوعة تحت الملابس قد سقطت من بين فتحات المقعد، وقد انتبه إلى ذلك بعد أن ارتدى جلبابه الأبيض وارتدى فوقه قماطًا، فبدأ فى البحث عن النظارة، فأدخلت رأسى ويدى تحت المقعد والتقطتها، فأخذها من يدى وشكرنى.

فى اليوم التالى قفزت فى البحر بعد أن قفز الأستاذ، ثم سبحت معه فى الاتجاه الذى سبح فيه، وبعد نحو مائتى متر، التفت إلىّ وكلمنى، ولم يكن يطفو على سطح البحر الأزرق الواسع غيرنا، وكانت الشمس الساطعة تضىء بأشعتها البحر والجبال فى الأفق، فشعر جسدى بالحرية والسعادة وانطلقت فى الماء، وتوقف عن تحريك يديه ورجليه وسبح على ظهره ثم نام فوق الأمواج، وفعلت أنا الشىء نفسه. كانت السماء تتلألأ وبهر لونها الأزرق عينىّ فقلت بصوت عالٍ:

- "يا لها من سعادة غامرة أشعر بها".

وبعد فترة اعتدل وكأنه يقوم من نومه وقال لى محفزًا:

- "ألا نعود إلى الشاطئ؟".

وبما أننى قوى البدن، مقارنة به، فكنت أود المرح فى البحر وقتًا أكثر من ذلك، ولكن بما أن الأستاذ قال نرجع فليكن، ووافقته بترحاب، فرجعنا سابحين فى الاتجاه نفسه الذى أتينا منه إلى أن وصلنا إلى الشاطئ.

ومنذ ذلك أصبحت أنا والأستاذ صديقين، ولكنى لم أعلم أين يقيم، وبعد ذلك بثلاثة أيام وفى وقت العصر قابلته فى الكافيتريا،

قال لى:

- "هل ستمكث هنا طويلاً؟".

ولم أكن قد فكرت فى ذلك، ولا رتبت ذهنى للإجابة عن هذا السؤال، فقلت:

- "لا أعلم إذا كنت سأمكث طويلاً أم لا".

ضحك لما قلت فشعرت بالإحراج، ولم أستطع إلا أن أسأله:

- "وهل سوف تمكث يا أستاذ طويلاً؟".

وكانت هذه هى أول مرة أناديه "يا أستاذ".

وفى مساء ذلك اليوم ذهبت إلى زيارته فى الفندق الذى ينزل فيه، وكان مبنى الفندق يختلف عن مبانى الفنادق الأخرى، فكان مثل الفيلا تحيط به حديقة واسعة، ولم تكن عائلته تنزل فى ذلك الفندق، ولم يكن له أى علاقة بنزلاء الفندق. ناديته: "يا أستاذ" ابتسم ابتسامة يبدو عليها الضيق، ووضحت له أننى اعتدت أن أنادى الأكبر منى سنًا هكذا، وسألته عن الشخص الأوروبى الذى كان معه، فحدثنى عن تصرفاته الغريبة وأنه غادر مدينة "كاماكورا" الآن، وقال إنه يتعجب من نفسه أن يكون له صديق أوروبى رغم أنه ليس له أصدقاء يابانيون، وقبل أن أتركه قلت له إننى أعتقد أننى رأيته قبل ذلك، ولكنى لا أتذكر أين، وظننت أنه سيكون لديه نفس الشعور وسيقول "وأنا أيضًا"، فصمت قليلاً وقال:

- "لا أعتقد أننى رأيتك قبل ذلك، بالتأكيد أنت رأيت شخصًا آخر لا أنا".

فشعرت بخيبة أمل.

- ٤ -

فى نهاية الشهر تركت "كاماكورا" ورجعت إلى طوكيو، وكان الأستاذ قد عاد أيضًا إلى منزله قبل ذلك بكثير، وقبل رحيله قلت له:

- "هل من المكن أن أزورك فى منزلك بعد ذلك من حين لآخر؟".

- "نعم، تفضل".

وبما أننا أصبحنا صديقين فكنت أتوقع منه إجابة أكثر ترحابًا من ذلك، لذا شعرت أن إجابته الباردة هذه قد جرحت كبريائى.

وكثيرًا ما خاب أملى فيه بسبب التصرفات الباردة، وأحيانًا كان يبدو عليه أنه انتبه إلى أن تصرفاته معى باردة، وأحيانًا أخرى لا، وعلى الرغم من أن تصرفاته الباردة هذه تكررت فإن هذا لم يجعلنى أفكر فى الابتعاد عنه، بل على العكس، فى كل مرة كان يتصرف ببرود كنت أزداد رغبة فى التقرب منه، وكلما تقربت منه خالجنى إحساس بأنه سوف يغير تصرفاته معى يومًا ما. كنت بعد صغيرًا ولذلك لم تصل مشاعرى إلى جميع الناس بسهولة، ولم أكن أعلم لماذا أكنّ تلك المشاعر له وحده، وأدركت السبب لأول مرة فى اليوم الذى توفى فيه، فلم يكن يكرهنى ولم تكن تصرفاته وكلامه البارد دليلا على أنه يريد أن يبعدنى عنه، بل ليقول لى: 'لن ترضى بى صديقًا"، إنه كان يتألم نفسيًا وكان يتصرف ويتكلم ببرود لكى يحذر الآخرين الذين يريدون التقرب منه ويقول لهم: "توقفوا فأنا إنسان ليست لى قيمة لكى تحاولوا التقرب منى"، فكان يبدو

عليه أنه لا يواد أحدًا لأنه كان لا يتقبل نفسه، وبالتالى يرى أن الآخرين لن يتقبلوه.

رجعت إلى طوكيو وكان فى نيتى أن أقابله، وكان قد بقى أسبوعان على بدء الدراسة، ففكرت أن أزوره، ولكن بعد عودتى من "كاماكورا" بعدة أيام بدأت رغبتى فى زيارته تقل، بالإضافة إلى أن صخب مدينة طوكيو حال بينى وبين استرجاع ذكريات "كاماكورا" وجعلنى مشتت الذهن، فعندما كنت أرى الطلاب كنت أفكر فى عودة الدراسة برغبة فيها وبقلق منها، لكل هذا نسيت لفترة التفكير فى "الأستاذ".

بعد مضى شهر على بداية الدراسة شعرت بنوع من الاسترخاء، وبدأت حياتى تسير كالعادة وشعرت أن هناك شيئًا ينقصنى، وبدأت أذرع حجرتى وكأننى أبحث عن شىء، فقد ظهرت فى مخيلتى مرة أخرى صورة الأستاذ، وشعرت برغبة فى لقائه.

أول مرة ذهبت فيها إلى منزل "الأستاذ" لم أجده. والمرة الثانية كانت فى يوم من أيام الأحد، وكان الجو جميلا والسماء صافية، ولم أجده أيضًا، وتذكرت أنه عندما كنت فى "كاماكورا" قال لى إنه موجود فى المنزل دائمًا، لأنه يكره الخروج، فشعرت بالضيق أن أحضر مرتين ولا أجده. ووقفت أنظر إلى الخادمة التى أعطيتها بطاقة تعارفى فى المرة الأولى ولا أدرى ماذا أفعل. تركتنى الخادمة عند الباب ودخلت المنزل، ثم حضرت زوجته.

كانت سيدة جميلة.. قالت فى أدب جم إنه تعود أن يأخذ زهورًا ويذهب فى هذا اليوم من كل شهر إلى زيارة المقابر فى

منطقة "ظوشيجايا"، وأنها تشعر بالأسف لحضورى دون مقابلته، وأضافت:

- "لقد خرج منذ نحو عشر دقائق".

أحنيت لها رأسى محييًا وفكرت فى الذهاب إلى المقابر، فأنا أحب المشى، وسوف أسير ناحية المدينة العامرة بالحركة والنشاط، كما أنه كان يراودنى أمل أن أتمكن من مقابلته. استدرت وبدأت فى المشى.

دخلت من الناحية اليسرى لحقل به بذور كان أمام منطقة المقابر، وسرت فى طريق واسع على جانبيه شجر "القيقب" إلى أن وصلت إلى نهايته، وإذا بالأستاذ يخرج من مقهى قريب فى نهاية الشارع، فاقتربت منه وكان ضوء الشمس يلمع على إطار نظارته، ناديته بصوت عالٍ:

- "يا أستاذ".

فتوقف فجأة ونظر إلىّ وهتف قائلا:

- " مَن؟ مَن؟".

قالها بطريقة غريبة وسط صمت الظهيرة، فلم أعرف كيف أرد، ثم قال:

- "هل سرت خلفى؟ كيف عرفت مكانى؟".

كان يتحدث وهو هادئ وكان صوته رخيمًا، ولكن وجهه كان متجهمًا وكأنه يضمر شيئًا.

شرحت له كيف علمت مكانه، فقال:

- "هل قالت لك زوجتى اسم الشخص الذى حضرت لزيارة قبره؟".

- "لا، لم تذكر شيئًا عن هذا".

- "نعم، من الطبيعى ألا تقول لك، فهذه أول مقابلة لها معك وبالتالى لن تقول لك، فليس هناك أهمية لقول ذلك لك".

اقتنع أخيرًا بما قلت، ولكنى لم أفهم مغزى كلامه.

سرنا وسط المقابر لكى نخرج إلى الشارع. كانت هناك مقابر مكتوب عليها "إليزابيث..." و"لوجن خادم الرب".. وبجانب ذلك أعمدة مكتوب عليها كتابات دينية مثل "كل المخلوقات سوف تعود إلى خالقها"، وأيضًا كانت هناك مقبرة مكتوب عليها "وزير مفوض"، ووقفت أمام مقبرة عليها نقش، سألته عن اسم لا أستطيع قراءته فقال لى "أندريه"، وهو يتصنع الابتسام.

يبدو أن الأستاذ لم يرَ أن العادات المختلفة التى تعبر عنها شواهد القبور شىء يدعو إلى الضحك أو التهكم مثلما كنت أرى، فكنت أشير إلى شواهد قبور دائرية الشكل وأخرى مستطيلة وأعلق عليها بسخرية، وكان يستمع إلى تعليقاتى صامتًا، وقال لى:

- "يبدو أنك لم تفكر بجدية فى حقيقة الموت".

فصمتُ، ولم يتكلم هو بعد ذلك.

وفى ممر وسط المقابر كانت هناك شجرة جنكو كبيرة جدًا تكاد تحجب السماء، وعندما وصلنا تحتها، نظر إلى قمة الشجرة وقال:

- "فى القريب العاجل سوف تكون هذه الشجرة جميلة المنظر، حيث سيتغير لون أوراقها إلى اللون الأصفر وتتساقط

فيصبح المكان ذهبيًا".

الأستاذ تعود أن يمر تحت هذه الشجرة مرة كل شهر.

بالقرب من الشجرة كان هناك رجل يقوم بتسوية الأرض لعمل قبر جديد، وعندما رآنا ترك الفأس التى فى يده ليستريح، واتجهنا يسارًا وسرنا قيلاً حيث وصلنا إلى الطريق الرئيسى.

وبما أننى لم أكن أفكر فى الذهاب إلى مكان بعينه فقد مشيت مع الأستاذ حيثما مشى، وكان قليل الكلام عن كل مرة قابلته فيها، ومع ذلك لم أشعر بالضيق من ذلك. قلت له:

- "هل ستعود إلى منزلك مباشرة؟".

- "نعم، لن أذهب إلى مكان آخر".

وسرنا صامتَين حيث نزلنا منحدرًا ناحية الجنوب، فقلت:

- "هل مقابر أسرتك فى منطقة المقابر التى كنا فيها الآن؟".

- "لا".

- "فيها مقبرة من؟ أحد أقاربك؟".

- "لا".

ولم يتكلم، وتوقفت أنا عن الحديث عن المقابر، وبعد أن سرنا نحو مائة متر، رجع إلى موضوع المقابر وقال:

- "فى منطقة المقابر تلك يوجد قبر صديق لى".

- "وهل تزور قبر صديقك مرة كل شهر؟".

- "نعم".

ولم يتكلم أكثر من هذا.

بعد ذلك اليوم أصبحت أذهب لزيارة الأستاذ من حين لآخر، وكلما ذهبت وجدته، وكلما زرته شعرت برغبة فى زيارته أكثر، ولكن معاملته لى لم تتغير منذ أن قابلته أول مرة وحتى بعد أن أصبحت بيننا علاقة ود، فكان دائمًا هادئًا ولا يتكلم كثيرًا، وفى بعض المرات كان هادئًا وصامتًا أكثر من اللازم، لدرجة أنه كان يبدو عليه الشعور بالوحدة. ومنذ البداية شعرت أن هناك شيئًا غريبًا يؤدى إلى صعوبة التقرب منه، ولكن فى الوقت نفسه كان عندى شعور قوى بالرغبة فى التقرب منه، ولا أعلم إذا كان الجميع قد شعروا تجاهه مثل ما شعرت، أم أننى وحدى من شعر بذلك، ولكن أنا فقط من استطاع أن يثبت أن ما شعرت به تجاهه حقيقة، فإذا قال لى البعض إنك صغير على إثبات ذلك أو سخروا منى وقالوا إننى أحمق، فإننى سعيد وفخور بأن ما شعرت به تجاه الأستاذ اتضح بعد ذلك أنه كان حقيقة، فقد كان غير قادر على تقبل حب الآخر بإخلاص.

وكما قلت كان دائمًا هادئًا، وكأنه يشعر بسلام داخلى، ومع ذلك كان وجهه يتجهم فى بعض الأحيان، ولكن ذلك التجهم كان يزول بسرعة، وقد لاحظت تجهمه عندما كنا فى منطقة مقابر "ظوشيجايا" وناديت عليه فجأة دون أن يتوقع هو أن شخصًا سيناديه، فقد اضطربت دقات قلبى لدقائق، ثم نسيت تجهمه، ولكنه جال فى خاطرى فجأة فى إحدى ليالى بداية الصيف.

وبينما كنت أتحدث معه، تخيلت شجرة الجنكو العملاقة،

وبحساب اليوم الذى يذهب فيه كل شهر لزيارة المقابر يتضح أنه سوف يكون بعد ثلاثة أيام، وهذا اليوم يوم مريح بالنسبة لى؛ لأن الدراسة تنتهى فى قت الظهر، فقلت له:

- "هل سقطت جميع أوراق شجرة الجنكو الموجودة فى منطقة مقابر ظوشيجايا؟".

فقال وهو يحملق فى وجهى:

- "أكيد لم تسقط جميع أوراقها بعد".

وظل بعد ذلك ينظر إلى وجهى طويلاً، فقلت:

- "هل تسمح لى بمصاحبتك إلى زيارة القبر فى المرة القادمة؟ أريد أن أتنزه هناك".

- "أنا أذهب هناك من أجل زيارة القبر لا من أجل التنزه".

- "ولكن أليس من الجميل أن نستغل فرصة زيارة القبور ونقوم بعد ذلك بالتنزه؟".

لم يعلق على ما قلت، وبعد قليل قال:

- "إن هدفى الوحيد من الذهاب إلى القبر هو زيارته فقط".

وكأنه يريد أن يقول يجب التفرقة بين زيارة المقابر والتنزه، ولا يصح فعلهما معًا، فشعرت أنه لا يريد أن أذهب معه إلى زيارة المقابر، وشعرت بشعور غريب نحوه؛ شعرت أنه كالأطفال فى تصرفاته، ولكنى مع ذلك أحسست بالرغبة فى الاستمرار فى الحديث فى الموضوع نفسه، فقلت:

- "حسنًا، إذا كنت ستذهب لزيارة القبر فقط، فأرجو أن تصطحبنى معك".

وفى الحقيقة أننى لا أجد أهمية للتفرقة بين زيارة القبر والتنزه. وفجأة وجدت وجهه يتجهم، ونظراته غريبة، تدل على قلق يصاحبه شعور بالضيق أو الكره أو الرعب، وَتذكرت اللحظة التى ناديت فيها عليه فجأة عندما ذهبت للبحث عنه فى منطقة "ظوشيجايا"، فقد كان منظر وجهه المتجهم ونظراته وقتها وما أراه الآن متشابهين تمامًا. قال:

- "لدى أسباب تجعلنى لا أريدْ أن أصطحب أحدًا معى لزيارة القبر، لدرجة أننى لم أصطحب زوجتى معى قط إلى هناك".

- ٦ -

تعجبت مما قال، ولكنى لم أكن أذهب إلى منزله باعتباره حالة أقوم بعمل بحث حولها، بل كل ما فعلته أننى تماديت بعض الشىء فى الحديث عن اصطحابه لى عند زيارته المقابر. وعندما أفكر فى ذلك الآن أرى أن تصرفى فى ذلك الوقت كان تصرفًا من أفضل التصرفات فى حياتى، فقد وضَّح لى تصرفى فى ذلك الموقف بأن علاقتى به كإنسان وصلت إلى صداقة، فلو كان اهتمامى بمشاعره هدفها البحث، لكان الخيط الذى يربط بيننا انقطع، وبما أننى كنت صغيرًا فلم أكن أفهم لماذا أتصرف هكذا، ولكن ربما السبب فى ذلك هو الاحترام الذى أكنه له، ولكن إذا كنت قد أخطأت لكان ذلك أثَّر سلبًا على علاقتى به تأثيرًا كبيرًا، شىء يجعلنى أرتجف حتى فى حالة التفكير فيه، وكان يشعر بالرعب من أننى أقوم بدراسته كحالة دراسية، ولذلك كان ينظر إلىّ ببرود.

أصبحت أزوره مرتين أو ثلاثًا شهريًا، وعندما تعودت قدماى الذهاب إلى منزله، فإذا به يسألنى ذات مرة:

- "لماذا تحضر إلى منزل شخص مثلى؟".

- "لماذا؟! ليس لسبب معين، هل تشعر بالضيق من حضورى؟".

- "لم أقل إن حضورك يضايقنى".

ولم ألاحظ من تصرفاته أن زيارتى له تضايقه، وكنت أعلم أن عدد أصدقائه قليل جدًا، وأن من كانوا أصدقاءه فترة أن كان طالبًا ويعيشون فى طوكيو الآن عددهم اثنان أو ثلاثة، وأنهم أحيانًا يأتون إلى منزله، ولكنهم ليسوا على علاقة ود به مثلى.

قال:

- "أنا إنسان يشعر بالوحدة والحزن، ولذلك أشعر بالسعادة عندما تحضر، ولكنى أسألك لأعرف سبب زيارتك".

- "لماذا فى رأيك؟".

لم يُجب، ولكنه نظر فى وجهى وقال:

- "ما عمرك؟".

كانت أسئلته هذه بالنسبة لى غير واضحة الأهداف، ولذلك لم أجب عنها ولم أستمر فى المحادثة، وآثرت أن أعود إلى مسكنى، ولكن بعد أربعة أيام ذهبت إلى منزله، وعندما قابلنى ضحك وقال:

- "لقد جئت مرة أخرى".

فضحكت أنا أيضًا وقلت:

- "نعم لقد جئت مرة أخرى".

ولو قال لى أحد آخر ذلك لشعرت بالضيق، ولكن عندما قالها لى شعرت بعكس ذلك؛ شعرت بالفرحة.

قال مرة أخرى فى تلك الليلة:

- "أنا إنسان يشعر بالوحدة".

وأضاف:

- "وربما أنت كذلك، إنسان يشعر بالوحدة، أليس كذلك؟ ولكن لأنى رجل مسن فلا أستطيع الخروج من المنزل كثيرًا والذهاب هنا وهناك رغم أننى أشعر بالوحدة، ولكنك ما زلت صغيرًا وتستطيع الخروج من المنزل كثيرًا والتنقل بحرية، فيجب أن لا تكون مثلى، تحرك واخرج كثيرًا على قدر المستطاع، فعندما تتحرك وتخرج سوف تقابل أشخاصًا آخرين يجعلونك لا تشعر بالوحدة، ألا تريد فعل ذلك؟".

- "أنا لا أشعر بالوحدة على الإطلاق".

- "إن أكثر من يشعرون بالوحدة هم الشباب، وإذا لم تكن تشعر بالوحدة فلماذا تحضر إلى منزلى؟".

وكرر ما قاله سابقًا:

- "لماذا تحضر إلى منزلى؟".

ثم ضحك ضحكة تدل على الشعور بالوحدة والحزن، وقال:

- "أكيد أنك تشعر بالوحدة وأنت معى، فليس عندى القدرة على أن أزيل شعورك هذا، أعتقد أنه يجب عليك أن تبحث عن شخص آخر تأتنس به، بالتأكيد سوف لن تحضر إلى منزلى بعد ذلك".

ولحسن الحظ فإن ما توقعه لم يحدث، فأنا كنت صغير السن وقتذاك، ولذلك لم أستطع إدراك أهمية ما قاله، واستمررت فى زيارته كما كنت أفعل من قبل، ثم أصبحت العلاقة أعمق، حيث أصبحت أجلس إلى مائدة طعام منزله وأتناول معه الطعام، ونتيجة طبيعية لذلك كنت أتحدث مع زوجته. كإنسان عادى، فأنا لست باردًا مع النساء، ولكن أنا شاب صغير وليست لى خبرة فى الحياة، ولذلك لم تكن عندى فرصة لإقامة علاقات عاطفية عميقة مع النساء، ولا أعرف أكان هذا سببًا أم لا، ولكن اهتمامى بالنساء كان يقتصر فقط على النظر إليهن، وعندما قابلت زوجة الأستاذ عند باب منزله رأيت أنها جميلة، ولم يتغير رأيى فيها عندما كنت أقابلها بعد ذلك، وليس عندى ما أقوله عنها أكثر، ولكن ذلك لا يرجع إلى أنها ليس لها ما يميزها، بل يرجع إلى عدم وجود فرصة للتعرف على ما يميزها، ولكنى كنت أتعامل معها على أساس أنها جزء منه، وكانت هى تعاملنى بلطف باعتبارى طالبًا يأتى لزيارة زوجها، ولذلك إذا أزلنا صلة الوصل التى بيننا، وهى الأستاذ، فلن يكون بينى وبينها صلة، ولذلك لم أكن أشعر تجاهها بأى مشاعر غير أنها جميلة فقط.

وفى إحدى المرات شربت خمرًا فى منزله، وجاءت زوجته وجلست بجوارى، وكان يبدو سعيدًا أكثر من بقية الأيام، فقال لزوجته:

- "خذى أنت أيضًا كأسًا من الخمر".

ثم أعطاها كأس الخمر التى كان يشرب منها، ورفضتْ فى البداية ولكنها أخذت الكأس التى قدمها لها على مضض، ونظرت إلىّ بأهدابها الجميلة، فملأت لها نصف الكأس، فرفعته إلى مقدمة شفتيها، ثم دار حوار بينهما:

- "نادرًا ما تطلب منى شرب الخمر، أليس كذلك؟".

- "هذا لأنك تكرهين الخمر، ولكن من الأفضل شرب الخمر من حين إلى آخر، هذا سيشعرك بالسعادة".

- "لا أشعر بالسعادة إذا شربت الخمر، ولكنك تبدو الآن سعيدًا جدًا، فعندما تشرب قليلا من الخمر تصبح سعيدًا جدًا".

- "أحيانًا أصبح سعيدًا جدًا عندما أشرب الخمر، ولكن ليس دائمًا".

- "ما رأيك فى هذه السهرة؟".

- "سهرة جميلة".

- "ما رأيك أنه من الآن فصاعدًا تشرب كل يوم قليلا من الخمر؟".

- "يجب ألا أفعل ذلك".

- "احتسِ الخمر، لأنها سوف تجعلك لا تشعر بالحزن".

دائمًا يكون الأستاذ فى المنزل مع زوجته والخادمة، وكلما ذهبت إلى المنزل وجدته هادئًا وكأنه لا أحد يسكنه، ولم أسمع فيه قط أصوات ضحكات عالية، وأحيانًا كنت أشعر بأننى والأستاذ فقط فى المنزل.

نظرت زوجته إلىّ وقالت:

- "لو كان عندنا طفل لكنا سعداء".

- "فعلاً".

ولكنى لم أتفق معها فيما قالته، حيث إننى لم يكن لى أطفال وكنت أرى أن الأطفال شيء مزعج.

فقال لزوجته:

- "هل أتبنى لك طفلا؟".

فنظرت الزوجة إلىّ وقالت:

- "لا أريد تبنى طفل".

فقال:

- "نحن لا نستطيع إنجاب طفل أبدًا مهما حاولنا".

صمتت الزوجة، فقلت:

- "لماذا لا تستطيعان؟".

فقال الأستاذ ضاحكًا بصوت عالٍ:

- "عقاب من الله".

- ٨ -

وعلى قدر ما استطعت معرفته، فإن الأستاذ وزوجته تربطهما علاقة جيدة، ولأنى لم يسبق لى أن عشت كعضو فى أسرة فلا أستطيع أن أفهم جيدًا مدى عمق علاقتهما، ولكن عندما أكون جالسًا معه فى حجرة استقبال الضيوف لم يكن يطلب من الخادمة شيئًا، بل يطلبه من زوجته "شيزو"، فكان يوجه وجهه ناحية الباب وينادى:

- "يا شيزو".

وكانت طريقة ندائه لها تدل على أنه يحبها، وكذلك كان ردها عليه، وعندما كنت أتناول الطعام معهما كانت تتضح بصورة أكبر علاقة الحب تلك التى تربط بينهما.

كان فى بعض الأحيان يصطحب زوجته إلى الحفلات الموسيقية والمسارح، وأتذكر أنه اصطحبها مرتين أو ثلاثًا فى رحلات، كل رحلة مدتها أسبوع. ذهبا إلى مدينة "هاكونيه" وأرسلا لى بطاقة بريدية، وذهبا إلى مدينة "نقو" وأرسلا لى خطابًا من هناك بداخله ورق أشجار ملون من أشجار تلك المدينة.

وهكذا كنت أرى العلاقة بينهما، ولكن كان هناك استثناء؛ فقد حدث ذات مرة من مرات زيارتى له، أنه عندما وقفت فى مدخل المنزل وكنت على وشك أن أنادى على أحد يستقبلنى لكى أدخل حجرة الضيوف، سمعت صوت من يتحدث فى حجرة الضيوف، وعندما أنصت جيدًا، وجدت أن الكلام لم يكن عاديًا، بل كان شجارًا، وكانت حجرة الضيوف تقع بعد المدخل مباشرة، وكنت أقف فى المدخل أمامها، فاستطعت أن أستمع إلى الشجار وأفهم محتوى الكلام، وقد كان أحد طرفى الشجار رجلا وصوته عاليًا، واستطعت أن أميز أن ذلك الصوت هو صوت الأستاذ، وكان صوت الطرف الآخر منخفضًا فلم أستطع أن أميزه فى البداية، ولكنى بعد أن أنصت جيدًا وجدته صوت زوجته، فوقفت فى المدخل لا أعرف ماذا أفعل، ولكنى قررت فى الحال أن أعود إلى مسكنى دون أن أنادى.

شعرت بضيق مما حدث، مما جعلنى أفقد قدرتى على فهم الكتاب الذى كنت أقرأه، وبعد ساعة جاء الأستاذ أسفل النافذة وناداني، فاندهشت وفتحت النافذة، فإذا به يقول إنه أراد أن يتنزه ويدعونى للنزهة معه، وكنت ما زلت مرتديًا ملابس الخروج حيث لم يمر وقت طويل على عودتى من أمام منزله.

وفى تلك الليلة شربنا معًا الجعة، وكان مقلا فى شرب الخمر، فلم يكن من النوع الذى يشرب إلى أن يسكر.

ابتسم بضيق وقال:

- "لا أشعر اليوم بشعور جيد".

فقلت وأنا حزين على حاله:

- "شربتَ الجعة ولكنك لم تشعر بالسعادة؟".

كنت أفكر فيما حدث بينه وبين زوجته، وكنت أتألم كأن شوكة تقف فى حلقى، وكنت مترددًا وقلقًا ولا أستطيع أن أعرف ماذا أفعل، هل أفتح معه الموضوع أم من الأفضل ألا أفعل؟

قال:

- "أنت الليلة تبدو على غير عادتك وكأن شيئًا ما حدث لك، وفى الواقع أنا أيضًا على غير عادتى، هل لاحظت ذلك؟".

ولكننى لم أجب، فقال:

- "فى الواقع لقد تشاجرت مع زوجتى منذ قليل، فغضبت ولم يكن هناك داع لذلك".

- "لماذا...؟".

- "زوجتى تسىء فهمى، وحتى عندما أشرح لها سوء الفهم

فإنها لا تقتنع بكلامى، ولذلك غضبت دون نية لذلك".

- "تسىء فهمك فى ماذا؟".

لم يجب عن سؤالى وقال:

- "لو كنت كما تعتقد زوجتى، لما عانيت هكذا".

ومعاناة الأستاذ بالنسبة لى مشكلة لا أعلم إلى أى مدى تكون خطيرة.

- ٩ -

عند عودتنا سرنا مسافة نحو مائتى متر فى صمت، قال فجأة:

- "لقد أخطأت، فلقد غضبت وتركت زوجتى وخرجت، وبالتأكيد أنها قلقة علىّ، زوجتى ليس لها أحد تعتمد عليه غيرى".

ولم ينتظر تعليقى على كلامه، وأكمل على عجل:

- "من المضحك أنه يبدو على الأزواج أنهم أقوياء ويعتمدون على أنفسهم، أخبرنى.. هل ترانى إنسانًا قويًا أم ضعيفًا؟".

فقلت:

- "إنسانًا متوسط القوة".

اندهش من إجابتى، فلم يكن يتوقعها، ثم صمت واستمر فى السير.

ولكى يرجع إلى منزله فيجب أن يسلك الطريق الذى يمر بجانب مسكنى، وعندما اقتربنا من بداية الطريق الذى يؤدى إلى مسكنى، وجدت أنه ليس من اللائق أن أعود إلى مسكنى وأتركه يسير وحيدًا، فقلت له:

- "هل أسير معك إلى منزلك؟".

فمنعنى بيده، وقال:

- "عد إلى مسكنك، لقد تأخر الوقت، وسأسرع إلى المنزل من أجل زوجتى العزيزة".

شعرت بدفء فى قلبى بعد سماع قوله "من أجل زوجتى العزيزة"، وبسبب هذه الكلمات استطعت النوم بعد أن رجعت إلى مسكنى، وظلت تلك الكلمات فى ذاكرتى لمدة طويلة.

علمت أن ما حدث بينه وبين زوجته من شجار لم يكن شيئًا خطيرًا، ولاحظت من خلال دخول منزلهما أن شجارهما شىء نادرًا ما يحدث، وأسرَّ لى فى إحدى المرات قائلا:

- "لم أعرف امرأة فى هذا العالم إلا واحدة فقط، فزوجتى بالنسبة لى هى كل نساء الدنيا، وزوجتى ترانى الرجل الوحيد فى هذه الدنيا، وعلى ذلك فإنه من المفروض أن أكون أنا وزوجتى أسعد زوجين فى هذه الدنيا".

نسيت الآن تفاصيل ذلك الموضوع، ولذلك لا أستطيع أن أقول بوضوح لماذا أسر لى بذلك، ولكنى حتى الآن أتذكر الطريقة الجادة التى كان يتحدث بها والحزن الذى كان يبدو عليه، ولكن ما سمعته منه وشعرت أنه غريب هو قوله: "من المفروض أن أكون أنا وزوجتى أسعد زوجين فى هذه الدنيا"، فلماذا لم يقل: "أنا وزوجتى أسعد زوجين"، بل قال:"من المفروض أن..."، فشعرت بأن هذه الجملة فقط تحمل معنىً غريبًا يدعو إلى الريبة والشك، فهل هو فى الواقع سعيد، أم من المفروض أن يكون سعيدًا ولكنه ليس

سعيدًا! لقد بدأ الشك ينتابنى، ولكن هذا الشك اختفى بعد وقت قصير.

وبعد ذلك بعدة أيام ذهبت إلى منزله ولم يكن موجودًا، ولذلك كانت عندى فرصة لمقابلة زوجته والتحدث معها، فقد ذهب إلى منطقة "شنباشى" لتوديع صديق له سوف يركب باخرة من مدينة "يوكوهاما" ليسافر إلى الخارج، وكان على من يسافرون بالبواخر من "يوكوهاما" أن يستقلوا القطار الذى يغادر "شنباشى" فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباحًا إلى "يوكوهاما"، وكنت أريد أن أسأله عن بعض الأمور المتعلقة بكتاب، لذلك اتفقت معه على زيارة فى تمام الساعة التاسعة، ولكن ذهابه لوداع صديقه كان ظرفًا طارئًا، وكان شيئًا يجب فعله كاحترام لصديقه، ولذلك طلبت أن أنتظره إلى أن يحضر، فدخلت حجرة الضيوف، وفى أثناء انتظاره تبادلت أطراف الحديث مع زوجته.

- ١٠ -

كنت قد أصبحت طالبًا جامعيًا، وبالمقارنة ببداية فترة زيارتى للأستاذ، فإننى أصبحت شابًا ناضجًا، وأصبحت على علاقة ود كبيرة مع زوجته، ولم أشعر بأى حرج عندما أكون معها، فجلست معها نتحدث فى موضوعات شتى، ولكنى نسيت تمامًا الآن محتوى تلك الموضوعات، عدا شىء واحد فقط ما زال عالقًا فى ذهنى، ولكن قبل أن أتحدث عنه أريد أن أنوه بشىء..

كان الأستاذ خريج جامعة، وكنت أعلم ذلك منذ أن قابلته أول

مرة، وبعد عودتى من "كاماكورا" إلى طوكيو بفترة وجيزة، علمت أنه لا يعمل، بل يقضى وقته فى فعل لا شىء، فتعجبت وقلت لنفسى كيف يعيش وينفق على عائلته دون عمل؟!

الأستاذ شخص غير مشهور، لذلك كنتَ أنا وحدى من يعرف قدر علمه وفكره، وهذا شىء يحزننى، وعندما قلت هذا له قال:

- "إن شخصًا مثلى إذا تحدث إلى الناس فلن يسمعه أحد".

كلامه هذا بالنسبة لى يعبر عن أنه يتواضع أكثر من اللازم، بل ويدل على أنه ينظر بلا مبالاة إلى الدنيا وما فيها، وفى الواقع كان أحيانًا ينتقد بشدة زملاءه فى الدراسة الذين أصبحوا مشاهير، فقلت له بصراحة ذات مرة إنه يناقض نفسه؛ فهو لا يتعامل مع المجتمع وفى الوقت نفسه ينتقد زملاءه فى الدراسة الذين يتعاملون مع المجتمع وأصبحوا مشاهير، فكنت أشعر بالمرارة ألا يعرف الناس الأستاذ، حينئذٍ قال لى بصوت هادئ:

- "ليست لدى حيلة، فأنا رجل لا يستطيع أن يتعامل مع المجتمع".

قال ذلك وكان وجهه يعبر بعمق عن ذلك، ولم أعرف ما إذا كانت تعبيرات وجهه تلك تدل على خيبة الأمل أم الظلم أم الحزن، ولأن كلامه كان قويًا، فلم تواتنى الشجاعة لكى أُعلِّق.

وعندما كنت أتحدث مع زوجته كان من الطبيعى أن نتحدث عنه، فقلت لها:

- "لماذا يجلس الأستاذ فى البيت يفكر ويدرس ولا يخرج إلى الدنيا لكى يعمل؟".

- "إنه لا يستطيع، لأنه يكره ذلك".

- "هل معنى هذا أنه يعتقد أن ذلك شيء تافه؟".

- "لست متأكدة إن كان يعتقد ذلك أم لا، ربما لا يعتقد ذلك، ربما يريد عمل شيء ولكنه لا يستطيع، شيء محزن".

- "ولكن الأستاذ فى صحة جيدة ولا يعانى مرضًا، أليس كذلك؟".

- "نعم هو فى صحة جيدة جدًا ولا يعانى من أى مرض".

- "إذن لماذا لا يريد العمل فى أى شيء؟".

- "لا أعلم ذلك، ولو كنت أعلم ما كنت شعرت بالقلق عليه، ولكن لأننى لا أعلم فحزنى عليه لا يتوقف".

كان أسلوبها فى الكلام يدل على تعاطف كبير معه، ومع ذلك لاحظت ابتسامة خفيفة على وجهها، فيبدو من خلال الشكل الخارجى أننى كنت جادًا أكثر منها بالنسبة لهذا الموضوع، فغضبت وصمتُ، وفجأة قالت وكأنها تذكرت شيئًا ما:

- "عندما كان شابًا لم يكن هكذا، كان مختلفًا تمامًا عن الآن، ولكنه تغير كلية".

- "تقصدين متى بعندما كان شابًا؟".

- "عندما كان طالبًا فى الجامعة".

- "هل تعرفينه منذ كان طالبًا جامعيًا".

فاحمر وجهها فجأة.

زوجة الأستاذ من العاصمة طوكيو، وكنت أعلم؛ فقد سمعت ذلك منه ومنها شخصيًا، وقالت لى إنها من أب وأم مختلفين فى محل الميلاد، فوالدها وُلِد فى محافظة "طوتورى" ووالدتها وُلِدت فى منطقة "إتشى جايا" بالعاصمة طوكيو.. وقالت بطريقة مازحة "أنا مُهَجَّنَة"، أما الأستاذ فهو من محافظة "نيجاتا" التى تقع فى اتجاه عكس اتجاه طوكيو و"طوتورى"، ولذلك إذا كانت زوجته تعرفه منذ أن كان طالبًا فمعنى ذلك أن معرفتهما ليست مبنية على أساس محل المولد، ولكن معنى أن يحمر وجهها عندما سألتها عن معرفتها به وقت أن كان طالبًا، يعنى أن هناك أشياء لا تريد ذكرها، لذلك قررت ألا أضغط عليها بالسؤال.

ومنذ أن تعرفت إلى الأستاذ وحتى وفاته، عرفت الكثير عن فكره ومشاعره بالنسبة لقضايا كثيرة، ولكنى لم أعرف شيئًا عن ظروف زواجه، وكنت أُفسر ذلك على محمل جيد فى بعض الأحيان، حيث كنت أقول لنفسى، بما أنه كبير السن فهو يشعر بالحرج أن يتحدث أمام شاب صغير السن مثلى عن ذكرياته الرومانسية، وأحيانًا كنت أُفسر ذلك على محمل سيئ؛ حيث كنت أقول لنفسى إنه وزوجته أصبحا شابين فى فترة سابقة عنى، وأنهما الآن فى فترة تتصف بـ"الحشمة" التى لم تعد تصلح لهذا الزمن، ولذلك ليس عندهما الشجاعة الكافية للتحدث أمامى عن ذكرياتهما الرومانسية، وأحيانًا كنت أشعر أن كل هذا لا يزيد على كونه خيالا فى ذهنى، وافترضت أن وراء زواجهما قصة حب.

كان افتراضى صحيحًا، ولكنى لم أستطع تخيل إلا جزء فقط من القصة، وكانت هناك فاجعة مرعبة وراء قصة الحب متعلقة بالأستاذ، ولم تكن زوجته تعلم شيئًا عما أحزنه بهذا الشكل، وإلى الآن لا تعلم زوجته شيئًا عن تلك الفاجعة؛ فقد أخفى عنها ذلك إلى أن مات، حيث حطم نفسه قبل أن يحطم سعادة زوجته.

لن أتحدث الآن عن تلك الفاجعة، وربما ولدت قصة الحب هذه بسببها، ولم يتحدث إلى الأستاذ ولا زوجته عن قصة حبهما، فزوجته لم تتحدث عن ذلك من باب الحشمة وهو لم يتحدث عن ذلك لأسباب أكثر عمقًا.

ولكن بالنسبة إلى ذلك هناك شىء واحد عالق فى ذهنى، ففى إحدى المرات فى موسم تفتُّح الزهور، ذهبت مع الأستاذ إلى منطقة "أُوفينو"، وحينئذ شاهدنا رجلا وسيمًا وامرأة جميلة يسيران ملتصقان تحت أشجار الزهور ويبدو عليهما الحب، وبما أن المكان مكان عام فقد تحولت إليهما أنظار كثير من الناس، وحينئذ قال الأستاذ:

- "يبدو عليهما أنهما فى شهر العسل".

- "يبدو عليهما أنهما متحابان".

فلم يقل شيئًا ولا ابتسم، بل سار فى اتجاه لا نرى منه ذلك الرجل وتلك المرأة، ثم قال:

- "هل سبق لك أن أحببت فتاة؟".

- "لا".

- "ألم يسبق لك أن أحببت فتاة؟!".

فلم أعلق، ثم قال:

- "ألا تريد أن تحب فتاة؟".

فلم أجب، فقال:

- "من المؤكد أنك تريد أن تحب".

- "نعم لى رغبة".

- "من المؤكد أنك شعرت بالغيرة عندما رأيت ذلك الرجل مع تلك المرأة، وصوتك وأنت تتحدث يدل على أنك ترغب فى أن تحب، ولكنك لا تستطيع العثور على الفتاة".

- "هل ظهر علىَ ذلك؟".

- "نعم، فمن شعر بدفء الحب يشعر بدفء أكثر تجاههما، لكن الحب إثم، هل تعى ما أقول؟".

ففوجئت بقوله واندهشت، ولم أقل شيئًا.

- ١٢ -

كنا وسط كثير من الناس، وكانت تبدو على وجوههم السعادة، سرنا ودخلنا الغابة حيث لا يوجد أشخاص ولا زهور، ولم نفتح موضوع أن الحب إثم مرة أخرى فى أثناء سيرنا.

سألته فجأة:

- "هل الحب إثم؟".

فقال بتعبيرات قوية مثلما قال سابقًا:

- "أكيد.. إنه إثم".

- "لماذا؟".

- "سوف تعرف قريبًا، ليس القريب العاجل ولكن من المفترض أنك الآن تعرف، ألم ينبض قلبك بالحب منذ أن كنت صغيرًا وإلى الآن؟".

فسألت نفسى عما إذا كان قلبى ينبض بالحب أم لا، ولكننى وجدته خاليًا من الحب، ولم أجد شيئًا يدل على أن قلبى ينبض بالحب.

قلت:

- "لا يوجد فى قلبى شخص معين أحبه، وأنا لا أخفى عنك شيئًا".

- "قلبك ينبض لعدم وجود من تحبه، فإذا كان هناك من تحبه، فإن قلبك سيطمئن ويهدأ".

- "لا أشعر الآن أنه ينبض لدرجة كبيرة".

- "أنت تأتى إلى منزلى لأنك تشعر بأن هناك شيئًا ما ينقصك، أليس كذلك؟".

- "ربما يكون كلامك صحيحًا، ولكن شعورى مختلف عن الشعور بالحب".

- "إن هذا الشعور هو طريق الصعود إلى الشعور بالحب، فإن شعورك عند المجىء إلى منزلى لمقابلتى ونحن من نفس الجنس هو تمهيد وبداية للشعور بحب الجنس الآخر".

- "أعتقد أن الشعور نحو نفس الجنس شىء والشعور نحو الجنس الآخر شىء آخر، وكلا الشعورين مختلف فى طبيعته".

- "لا.. إنهما الشىء نفسه، فأنا كرجل لا أستطيع أن أجعلك

تشعر بالرضا، بجانب أن عندى ظروفًا خاصة تمنعنى، وذلك يجعلنى أشعر بالحزن عليك، وليس هناك مفر إلا الذهاب إلى غيرى، وأنا أرغب فى أن تفعل ذلك، ولكن...".

فشعرت بحزن شديد مما قال وقلت:

- "لا أستطيع أن أمنعك أن تشعر أننى سوف أتركك، ولكن لم يسبق أن فكرت فى ذلك قط".

ولكنه لم ينصت إلى ما قلته جيدًا، بل قال:

- "لكن يجب أن تحذر، لأن الحب إثم، وأكيد أنك لا تشعر بالرضا عن صداقتنا، لكن ليس هناك خطر عليك من هذه الصداقة، هل تعرف الشعور الذى ينتابك عندما تكون مقيدًا بشعر أسود طويل؟".

كنت أعرف ذلك الشعور كتصور فى الخيال لا كواقع فى الحقيقة، وعلى كل حال فإن ما يقوله عن أن الحب إثم، كلام غير واضح، ولذلك لم أستطع أن أستوعبه، وفوق ذلك شعرت بالضيق من ذلك الكلام، ثم قلت:

- "من فضلك يا أستاذ وضح لى ما المقصود بالإثم، وإذا لم تفعل فمن فضلك توقف عن الحديث فى هذا الموضوع الآن، إلى أن أفهم جيدًا بنفسى ما المقصود بالإثم".

- "لقد ارتكبت خطأ، كنت أتحدث بنية أن أجعلك تعرف الحقيقة، ولكن فى الواقع أننى أثرت فضولك بموضوع ولم أجعلك تصل إلى مغزاه".

ثم مشينا من خلف المتحف فى اتجاه "أُجيسوضانى" (وادى

العندليب) ببطء، ومن الفتحات الموجودة فى السياج رأينا جانبًا من حديقة فسيحة مزروعة بكثير من الخيزران القصير، حيث كان المكان يحيطه الهدوء والسكينة.

وفجأة سألنى:

- "هل تعرف لماذا أذهب لزيارة مقبرة صديقى الموجودة فى منطقة ظوشيجايا؟".

سألنى ذلك وهو يعلم أننى لن أستطيع الإجابة، فصمتُ ولم أجب، فانتبه إلى أننى لا أعلم الإجابة فقال لى:

- "لقد أخطأت مرة أخرى، لقد كنت أحاول شرح كلامى الذى جعلك تشعر بالضيق، ولكن ذلك سوف يجعلك تشعر بالضيق أكثر، ولذلك تراجعت عن الكلام فى هذا الموضوع، ولكن تذكر أن الحب إثم، هل فهمت؟ كما أن الحب شىء مقدس".

سمعت هذا فازددت حيرة، ولم أسمع منه كلمة "حب" مرة أخرى قط.

- ١٣ -

بما أننى كنت صغيرًا فكنت ضيق الأفق، أميل إلى التفكير فى شىء واحد، أو على الأقل هكذا كان ينظر إلى، وكان حديثه أكثر فائدة لى من محاضرات الجامعة، وكان فكره أفضل عندى من وجهة نظر أساتذة الجامعة، أى أننى كنت أعتقد أنه وحده، ورغم أنه لا يتكلم كثيرًا، أعظم من الأشخاص العظماء الذين يقفون على المنصات فى قاعات التدريس ويشرفون على دراستى.

قال الأستاذ:

- "لا أريد أن أقول ما يحزنك".

- "لقد أصبحت حزينًا بعدما سمعت هذا الكلام عن الحب".

قلت ذلك بثقة شديدة فى النفس ولكنه لم يعبأ بثقتى فى نفسى وأنا أتكلم، ثم قال:

- "أنت فى فترة التهاب فى المشاعر، وعندما تبرد هذه المشاعر فسوف تشعر بالسأم، وأنا أتألم الآن من أجلك، وعندما أفكر فيما سوف يحدث لك من تغيرات بعد الآن، أتألم أكثر".

- "هل تستخف بى لهذه الدرجة؟ هل لا تثق بى لهذه الدرجة؟".

- "أشعر بالشفقة عليك".

- "تشعر بالشفقة علىّ، ولكن ألا تثق بى؟".

نظر فى ضيق ناحية الحديقة، ولم نستطع رؤية زهور شجرة الكاميليا الشديدة الاحمرار التى كان يتساقط منها قطرات الماء وكنا نستطيع مشاهدتها لوقت قريب، ولقد اعتاد أن ينظر إلى زهور شجرة الكاميليا تلك كثيرًا، ثم قال:

- "لا أقصد أننى لا أثق فيك أنت خاصة، ولكن لا أثق فى كل البشر عامة".

وفى تلك اللحظة سمعنا صوتًا يأتى من ناحية السياج، وكان صوت من يبيع أسماك الزينة، ولكن لم تكن هناك أصوات أخرى، وكان هناك زقاق يتفرع من شارع رئيسى، كان الزقاق على عكس المتوقع هادئًا، وكان منزل الأستاذ هادئًا كما هو دائمًا، وكنت أعلم

أن زوجته موجودة فى الحجرة المجاورة للحجرة التى أجلس فيها معه، وكنت أعلم أنها تسمعنا وهى تقوم بشغل إبرة أو ما شابه ذلك، ولكنى قد نسيت تمامًا أنها تسمعنا وقلت له:

- "حسنًا إذا كنت لا تثق فى أحد، فهل لا تثق فى زوجتك؟".

فظهر الارتباك على وجهه وتجنب الإجابة المباشرة عن ذلك السؤال، ثم قال:

- "أنا لا أثق حتى فى نفسى، ولأننى لا أثق فى نفسى فلا أثق فى أحد آخر، وليس هناك أمامى إلا أن أكره نفسى وأن أدعو عليها".

- "إذا كنت تفكر بهذه الطريقة المعقدة، فليس هناك شخص يمكن الثقة فيه".

- "لم أفكر، ولكنى جربت، واندهشت بعد التجربة، وأصبحت فى منتهى الرعب".

كنت أريد أن أسترسل فى الكلام معه عن ذلك، ولكن جاء صوت زوجته من الحجرة المجاورة ينادى عليه فقال:

- "ماذا؟".

- "من فضلك احضر قليلاً".

فذهب إليها، ولم أسمع ما دار بينهما، ثم رجع بسرعة ولم يكن عندى أى وقت للتفكير فيما دار بينهما. قال:

- "على كل حال، لا يجب أن تثق فىّ كثيرًا، لأنك سوف تندم إذا فعلت، وسوف تنتقم بشدة كرد فعل لانخداعك".

- "ماذا تقصد بذلك؟".

- "سوف يشعر أى شخص سجد أمام قدمى بالندم والعار على أنه فعل ذلك، وسوف يرغب فى أن يضع أقدامه على رأسى، أنا أرفض احترامك لى الآن لأنى لا أريد أن يلحق بك العار فى المستقبل، وأريد أن أتحمل ما أشعر به من حزن الآن، بدلاً من أن أشعر بحزن أكثر فى المستقبل، ولقد ولدنا فى العصر الحالى الذى يشعر فيه الإنسان بالحرية والاستقلال والثقة فى النفس، ومقابل ذلك يجب على الجميع أن يشعروا بالحزن".

واضح من خلال كلامه أنه لا يثق فى نفسه أو أى أحد بدرجة كبيرة جدًا، وجعلنى هذا لا أعرف ماذا أقول له.

- ١٤ -

عندما كنت أقابل زوجته كنت أفكر فيما قاله عن عدم الثقة فيها ولا فى أحد آخر، وكنت أسأل نفسى هل الأستاذ يتعامل معها دائمًا على هذا الأساس؟ وإذا كان كذلك فهل تشعر هى بالرضا رغم هذه المعاملة؟

ولم يكن يبدو على زوجته أنها تشعر بالرضا أو عدم الرضا، ربما اعتقدت ذلك لأننى لم أكن أتعامل معها عن قرب، كما أنها كانت تتصرف معى بطريقة عادية فى كل مرة كنت أقابلها، ولم أكن أقابلها فى عدم وجوده.

وازدادت شكوكى وحيرتى فيما قاله عن الناس، فمن أين جاءت عدم ثقته فى الناس؟ هل كانت نتيجة نظرته الرزينة لذاته وملاحظته تصرفات الناس فى هذه الأيام؟ فهو لا يعمل، بل انعزل

عن الدنيا، فقط يجلس ويفكر، فلو انعزلت عن الدنيا وجلست وفكرت فيها، فهل من الطبيعى أن أصل إلى نتيجة مثل التى وصل إليها؟ أنا لا أعتقد ذلك، فيبدو لى أن فكرة "عدم الثقة" التى عنده لم تأتِ نتيجة انعزاله عن الدنيا، بل نتيجة اكتوائه بنارها، فأنا أرى أنه مفكر، وأن نظريته الفكرية تشكلت من تجربة قوية، ولا نستطيع أن نقول إن تلك التجربة لها علاقة بالآخرين وليست لها علاقة به، بل هى تجربة أليمة مر بها بنفسه، تجربة جعلت الدم يغلى فى عروقه، وقلبه يكاد يتوقف.

إن ما قاله جعلنى أفهمه قليلاً، لقد تحدث بصراحة، ورغم أن حديثه لم يكن مباشرًا، فإنه جعلنى أفكر فى أن شيئًا مرعبًا ما حدث له، ولكنى لم أصل إلى معرفة ذلك الشىء، كان حديثه عامًا أكثر من اللازم، ولكنه جعلنى أشعر بالرعب، وإن كنت لا أعلم لماذا شعرت بالرعب.

افترضت أن يكون وراء نظرته هذه إلى الحياة قصة حب عنيفة (بالطبع بينه وبين زوجته)، فقد قال سابقًا "الحب إثم"، وإذا فكرنا فى ذلك فسوف نجده دليلا على وجود قصة حب عنيفة لها علاقة به، ولكنه اعترف لى بحبه لزوجته، ولذلك فإن عدم ثقته فى الناس التى تقترب من الكراهية لم تأتِ من قصة الحب التى بينه وبين زوجته، وأن قوله "سوف يشعر أى شخص سجد أمام قدمى بالندم والعار على أنه فعل ذلك، وسوف يرغب فى أن يضع أقدامه على رأسى" ينطبق على ناس هذا الزمن عامة لا على زوجته وحدها.

فكرت فى أن قصة الحب العنيفة تلك ربما لها علاقة بذلك

الشخص الذى لا أعرفه صاحب القبر فى منطقة "ظوشيجايا"، فقد كنت أعرف أن الأستاذ متعلق جدًا بقبر ذلك الشخص، وبالنسبة لى فأنا أحاول الاقتراب من حياته ولكنى لا أستطيع التقرب منه ومعرفة حياته، وفكرت فى أن يكون هذا الشخص جزءًا مما فى عقل الأستاذ من أفكار، وإن كان صاحب المقبرة ميتًا، ولكن يجب علىَ أن أعرف حكايته، فهى المفتاح الذى سوف يجعلنى أعرف قصة الأستاذ، فذلك الشخص كحائط يقف حائلا بينى وبين الأستاذ.

وبينما كنت أفكر فى هذا وذاك، جاءتنى فرصة للحديث مع زوجته وحدنا، وكان ذلك فى يوم مشحون من أحد أيام الخريف، حيث كان البرد قارسًا، وفى المنطقة القريبة من منزل الأستاذ حدثت سرقات استمرت لعدة أيام، وكانت كل السرقات فى وقت مبكر من الليل، فشعرت الزوجة بالقلق، وفى تلك الفترة حدثت للأستاذ ظروف جعلته يغادر المنزل؛ حيث حضر إلى العاصمة "طوكيو" طبيب يعمل فى مستشفى فى بلدة الأستاذ، ووجب على الأستاذ ومعه عدة أصدقاء أن يدعوا الطبيب إلى العشاء فى مطعم، وشرح لى ذلك وطلب منى أن أقوم بحراسة منزله إلى أن يعود، فوافقت على الفور.

- ١٥ -

ذهبت إلى منزل الأستاذ فى وقت الغروب ولم تكن المصابيح قد أضيئت، لكنه شخص ملتزم، لذلك كان قد خرج من المنزل قبل وصولى، وعندما وصلت إلى منزله قالت زوجته:

- "لقد خرج الآن، لأنه يخشى أن يتأخر".

ثم أدخلتنى إلى حجرة المكتبة.

فى حجرة المكتبة توجد منضدة ومقعد وكثير من الكتب المغلفة من الخارج بالجلد، وينبعث الضوء من مصباح زجاجى فيضىء المكان. أجلستنى على وسادة موضوعة أمام موقد، وقالت:

- "ما رأيك أن تأخذ كتابًا تقرأه؟".

خرجت، فأحسست أننى مثل ضيف ينتظر عودة الأستاذ فشعرت بالإحراج، ودخنت سيجارة، ثم سمعتها تقول شيئًا ما للخادمة فى حجرة الجلوس، وتقع حجرة المكتبة فى ركن منحنٍ فى نهاية شرفة حجرة الجلوس وهى تقع فى مكان أبعد من حجرة الضيوف، وذلك المكان مكان منعزل ولذلك فهو هادئ، وعندما انتهى كلام الزوجة للخادمة أصبح المكان هادئًا تمامًا لا صوت فيه، وجلست بإحساس أننى أنتظر تسلل لص، فجلست صامتًا لا أتحرك وأترقب أى حركة.

وبعد مرور ثلاثين دقيقة دخلت زوجة الأستاذ واتجهت ناحيتى ونظرت إلىّ بدهشة، وكنت أجلس بوجه جاد وكأننى ضيف، قالت:

- "من المؤكد أنك تشعر بالضيق، أليس كذلك؟".

- "لا أشعر بذلك".

- "إذن تشعر بالملل، أليس كذلك؟".

- "ولا أشعر بالملل، فأنا مشدود الأعصاب بسبب تفكيرى فى أنه ربما يتسلل لص إلى داخل المنزل، وهذا لا يجعلنى أشعر بالملل".

ضحكت وهى واقفة وممسكة بفنجان الشاى، ثم قلت:

- "إن هذا المكان يقع فى زاوية المنزل ولذلك فهو مكان غير ملائم لأن يكون مكانًا لحراسة المنزل".

- "إذن فلتحضر إلى الوسط، لقد اعتقدت أنك تشعر بالملل فأحضرت لك شايًا، ولكن فلتحضر إلى حجرة الجلوس وتتناول الشاى هناك".

خرجتُ من حجرة المكتبة بعد أن خرجت هى، وفى حجرة الجلوس كان هناك موقد طويل تعتليه غلاية تصفر، وفى هذه الحجرة تناولت شايًا وحلوى، وقالت إنها يجب أن تخلد إلى النوم، ولذلك لم تتناول شايًا.

قلت لها:

- "هل يذهب الأستاذ من حين لآخر لمقابلة أصدقائه؟".

- "لا.. نادرًا ما يفعل ذلك، فيبدو أنه فى هذه الأيام لا يحب أن يرى الناس".

ولم يتضح عليها أنها تشعر بالضيق من تصرفات زوجها، ولذلك تجرأت وقلت:

- "هذا يعنى أنك فقط استثناء، أليس كذلك؟".

- "لا فهو يكرهنى أيضًا".

- "هذا ليس صحيحًا، أنت تعرفين أن هذا الكلام غير صحيح.. أنا أعتقد أنه أحبك ولذلك كره الناس".

- "أنت طالب تتلقى العلم ولذلك فأنت حاذق فيما تقول،

تستطيع أن تستخدم المنطق للإقناع، ولكن من المنطق أن نقول أيضًا إنه كره الناس ولذلك كرهنى أيضًا".

- "من الممكن أن نقول هما معًا، ولكن ما قلته أنا هو الصحيح".

- "أنا لا أحب الجدال، فالرجال يحبون الجدال فقط، فهو شيق بالنسبة لهم، يملأون الأقداح بالخمر ويحتسونها وهم لا يملون من الجدال".

شعرت بشيء من الضيق مما قالت، ولم أشعر بأن ما قالته لم يصل إلى حد القسوة، فلم تكن متحضرة لدرجة أن تقول ما يدور داخل عقلها وتقنع به الآخرين وتكسب احترامهم، وبدا لى أنها تهتم أكثر بما فى أعماق القلب من مشاعر.

- ١٦ -

كان عندى ما أقوله لزوجة الأستاذ، ولكن عندما أبدت ضيقها من الرجال الذين يحبون الجدال، تراجعت عن الاستمرار فى الكلام حتى لا تشعر بأنى مثل هؤلاء الرجال، ثم تناولت فنجان الشاى وشربته حتى الثمالة، ونظرت إلى قعر الكوب وأنا أفكر فى طلب فنجان آخر، ولكنها كانت ذكية ولماحة حيث قالت لى:

- "هل تريد فنجانًا آخر من الشاى؟".

مددت لها يدى بالفنجان. نظرت إلى وجهى وسألتى وهى تضع قطع السكر عن العدد الذى أريده فقالت:

- "واحدة؟ اثنتين؟".

لم يكن تصرفها تجاهى يصل إلى حد الإطراء، ولكن كان تصرفًا مليئًا بالجاذبية التى تهدف إلى التخفيف من حدة ما قالته لى منذ قليل.

صمتُ وشربتُ الشاى، وظللت صامتًا بعد أن انتهيت من شربه، فقالت:

- "لقد صمت ولم تتحدث".

- "لو قلت شيئًا فسوف تقولين إننى أحب المناقشات وتنهرينى".

- "أبدًا أبدًا لن أفعل".

كان ردها هذا إشارة إلى أن نبدأ الكلام مرة أخرى، فتحدثنا فى موضوع يهمنا نحن الاثنين، ألا وهو موضوع الأستاذ، فقلت لها:

- "أرجو أن تسمحى لى بالحديث فى الموضوع الذى كنت أتحدث فيه منذ قليل، وربما تعتقدين أننى أتفلسف وأجادل فقط من أجل الجدال، ولكنى لا أفعل ذلك وأتحدث فى موضوع حقيقى ومهم، فقالت:

- "إذن تفضل بالكلام".

- "لو افترضنا أنك تركت الأستاذ فجأة ورحلت عنه، فهل يستطيع أن يعيش من دونك على النحو الذى يعيش عليه الآن؟".

- "لا أعلم، ليست هناك طريقة لمعرفة ذلك إلا أن تسأله هو، فهذا سؤال لا يوجه إلىّ".

- "أنا أتحدث بجد، فلا تهربى من الإجابة، أجيبى عن السؤال من فضلك".

- "أنا جادة فيما أقول، أنا لا أعرف إجابة سؤالك".

- "إذن، إلى أى مدى تحبينه؟ فهذا سؤال مناسب أن يوجه لك أكثر من كونه سؤالا يوجه إليه، فأجيبى من فضلك".

- "أليس من الأفضل ألا تسأل عن شىء كهذا؟ هذا شىء محرج لا يجب السؤال عنه، هل تقصد أننى أعلم جيدًا إلى أى مدى يحبنى".

- "نعم، فأنت مخلصة له ولكن إذا ابتعدت عنه وتركتيه، فكيف سيكون حاله؟ فإنه لا يجد متعة فى الحياة، فإذا ابتعدت عنه فماذا سيفعل بعد ذلك، ليس من وجهة نظره ولكن من وجهة نظرك أنت، فهل تعتقدين أنه سيكون سعيدًا أم تعيسًا؟".

- "طبعًا أعرف ذلك، من وجهة نظرى، فإذا ابتعدت عنه فسوف يكون تعيسًا، وربما لن يحتمل الحياة، ربما تعتقد أن كلامى هذا تكبر منى، ولكنى أعتقد أننى الآن أجعله إنسانًا سعيدًا على قدر المستطاع، وأتصور أنه لا يوجد إنسان يستطيع إسعاده مثلما أستطيع أنا، ولذلك فأنا أشعر بالرضا عن نفسى كما ترى".

- "وأنا أعتقد أنه يشعر فى قلبه بما قلتيه".

- "هذا موضوع آخر".

- "هل تريدين أن تقولى إنه يكرهك؟".

- "لا أعتقد أنه يكرهنى، فليس هناك سبب يجعله يكرهنى، ولكنه يكره الدنيا، وهو فى الفترة الأخيرة يكرة الناس أكثر من كرهه الدنيا، ولذلك لا يحبنى كإنسان من ضمن الناس، أليس كذلك؟".

فاستطعت أن أقتنع بمعنى أن الأستاذ يكرهها.

شعرت بالإعجاب بزوجة الأستاذ بسبب رجاحة عقلها، وبهرنى أن تصرفاتها ليست رجعية مثل النساء اليابانيات التقليديات اللاتى يحرصن على استخدام الكلمات التى شاع انتشارها فى تلك الفترة، وأنا شاب جاهل فى ما يخص النساء؛ فلم يسبق لى التعامل معهن بعمق، وكنت أتخيل المرأة من منظور طبيعتى كرجل، وكنت متشوقًا لهن من ذلك المنظور، وكنت أفكر فى النساء مثل من ينظر إلى سحاب الربيع، وفى الواقع عندما أقف أمام امرأة، تتغير مشاعرى فجأة وبدلا من أنجذب إليها أشعر برفض غريب لها، ولكن بالنسبة لزوجة الأستاذ فلم أشعر تجاهها بذلك، ولم أشعر بأى اختلاف فى الفكر بينى وبينها، مثلما يشعر الرجل من اختلاف فى الفكر عندما يكون مع امرأة، ونسيت أنها امرأة، ونظرت إليها على أنها فقط ناقدة أو متعاطفة مع الأستاذ الصادق.

قلت لها: "سبق أن سألت لماذا لا يخرج الأستاذ إلى الدنيا فيعمل ويشارك فى الحياة وقلتِ لى إنه فى الأصل لم يكن هكذا".

- "نعم إنه لم يكن كذلك".

- "إذن ماذا كان فى الأصل؟".

- "كان شخصًا جديرًا بالثقة يمكن الاعتماد عليه كما ترغب أنت وكما أرغب أنا".

- "إذن لماذا تغير فجأة هكذا؟".

- "لم يتغير فجأة ولكن تغيره حدث بالتدريج".

- "هل كنت معه فى تلك الفترة باستمرار؟".

- "نعم، فإننا متزوجان".

- "إذن فمن المفترض أنك تعلمين لماذا تغير الأستاذ هكذا".

- "إن ذلك ما يضايقنى، فإن كلامك هذا يجعلنى أشعر بالحزن الشديد، فمهما فكرت فلا أستطيع الوصول إلى معرفة ذلك، فقد طلبت منه مرات لا حصر لها أن يفتح قلبه ويبوح لى".

- "فماذا قال؟".

- "قال ليس هناك ما أقوله، ليس هناك ما يجعلك تقلقين، لقد تغيرت شخصيتى هكذا، ولم يصارحنى بشىء".

فصمتُ، وتوقفت هى عن الحديث، ولم أسمع أى صوت يأتى من حجرة الخادمة ولا أى أصوات أخرى، ونسيت أمر اللصوص تمامًا.

وفجأة قالت لى:

- "هل تعتقد أننى السبب فيما حدث له؟".

- "لا".

- "قل ولا تخفى شيئًا، إذا كنت تتخيل أننى السبب فى ذلك فسوف يجعلنى هذا أشعر بألم شديد، ومع ذلك فأنا أفعل كل ما أستطيع من أجل زوجى".

- "طبعًا وهو نفسه اعترف بذلك، فأنت على ما يرام فاطمئنى، وأنا أضمن لك ذلك".

قامت بتقليب الفحم الموجود فى الموقد، ووضعت الماء داخل الغلاية، فسكت صوت الغلاية. قالت:

- "لم أستطع أن أتحمل حاله هذه طويلاً فسألته عما إذا كان

هناك ما يعيبنى فتكلم بصراحة دون تردد، فسوف أصلح من عيوبى إذا كان إصلاحها ممكنًا، فقال لى ليس هناك ما يعيبك ولكن العيوب فىّ أنا فقط، فشعرت بالحزن ولم أجد ما أفعله حيال ذلك، وأردت أكثر أن أعرف عيبوبى".

فنظرت فوجدت عينيها ممتلئتين بالدموع.

- ١٨ -

كانت هذه هى أول مرة أتحدث فيها مع زوجة الأستاذ بصفتها سيدة راجحة العقل، وبينما كنت أتحدث معها من مفهوم أنها سيدة راجحة العقل، فإذا بها تتغير تدريجيًا، فبدلاً من أن يحرك كلامها عقلى، حرك قلبى؛ فرغم عدم وجود ضغينة بينها وبين زوجها، فإن هناك شيئًا ما يحول بينهما، ورغم ذلك فإذا نظرنا جيدًا نظرة شاملة على علاقتهما فلن نجد أى شىء سيئ بينهما، وذلك ما يجعلها تشعر بالضيق.

فى البداية رأت أنه يكرهها لأنه يكره الدنيا وما فيها، ولكنها لم تقتنع بذلك تمامًا، وفكرت بعمق أكثر ورأت أنه ربما يكون العكس، أى أنه يكره نفسه ولذلك يكره الدنيا وما فيها، ولكنها لم تستطع أن تصدق أنه يكره الدنيا لأنه يكره نفسه، فتصرفاته جيدة إلى أبعد حد، كما أنه طيب وعطوف، ولكنها أخفت فى صدرها يومًا بعد يوم شعورها بالشك بأن سبب كره زوجها للدنيا هو كرهه لنفسه، ولكنها فى هذا المساء فتحت قلبها لى وأخرجت ما به من شك تجاهه. وقالت:

- "ما رأيك فيما قلت، لقد قلت ربما هذا أو ذلك، ولكن أرجو منك ألا تخفى عنى شيئًا وتقول بصراحة ما رأيك؟".

لم تكن عندى نية فى إخفاء أى شىء، ولكن إذا كان هناك ما لا أعرفه، فطبيعى أن إجابتى لن ترضيها، وكنت أؤمن بأن هناك شيئًا ما لا أعرفه، لذلك قلت:

- "لا أعرف".

ظهرت على وجهها أمارات الدهشة من عدم توقعها هذه الإجابة، ولذلك سارعت فى إكمال إجابتى قائلا:

- "ولكن أنا أضمن لكِ أنه لا يكرهك، وأنا أقول لك ما سمعته مباشرة منه، وهو ليس ممن يكذبون".

لم تعلق على ما قلت، وبعد قليل قالت:

- "فى الحقيقة أننى أفكر فى شىء ما".

- "هل لما تفكرين فيه علاقة بسبب تغير الأستاذ؟".

- "نعم، فإذا كان ما أفكر فيه هو السبب فى تغيره هكذا، فإن هذا يعنى أننى لست السبب فيما حدث له، وبالتالى سوف أشعر براحة شديدة".

- "ما الذى تفكرين فيه؟".

وضعت يديها فوق ركبتيها وقالت مترددة:

- "سوف أتكلم واحكم أنت".

- "إذا كنت أستطيع أن أحكم فسوف أفعل".

- "لا أستطيع أن أبوح بكل شىء، إذا بحت بكل شىء فسوف يتم توبيخى على ذلك، سأقول فقط ما لا يتم توبيخى عليه".

فشعرت بفزع وازدردت ريقى، فقالت:

- "عندما كان لا يزال طالبًا جامعيًا، كان له صديق حميم، وقد مات ذلك الصديق قبل تخرجه بقليل.. مات فجأة".

ثم قالت بصوت خفيض وكأنها تهمس فى أذنى:

- "فى الحقيقة لقد مات ميتة غير طبيعية".

فلم أستطع السكوت عندما سمعت ذلك، وقلت:

- "لماذا مات ميتة غير طبيعية؟".

- "لا أستطيع أن أقول إلا هذا، ولكن بعد ذلك تغير، تغيرت شخصيته تدريجيًا، ولا أعرف لماذا مات ذلك الشخص، وغالبا هو أيضًا لا يعرف سبب موت صديقه، ولكنه تغير بعد موت الصديق".

- "هل القبر الموجود فى منطقة ظوشيجايا قبر ذلك الصديق؟".

- "غير مسموح لى أن أتحدث عن ذلك، ولذلك لن أتحدث عنه، ولكن إذا مات للإنسان صديق فهل من الممكن أن يتغير هكذا؟ أريد أن أعرف ذلك، أريد حكمًا على هذا الأمر".

وحكمى يميل إلى نفى ذلك.

- ١٩ -

حاولت مواساتها على قدر ما أعلم من حقائق، وبدا عليها أنها تأثرت بمواساتى لها، وظللنا نتحدث فى نفس المشكلة طوال الوقت، ولكنى لم أستطع الوصول إلى حقيقة تلك المشكلة، وظهر قلقها من عدم الوصول إلى حقيقة تلك المشكلة، فهى لا تعلم الكثير عن فاجعة موت صديقه، وما تعلمه عن ذلك لا تستطيع

البوح به، ورغم أننى أحاول مواساتها وهى تحاول تقبل ذلك فإن مشكلة الأستاذ بالنسبة لى وبالنسبة لها غير واضحة، مما يجعلنا نشعر أننا تائهان، ومع أننى لا أستطيع الحكم بشكل يقينى على هذا الموضوع لعدم معرفتى الكاملة بالمشكلة، فإنها تتمسك بأن أحكم على ما تقول.

فى نحو الساعة العاشرة سمعنا صوت قدمى الأستاذ عند مدخل المنزل، فنسيت الزوجة كل ما كنا نتحدث عنه تمامًا وتجاهلتنى رغم أننى أجلس أمامها ووقفت، وذهبت لتستقبله فى الوقت الذى فتح فيه الباب فتقابلا وجهًا لوجه.

كان الأستاذ فى حالة مزاجية جيدة، وكانت زوجته فى حالة نفسية جيدة جدًا، فتذكرت الدموع اللامعة التى كانت تملأ عينيها الجميلتين ووجهها العابس الذى تغيرت ملامحه بشدة عندما رأت الأستاذ، ووقفت أنا أتابع ذلك المشهد باهتمام بالغ، فإذا لم يكن تغير ملامح وجهها عندما رأته ليس تمثيلا - ولا أعتقد أنه تمثيل - فإن ما قالته لى وأدمى قلبى ما هو إلا تلاعب من سيدة شقية بمشاعرى، وأنه لم يكن كذلك، فيجب علىّ أن أنظر إليها على أنها سيدة راجحة العقل، فقد تعجبت من تغيرها فجأة عندما رأته فأصبحت متوهجة، ولكن ذلك جعلنى أشعر بالطمأنينة، وجعلنى أفكر مرة أخرى وأقول لنفسى ليس هناك ما يجعلنى أقلق عليها.

قال الأستاذ ضاحكًا:

- "شكرًا على الحراسة، ألم يأتِ لص؟".

وأضاف:

- "ألم تشعر بخيبة أمل لعدم حضور لص؟".

وعند عودتى قالت لى زوجته:

- "نحن نأسف على ما سببناه لك من تعب فى الحراسة".

ويبدو أنها لم تكن تقصد "خسارة على حضورك وإضاعة الوقت رغم مشاغلك"، ولكن كانت تقصد "خسارة أنك انتظرت اللص ولم يأتِ"، وذلك كان من باب المزاح، ثم بعد ذلك أخرجت ورقة ووضعت فيها بقية الحلوى التى تبقت منى ثم أعطتنى إياها، فوضعتها فى جيبى، وخرجت مسرعًا من الزقاق البارد ليلاً الذى لا يسير فيه إلا القليل، واتجهت إلى المدينة العامرة بالحياة والحركة.

طردت من ذاكرتى ما حدث تلك الليلة وكتبته هنا بالتفصيل لأهميته، ولكن فى الحقيقة فى تلك الليلة عندما أخذت الحلوى وعدت إلى مسكنى لم أفكر فى حديثى معها باهتمام، ولم أر أنه مهم، وفى اليوم التالى عندما رجعت من الجامعة وأردت تناول طعام الغداء نظرت فوجدت قطعة الحلوى الملفوفة فى الورقة موضوعة فوق المنضدة، فأخرجتها ووضعتها دفعة واحدة فى فمى، وعندما كنت أتناولها فكرت فى الرجل والمرأة اللذين أعطيانى إياها، وقلت لنفسى: "هناك زوجان سعيدان فى هذه الدنيا"، ثم استمتعت بمذاقها.

- ٢٠ -

عندما جاء الشتاء، حدث ما جعلنى أعود فجأة إلى بلدتى، فقد وصلنى خطاب من أمى يقول إن مرض أبى وصل إلى مرحلة غير

مطمئنة، ليس معنى ذلك أنه سيموت الآن ولكن بما أنه مسن فاحتمال موته وارد، فتدبر أمورك وارجع بسرعة.

أبى مريض منذ فترة بالكبد، وهذا المرض يصيب بعض من هم فى منتصف العمر، وهو مرض مزمن، وكانت عائلتى، وكذلك أبى، يعتقدون أنه إذا كان هناك اهتمام بعلاج هذا المرض فلن يكون خطرًا على الحياة، وكان أبى يقول للضيوف الذين يحضرون إلى منزلنا إنه يتحمل مرض الكبد لحصوله على علاج، وقالت لى أمى فى الخطاب إن أبى خرج إلى حديقة المنزل وهم بالقيام بالعمل بها ولكنه شعر بدوار وسقط على الأرض فاقدًا الوعى، فاعتقدت أسرتى، خطأ، أنها سكتة دماغية خفيفة وعالجوه على هذا الأساس، ولكن عندما أحضروا طبيبًا قال إن ما حدث له ليس بسبب السكتة الدماغية ولكنه بسبب مرض الكبد، وكانت هذه هى أول مرة عرفنا أن فقدان الوعى له علاقة بمرض الكبد.

كان لا يزال هناك وقت على بدء إجازة الشتاء، فقلت فى نفسى سأنتظر إلى نهاية الفصل الدراسى وبداية الإجازة ثم أعود إلى بلدتى، وانتظرت يومين، ولكن خلال هذين اليومين كنت أتخيل منظر أبى النائم فى فراشه مريضًا وأتخيل القلق على وجه أمى، فلم أتحمل أن أفكر فى ذلك أكثر من هذا وقررت العودة فورًا دون انتظار بداية الإجازة، ولكى لا أرسل إلى عائلتى أطلب منهم أن يبعثوا لى نقودًا من أجل السفر إليهم فيستغرق ذلك وقتًا، قررت الذهاب إلى الأستاذ فأودعه قبل السفر وأطلب منه النقود التى سأحتاجها للسفر كقرض أقوم بسداده عند عودتى.

لم أدخل حجرة الضيوف هذه المرة، لأن الأستاذ كان مترددًا فى الحضور لمقابلتى لإصابته بنزلة برد، ودخلت حجرة المكتبة، وكانت أشعة الشمس التى نادرًا ما تسطع فى الشتاء تدخل من الباب الزجاجى للمكتبة وتنزل على مفرش المكتب، وكان قد وضع موقد كبير فى وسط حجرة المكتبة هذه الجيدة الإضاءة، وكان هناك إناء به ماء ساخن فوق حامل ويخرج من ذلك الإناء بخار يجعل الهواء الذى نستنشقه جميلا.

جاء الأستاذ فنظر فى وجهى وضحك وقال:

- "ليس مرضًا خطيرًا، بل نزلة برد خفيفة، المرض الخطير أفضل لى من نزلة برد خفيفة مثل هذه".

وبما أنه لم يسبق له أن مرض، فقد شعرت أننى أريد أن أضحك عندما سمعته يقول ذلك، فقلت:

- "إذا أصبت أنا بنزلة برد فسوف أتحملها، ولكن إذا كان مرضًا أكثر من ذلك فسوف أشعر بالضيق، أنت مثلى، أليس كذلك؟ إذا جربت فسوف تفهم ما أقول".

- "إذا كان سوف يصيبنى مرض فأريد أن يصيبنى مرض يميتنى".

لم أهتم كثيرًا بما قال وحدثته عن الخطاب الذى وصلنى من أمى، وطلبت منه مالا، فقال:

- "ما حدث لأبيك شىء محزن، عندى الآن ما تطلبه من مال، خذه وسافر".

نادى زوجته وقال لها أن تحضر المال الذى طلبته، وأخرجت

الزوجة المال من أحد أدراج دولاب أكواب الشاى، ووضعته فوق ورقة بيضاء وأحضرته لى وقالت:

- "إن مرض أبيك.مقلق".

فقال الأستاذ:

- "هل فقد الوعى عدة مرات؟".

- "لم تذكر لى أمى فى الخطاب عن ذلك شيئًا، ولكن هل هناك احتمال أن يكون فقد الوعى عدة مرات؟".

- "نعم".

وعلمت حينذاك أن أم زوجة الأستاذ كانت مصابة بنفس مرض أبى، وماتت بسببه، فقلت:

- "هذا يعنى أنه فى خطر".

فقالت:

- "لو كنت أستطيع أن أمرض بدلاً منه لفعلت، وهل يتقيأ؟".

- "لا أعلم لم تذكر لى أمى عن ذلك شيئًا، ولكن لا أعتقد أن مرضه وصل لتلك الدرجة".

- "إذا لم يكن يتقيأ فهو بخير".

وركبت قطار تلك الليلة وغادرت طوكيو عائدًا إلى بلدتى.

- ٢١ -

لم يكن مرض أبى سيئًا كما تخيلت، فعندما وصلت إلى المنزل كان أبى جالسًا فوق الفراش وقال:

- "سوف أجلس هكذا وأتحمل المرض حتى لا يقلق الجميع

ويعتقدون أن مرضى خطير، ولن يحدث شيء".

وفى اليوم التالى جعل أمى تأخذ الفراش الذى فرشته له على الأرض لينام عليه وتضعه فى الدولاب، وبينما كانت أمى تثنى اللحاف، قالت لى:

- "أبوك شعر بالقوة فجأة عندما عدت".

ولم أشعر أن أبى يتصنع أنه قوى.

كان أخى الأكبر يعمل فى جزيرة "كيوشو" التى تبعد عنا الكثير، ولم يكن فى استطاعته الحضور لرؤية أبى وأمى بسهولة، وكانت أختى الصغيرة متزوجة فى بلدة أخرى، وإذا استدعيناها للحضور فلن تستطيع الحضور بسرعة، والشخص الذى تعد ظروفه أفضل بيننا نحن الثلاثة إخوة فيتمكن من الحضور السريع هو أنا؛ لأننى طالب، وقد شعر أبى برضا شديد أن استجبت لرسالة أمى وتركت الدراسة وحضرت قبل بدء الإجازة.

قال لى أبى:

- "أشعر بالأسف لأنك تركت دراستك وحضرت رغم أنى لست مريضًا لدرجة كبيرة، لقد أخطأت أمك بكتابة خطاب بالغت فيه بسوء حالتى".

- "لا تبذل مجهودًا كبيرًا حتى لا تسقط مرة أخرى".

وشعر أبى بالسعادة مما قلت، ولكنه لم يأخذ كلامى مأخذ الجد، وقال:

- "ماذا؟! لو أخذت حذرى كما كنت أفعل من قبل فلن يكون هناك ما يسوء".

وفى الحقيقة أن أبى كان يبدو عليه أنه فى صحة جيدة، فقد كان يتنقل فى البيت ولم يشعر بتعب ولا بدوار، ولكن لون وجهه فقط كان سيئًا عن الشخص العادى، ومرضه هذا لم يكن قد أصيب به الآن، ولذلك لم نعبأ بلون وجهه هذا.

كتبت خطابًا إلى الأستاذ أشكره على إقراضى المال، وأخبره أننى سوف أحضره عند عودتى إلى طوكيو، وأرجوه أن يتحمل تلك المدة إلى حين عودتى، وقلت له إن أعراض مرض أبى ليست خطيرة كما كنت أتصور، وإن المرض ليس خطيرًا فى الوقت الحالى مما يجعلنى مطمئنًا عليه، وإنه لا يصاب بالدوار ولا بالغثيان، وسألت عن مرضه هو وتمنيت له الشفاء، وفى الواقع أننى كنت أرى أن مرضه بالبرد أمر هين.

عندما أرسلت الخطاب لم أكن أتخيل أنه سيرسل لى ردًا، وكلمت أبى وأمى عن الأستاذ وتخيلت حجرة مكتبته التى تبعد عنى الكثير.

قالت أمى:

- "عندما تعود إلى طوكيو هذه المرة خذ معك عيش غراب (فطر) هدية له".

- "نعم، ولكن هل سيأكل عيش غراب مجففًا؟".

- "إنه ليس لذيذ الطعم لدرجة كبيرة، ولكن لا أحد يكرهه".

جاءنى خطاب فشعرت بالدهشة، خصوصًا أن الخطاب لم يحتوِ على موضوع ذى أهمية، فقلت لنفسى إن الأستاذ كتب لى ردًا كنوع من الأدب ليس أكثر، ولكن ذلك الخطاب جعلنى سعيدًا.

جدًا، وبخاصة أنه كان أول خطاب أتلقاه منه.

ربما يعتقد البعض أنه كانت هناك خطابات كثيرة بينى وبين الأستاذ، ولكن فى الحقيقة أن هذا غير صحيح، فما تلقيته منه فى حياته خطابان اثنان فقط، أحدهما ما تلقيته فى هذا الوقت وهو خطاب قصير، والخطاب الآخر كان قبل وفاته، وكان على عنوان سكنى فى طوكيو، وكان خطابًا طويلا جدًا.

مرض أبى يتطلب منه ألا يجهد نفسه كثيرًا، فرغم أنه ترك الفراش فإنه لم يكن يخرج من المنزل، مرة واحدة كان الجو دافئًا وقت الظهيرة فخرج إلى حديقة المنزل، وكان حذرًا جدًا وظللت بجواره ليستند علىّ، وكنت قلقًا عليه فأخذت يده وحاولت وضعها على كتفى، لكنه ضحك ولم يضعها.

- ٢٢ -

جلست مع أبى الذى يشعر بالملل نلعب الشطرنج، وكنا نشعر بالكسل فوضعنا قاعدة الشطرنج فوق منضدة وجلسنا أمام مدفأة الأقدام ووضعنا أيدينا تحت الغطاء، وكلما أراد أحدنا أن يحريك قطعة أخرج يده ثم يضعها تحت الغطاء مرة أخرى، وأحيانًا كانت تسقط منا قطع الشطرنج ولا نلاحظ ذلك إلا عندما نبدأ فى لعب دور جديد، وكانت قطع الشطرنج تسقط فى رماد الموقد وتقوم أمى بالتقاطها بملقط الفحم.

وكلما انتهى دور قال لى أبى فلنلعب دورًا آخر، ووسيلة التسلية هذه التى تناسب كبار السن قد جذبتنى جدًا فى البداية،

ولكن بما أننى شاب، فمع مرور الوقت فقدت حماسى تجاهها، فأحيانًا كنت أضع قطع الشطرنج فى قبضة يدى وأضعها فوق رأسى وأتثاءب.

تذكرت طوكيو وسمعت ضربات قلبى، وشعرت بها تزداد بطريقة غريبة، عندما تذكرت الأستاذ، وقارنت داخلى بين أبى والأستاذ، وإذا فكرنا فى كليهما من ناحية الحياة فلا نعرف هل هما حيان أم ميتان، وإذا فكرنا فيهما من ناحية أخرى فهما لا شىء، ولذلك فإن أبى الذى يلعب معى الشطرنج كنوع من اللهو، لا يجعلنى أشعر بالرضا التام، بل أشعر معه بأن هناك شيئًا ينقصنى، ولكن السعادة التى أشعر بها عند التعامل الذى يتسم بالمرح مع الأستاذ أثر فى عقلى دون أن أشعر، ولكنى قلت: "أثر فى عقلى"، وهذا يدل على البرود، ولذلك أريد أن أصوب قولى وأقول: "أثر فى قلبى"، ولو قلت إن للأستاذ تأثيرًا قويًا على بدنى أو إن روحه تسرى فى دمى، سوف يعتقد من يسمع ذلك أننى بلا كرامة، وأصبت بالدهشة لهذه المفارقة بين والدى والأستاذ الغريب عنى.

وحتى الآن كنت فى نظر والدىّ شخصًا اشتاقا إليه، ولكن بعد ذلك أصبحت شخصًا اعتادا على وجوده، وهذا ما يشعر به أى طالب يعود إلى منزل عائلته فى الإجازة؛ فيتم الترحاب به والتعامل معه بطريقة مميزة فى الأسبوع الأول، ولكن بعد انقضاء الأسبوع الأول تبرد مشاعر الأسرة ناحيته، وفى النهاية يشعر أنه كم مهمل، فوجوده أو عدمه سيان. تخطيت حاجز الأسبوع الأول، وفوق ذلك فى كل مرة كنت أرجع فيها من طوكيو كانت تتغير فىّ أشياء لا

يستطيع والداى إدراكها، فهما لم يستطيعا التكيف مع العادات التى كنت أكتسبها من معيشتى هناك، وكنت أحاول تحاشى إظهار ما اكتسبته من عادات من طوكيو، ولكن بما أن تلك العادات أصبحت جزءًا من طبيعتى فلم أكن أستطيع إخفاءها، وكان والداى يكتشفانها، مما كان جعلنى أشعر بالضيق، وأفكر فى العودة إلى طوكيو.

كانت الحالة الصحية لأبى بدأت فى التحسن، وأحضرنا طبيبًا من منطقة بعيدة وأجرى الكشف على أبى وطمأننا، ولذلك قررت الرجوع إلى طوكيو رغم أن الإجازة كان قد بقى على نهايتها عدة أيام، وعندما أعلنت لوالدىّ نيتى فى العودة إلى طوكيو شعرا بالضيق واعترضا على ذلك، فقالت أمى:

- "أليس الوقت مبكرًا على ذلك؟".

وقال أبى:

- "ما زال هناك خمسة أيام على بداية الدراسة، اقضها معنا هنا".

ولكنى لم أغير الموعد الذى حددته لعودتى.

- ٢٣ -

عندما عدت إلى طوكيو وجدت أشجار الصنوبر تمت إزالتها من الأماكن المختلفة، وكانت هناك رياح باردة ولم يكن هناك ما يوحى بقدوم أعياد رأس العام.

وعلى الفور ذهبت إلى منزل الأستاذ لإعطائه النقود التى اقترضتها منه، وأخذت معى عيش الغراب، وكنت أشعر أنه ليس من الأدب أن

أخرجه من العلبة وأضعه أمامه، وأمى قالت لى ذلك أيضًا، بل أضعه بعلبته أمام زوجة الأستاذ وأقول لها: تفضلى هذا، وكان عيش الغراب موضوعًا فى علبة حلوى جديدة، فأخذته الزوجة وشكرتنى وذهبت إلى الحجرة التالية واندهشت أن العلبة خفيفة وسألتى:

- "ما هذه الحلوى؟".

قالتها بطريقة أظهرت الجانب الطفولى والبرىء فى شخصيتها.

وسألنى الأستاذ وزوجته عن أحوال أبى، ثم قال لى:

- "حكيت لنا عن حالته، ويبدو أنه لا يعانى مرضًا خطيرًا الآن، ولكن المرض مرض ولذلك يجب الحرص".

كان الأستاذ يعرف الكثير الذى لا أعرفه أنا عن مرض الكبد. قال:

- "إن خطر هذا المرض يكمن فى أنك تصاب به ولا تشعر بأعراضه، فلقد كنت أعرف ضابطًا مات بهذا المرض، وكان موته بطريقة لا يصدقها أحد؛ كان ينام بجوار زوجته، وفى منتصف الليل شعر ببعض التعب فأيقظها ليخبرها بذلك، وفى صباح اليوم التالى كان قد مات، وكانت تعتقد أنه نائم".

كنت متفائلا حتى سمعت هذا الكلام فشعرت بالقلق. قلت له:

- "هل يعنى هذا أن أبى سيحدث له ذلك؟ ليس هناك ما يمنع أن يحدث له ذلك، أليس كذلك؟".

- "ماذا قال الطبيب؟".

- "لا يمكن أن يشفى من هذا المرض، ولكن حالته الآن لا تستدعى القلق".

- "هذا جيد، فليس هناك أهمية أن تفكر فيما قلته الآن عن ذلك الشخص، فقد كان ضابط جيش عنيفًا جدًا".

فشعرت بقليل من الاطمئنان، ثم قال وهو ينظر إلى ويرى أثر كلامه على تعبيرات وجهى:

- "ولكن الإنسان سواء كان فى صحة جيدة أو مريضًا فهو مخلوق ضعيف، لا يعرف متى وأين وكيف يموت".

- "وهل تفكر أنت فى ذلك؟".

- "مهما كانت صحتى جيدة فأحيانًا أفكر فى ذلك"

ثم ابتسم وأضاف:

- "أليس هناك من يموت فجأة بطريقة طبيعية؟ أليس هناك من يموت فى لحظة بطريقة عنيفة غير طبيعية؟".

- "ماذا تقصد بطريقة عنيفة غير طبيعية؟".

- "لا أعرف جيدًا، ولكن كل من ينتحر فهو يستخدم طريقة عنيفة غير طبيعية".

- "ومن يُقتل فإنه يموت بطريقة عنيفة غير طبيعية، أليس كذلك؟".

- "لم أفكر فى من قُتل.. ولكن كلامك صحيح".

عدت إلى مسكنى، ولم أشعر بقلق على أبى، وفكرت فيما قاله الأستاذ عن الموت الطبيعى والموت العنيف غير الطبيعى، ولكن بعد أن تركته لم يعد فى ذهنى شىء عن ذلك، وكنت أمسك القلم للبدء فى بحث التخرج ثم أتركه مرة أخرى، وتذكرت أنه يجب أن أبدأ فى كتابته بطريقة جدية من الآن.

من المفترض أن أتخرج فى شهر يونيو من ذلك العام لذا فكان يجب علىّ الانتهاء من كتابة بحث التخرج فى أبريل، وعندما عددت على أصابعى الشهور المتبقية فكانت ثلاثة أشهر فشعرت برعب، حيث إن الطلاب الآخرين كانوا مشغولين من قبل بجمع المادة العلمية وتدوين الملاحظات، ولكنى أنا الوحيد الذى لم يبدأ بعد، وكل ما فعلته هو أننى كنت قد قررت أن أجتهد فى كتابة البحث بدء العام الجديد، وبناء على ذلك القرار فقد بدأت، ولكن لم أستطع الكتابة بسرعة، فلم أكن قد فكرت بعمق، وكل ما فعلته هو أننى كنت قد فكرت وتوصلت فى عقلى فقط إلى الخطوط العامة للبحث، ولذلك بدأت أشعر بالقلق، ثم بعد ذلك جعلت موضوع البحث أضيق، ولكى أوفر الوقت فى ترتيب أفكارى، قررت أن أقوم بكتابة المواد العلمية الموجودة فى المراجع، بعضها بجانب بعض، ثم أضيف إلى ذلك الاستنتاج الذى يناسب تلك المواد العلمية.

كان الموضوع الذى اخترته لبحث التخرج له علاقة بالأستاذ، وعندما سألته عن رأيه فى الموضوع قال إنه جيد، وبشعور من الفزع ذهبت إليه وسألته عن المراجع التى يجب أن أقرأها، وأخبرنى على قدر معلوماته عن المراجع، ثم أعارنى بعضها، ولكنه لم يحاول تحمل مسؤولية الإشراف على البحث. وقال لى:

- "أنا لا أقرأ هذه الأيام، ولذلك لا أعرف الجديد فى هذا المجال، وعليه؛ من الأفضل لك أن تسأل أساتذتك فى الجامعة".

تذكرت حينذاك أن زوجته قالت لى إنه كان يقرأ كثيرًا ولكن

فى الفترة الأخيرة لم يعد له اهتمام بالقراءة، وبعيدًا عن البحث قلت دون أن أقصد:

- "لماذا لم يعد عندك اهتمام بالقراءة كما كان من قبل؟".

- "ليس هناك سبب معين، ولكنى رأيت أن مهما قرأت فلن أصبح إنسانًا عظيمًا، بجانب..".

- "هل هناك بجانب ذلك أسباب أخرى".

- "أشياء لا ترقى لأن تكون أسبابًا، ولكن عندما كنت أتعامل مع الناس وكان البعض يسألنى، فإذا لم أكن أعرف كنت أشعر بالخجل، ولكن الآن لا أخجل من عدم المعرفة، كما أنه لم يعد عندى صبر على القراءة، بمعنى أننى أصبحت مسنًا عاجزًا".

كان يتحدث بهدوء ولكنى شعرت أن وراء الهدوء آلام إنسان ولى المجتمع ظهره، ولم أشعر أنه مسن عاجز ولم أشعر أيضًا أنه عظيم، فعدت إلى مسكنى.

انشغلت بكتابة بحث التخرج لدرجة أن شعرت بالإجهاد واحمرت عيناى مثل المرضى النفسيين، وسألت عما فعله أصدقائى الذين تخرجوا منذ عام بالنسبة للبحث، فقيل لى إن أحدهم ذهب مسرعًا بسيارة إلى الجامعة ليلحق تسليم البحث فى آخر يوم للتسليم، وآخر ذهب متأخرًا ربع ساعة عن موعد التسليم وتوسل للأستاذ كثيرًا كى يوافق على تسلم بحثه، فشعرت بالقلق وحاولت التماسك، وكنت أكتب كل يوم ما دمت أستطيع الكتابة، وإذا لم أستطع الكتابة كنت أدخل إلى المكتبة وأبحث عن المراجع وسط الكتب هنا وهناك، وكنت مثل من يحبون جمع

"الأنتيكات" (التحف)، فكنت أقلب فى الكتب وأقرأ المكتوب على الأغلفة بحروف مذهبة.

عندما أزهرت أشجار البرقوق، كانت الرياح الباردة تغير اتجاهها ناحية الجنوب، واستمر ذلك فترة، وكنت أسمع ما يقال عن زهور الكرز بأذنى، ومع ذلك كنت كالحصان المربوط فى عربة والبحث سائق يضربى بالسياط لأسرع، وأخيرًا فى نهاية شهر أبريل استطعت الانتهاء من كتابة البحث كما هو محدد، وإلى أن حدث ذلك لم تطأ قدماى منزل الأستاذ.

- ٢٥ -

حصلت على حريتى عندما بدأ فصل الصيف، حيث كانت زهور أشجار الكرز قد سقطت وبدأت البراعم الخضراء التى يحيط بها الضباب تنمو على الفروع، فأصبحت كالعصفور الذى خرج من القفص المحبوس فيه إلى الدنيا الواسعة التى يشعر فيها بالحرية ويرفرف بجناحيه ليطير كيفما شاء، فذهبت على الفور إلى منزل الأستاذ، وفى طريقى شد انتباهى البراعم الصغيرة التى نبتت على الفروع الرصاصية لأشجار البرتقال المحاطة بسياج، وكذلك البراعم الجميلة ذات اللون البنى التى تخرج من الجذع الجاف لشجرة الرمان، وتعكس برقة أشعة الشمس.. رأيت تلك المناظر وكأننى أراها لأول مرة فى حياتى.

نظر الأستاذ إلى وجهى الفرِح وقال:

- "هل انتهيت من بحث التخرج؟".

- "انتهيت منه بمساعدتك، ولم يعد عندى ما يجب عمله".

وفى الواقع أننى كنت حينذاك منشرح الصدر؛ فقد انتهيت من العمل الذى كان يجب علىّ القيام به، ومن الممكن من الآن فصاعدًا أن أجتهد فى اللهو فقط، وكان عندى الثقة والرضا عن بحث التخرج، وحدثت الأستاذ عن ذلك البحث طويلاً، فكان يقول: "نعم، هو كذلك"، وأحيانًا يقول: "أهكذا؟!"، فشعرت بقليل من الحزن لقلة تعليقاته، ومع ذلك كنت أتحدث بحماس شديد لكى أُخرجه من حالة التردد التى هو فيها، ولكى أجذبه للخروج إلى الحياة الخضراء الناضرة الجميلة مرة أخرى. ثم قلت له:

- "ألا نخرج للتنزه فى أى مكان؟ الجو جميل فى الخارج".

- "أين؟".

ولم يكن عندى مانع من الذهاب إلى أى مكان، فقط أردت الخروج معه إلى الضواحى.

وبعد مرور ساعة خرجنا كما قررنا خارج المدينة فى مكان هادئ بين الحضر والريف ومشينا دون بغية الوصول إلى مكان معين، فأخذت برعمًا رقيقًا وصغيرًا من السياج واستخدمته كصافرة، وكنت قد تعلمت ذلك من صديق من جزيرة "كاجوشيما" وأجدته، ورغم أننى كنت أعزف بمهارة فإنه تجاهل ذلك واتجه إلى ناحية أخرى ومشى.

وصلنا إلى ممر ضيق مملوء بالأشجار يؤدى إلى جبل صغير يعلوه مبنى، وكان أسفل الممر بوابة وعلى عمود البوابة لافتة

مكتوب عليها "حديقة..."، فعرفت أن هذا المبنى ليس منزلا خاصًا بأحد الأشخاص، ونظر أعلى البوابة وقال:

- "هيا ندخل".

- "إنه مشتل نباتات".

مشينا فى الطريق الصاعد والملتوى وسط أشجار كثيفة إلى أن صعدنا إلى نهايته فوجدنا على الجانب الأيسر منزلا، وكانت الأبواب مفتوحة، ولم يكن هناك أى أثر لإنسان، فقط كان هناك فى مقدمة المنزل إناء كبير فيه أسماك زينة تتحرك، فقلت:

- "المكان هادئ جدًا، هل نستطيع الدخول دون استئذان؟".

- "نعم".

دخلنا إلى نهاية المنزل ومع ذلك لم نجد أى إنسان بالداخل، كانت جميع الزهور متفتحة لدرجة التوهج، فأشار إلى شجرة عالية ذات لون أصفر محمر وقال:

- "هذا النوع من الأشجار اسمه كيريشيما".

وكانت نبتة عود الصليب مزروعة على مساحة ٣٠ مترًا مربعًا تقريبًا، ولكن لم يكن حان الوقت الذى تزهر فيه بعد، وإلى جانب تلك الأرض المزروعة بنبتة عود الصليب يوجد مكان مرتفع مثل المقعد الطويل فنام هناك وهو فاتح زراعيه وقدميه، وجلست أنا على حافة ذلك المكان المرتفع ودخنت سيجارة، كان ينظر إلى السماء الصافية الشفافة، فيما غرقت أنا فى التفكير فى لون النباتات اليانعة التى تحيط بى، وعندما دققت النظر فى ألوان تلك النباتات وجدت أنه لا يوجد لون مثل الآخر، جميعها ألوان مختلفة عن

بعضها البعض، حتى ألوان أوراق غصون شجرة القيقب؛ تختلف من غصن إلى آخر. طيرت الرياح قبعة الأستاذ التى كانت معلقة على قمة أشجار الأَرْز فسقطت على الأرض.

- ٢٦ -

التقطت القبعة وأزلت ما علق بها من تربة حمراء بأظفارى، وقلت:

- "يا أستاذ قبعتك سقطت".

- "شكرًا".

انحنى وأخذ القبعة وفى ذلك الوضع الذى لا هو قيام ولا جلوس سألنى سؤالا غريبًا؛ قال:

- "هل عائلتك لها أملاك كبيرة؟".

- "ما نملكه لا يعد كثيرًا".

- "أعرف أنى أسأل عن خصوصيات ولكن ماذا تملك عائلتك؟".

- "بعض الأشجار وقليلا من الحقول التى نزرعها أرزًا فقط ولا نملك أى مال".

كانت المرة الأولى التى يسألنى أسئلة جادة عن النواحى المالية الخاصة بأسرتى، ولم أكن قد سألته قط عن أحواله المادية، ولكنى عندما عرفته ووجدته يعيش دون عمل تعجبت وسألت نفسى من أين له أن ينفق وهو لا يعمل؟! وظللت حتى الآن أتعجب وأسأل نفسى عن مصدر دخله، ولكنى تجنبت الحديث فى هذا الأمر معه

حتى لا أسبب له الحرج. كان لون العشب اليانع يريح عينى المرهقتين، ولكن سؤاله هذا جعلنى فجأة أفكر مرة أخرى فى مصدر دخله فتجرأت وسألته:

- "وما الوضع بالنسبة لك؟ ما هى أملاكك؟".

- "هل أبدو كصاحب أملاك؟".

الأستاذ دائمًا يرتدى ملابس بسيطة، كما أن عدد من يعيشون فى منزله قليلون، ومنزله ليس كبيرًا وبالتالى من الواضح أنه لا يعيش عيشة الرفاهية، يعنى أنه لا يعيش فى يسر شديد ولا فى عسر شديد.

فقلت له مجيبًا عن سؤاله:

- "نعم يبدو عليك ذلك".

- "نعم عندى بعض المال ولكن ليس لدرجة أن يقال عنى إننى غنى، فلو كنت غنيًا لبنيت منزلا كبيرًا".

وحينئذ اعتدل فجلس القرفصاء وعندما انتهى من كلامه أمسك بعصى من الخيزران ورسم دائرة على الأرض، وبعد ذلك غرسها فى الأرض، ثم قال وكأنه يكلم نفسه:

- "ولكنى فى الأصل كنتَ صاحب أملاك".

وبعد ذلك لم أجد ما أقوله تعليقًا على كلامه فصمتُ.

ثم أضاف:

- "أنت، فى الأصل أنا كنت صاحب أملاك".

ثم نظر إلى وضحك، ولم أُعلق على كلامه، فلقد رأيت أنه ليس من اللائق التعليق على ذلك، وبعد ذلك غير مسار الحديث، فسألنى:

- "هل هناك أى جديد بالنسبة لمرض والدك؟".

لم تكن عندى معلومات جديدة عن مرض أبى منذ رأس العام، فكالعادة كانت تصلنى حوالة مالية وخطاب قصير من أبى ولم يذكر فيه أى شىء عن مرضه، كما أن خطه فى الكتابه كما هو لم يتغير، فإذا كان مريضًا لكانت يده اهتزت وظهر أثر ذلك على خطه، ثم قلت:

- "لم يتحدث فى خطابه عن مرضه، وهذا يعنى أنه بخير".

- "أتمنى أن يكون بخير، ولكن المرض مرض".

- "هل تعنى أنه ليس بخير؟ ولكنه يبدو فى الفترة الحالية بخير، فلم يصلنى خطابات تقول إنه فى حالة سيئة".

- "أهو كذلك؟".

استمعت إلى كلامه عن ممتلكات أسرتى ومرض أبى كأنه كلام عادى، فقد قال ما خطر على باله بشكل تلقائى، ولكن كان لكلامه معنى كبير حيث إنه كان يربط بين ممتلكات أسرتى ومرض أبى، ولكنى لم أنتبه إلى ذلك لأنى ليس لى ما له من خبرة.

- ٢٧ -

- "إذا كان لأسرتك ممتلكات فيجب تقسيمها الآن، كلامى هذا قد يضايقك ولكن ما دام والدك الآن بصحة جيدة، فإذا كان لك نصيب فى تلك الممتلكات فمن الأفضل أن تحصل عليه الآن، فإذا حدث مكروه لوالدك فإن أكثر مشكلة تسبب المتاعب هى مشكلة الميراث".

- "نعم".

ولكنى لم أعير كلامه انتباهًا كبيرًا، حيث إننى كنت أعتقد أن ليس هناك من هو قلق من هذه الأشياء، سواء أنا أو أبى أو أمى، واندهشت لأنه كان يتحدث بواقعية شديدة جدًا أكثر من اللازم، ولكن لأننى من الطبيعى أن أحترم كبار السن فلم أُعلّق على ما قال.

ثم قال بطريقة فيها مرارة نادرًا ما كان يتحدث بها:

- "إذا كنت تحدثت عن موت والدك بطريقة جرحتك فأرجو أن تسامحنى، ولكن كل إنسان سوف يموت، وأى إنسان مهما كان بصحة جيدة لا يعلم متى يموت".

فقلت له ردًا على اعتذاره:

- "لم أشعر بأى ضيق من كلامك".

ثم سألنى:

- "كم عدد إخوتك؟".

ثم سأل بعد ذلك عما إذا كان لى أقارب أم لا، وعن أعمامى وأخوالى وعماتى وخالاتى، وقال:

- "هل هم أناس أخيار؟".

- "ليس فيهم من هو شرير، فالفلاحون أخيار".

- "لماذا الفلاحون ليسوا أشرارًا؟".

شعرت بالإرهاق من متابعة كلامه والرد عليه ولم يعطنى أى وقت للتفكير فى الرد عليه، بل أضاف:

- "الفلاحون أسوأ من أهل المدينة، ولقد قلت الآن إنه ليس

بينهم من هو شرير، ولكن هل تعتقد أن الدنيا ليس فيها أشرار؟ الأشرار ليسوا مجموعة من البشر منفصلة فى هذه الدنيا، الجميع فى الأوقات العادية أخيار، على الأقل الأغلبية بشر عاديون، ولكن فى الواقع، فى وقت معين، يتغيرون إلى بشر أشرار وهذا هو المرعب، ولذلك يجب الحذر".

ولم يتوقف حديثه عند هذا الحد، وعندما هممت بالكلام، فإذا بكلب ينبح خلفنا، فاندهشنا والتفتنا إليه.

بجانب المكان المرتفع حيث كانت توجد نباتات الأرز كانت هناك مساحة عشرة أمتار تقريبًا مزروعة بالخيزران بدرجة كثيفة تخفى ما وراءها من أرض، ولقد أطل الكلب بوجهه من فوق ذلك الخيزران وأخذ فى النباح، وجاء نحو عشرة أطفال وراء الكلب حيث كانوا يضايقونه، وكان الأطفال يرتدون قبعات سوداء عليها شارة والتفوا حول الأستاذ وألقوا التحية عليه.

وقال أحدهم:

- "يا عم، ألم يكن هناك أحد فى المنزل عندما دخلت؟".

- "لا".

- "لقد كانت أمى وأختى فى المطبخ، ألم تعرف؟".

- "لا لم أكن أعرف".

- "لقد كان من الأفضل أن تقول السلام عليكم ثم تدخل بعد ذلك".

فضحك وأخرج من جيبه الحافظة وأخرج منها قطعة معدنية من فئة الخمسة ينات ووضعها فى يد ذلك الطفل، ثم قال:

- "اذهب إلى أمك وأخبرها أن تدعنا نرتاح هنا لبعض الوقت".

ابتسم الولد الذى كان يبدو على وجهه الذكاء وأومأ برأسه موافقًا وقال:

- "أنا الآن قائد قوات الاستطلاع".

وبعد ذلك مشى وسط أشجار الأزلية ونزل مسرعًا إلى الطريق المنحدر، وتبعهم الكلب الذى رفع ذيله، وبعد قليل جاء عدة أطفال فى نفس عمر هؤلاء الأطفال ثم ذهبوا مسرعين فى نفس الاتجاه الذى سار فيه قائد قوات الاستطلاع.

- ٢٨ -

بسبب الكلب والأطفال لم نكمل ما كنا نتحدث فيه، ولذلك لم أستطع فهم مضمون كلامه، ولم أشعر بأى قلق حينذاك عما ذكره عن الإرث، فعندما نفكر فى موضوع الإرث من ناحية وضعى حينذاك، فلم يكن هناك ما يجعلنى أقلق وأنشغل بالتفكير فى الفائدة التى تعود علىّ من تقسيم الإرث الآن، حيث إننى لم أكن تخرجت فى الجامعة وعملت، بجانب أننى لم أتعرض لهذا الموقف فى الواقع، وعلى كل حال فقد شعرت أن مشكلة الإرث بعيدة عنى، حيث إننى ما زلت صغيرًا على التفكير فى ذلك.

ولكن ما كنت أريد السؤال عنه بالتفصيل، شىء ذكره فى كلامه، ألا وهو معنى "فى الواقع هناك وقت معين، يتغير فيه أى إنسان فيصبح شريرًا"، جملة بسيطة ولا أستطيع أن أقول إننى لم

أفهمها ولكنى أريد أن أفهم أكثر ما يقصد بذلك.

بعد أن رحل الكلب والأولاد أصبح المكان المزروع بالعشب الناضر هادئًا مرة أخرى، وبعد ذلك ظللنا فى صمت لمدة، ثم اختفى اللون الجميل للسماء تدريجيًا وكان أمامى كثير من أشجار القيقب وكانت نباتاتها الناضرة مثل نقاط الماء التى توشك أن تسقط عن الفروع، وتدريجيًا أظلم لونها الأخضر الفاتح وسمعنا صوت عربة حمل أمتعة فى مكان بعيد، فتخيلت قرويًا يحمل نباتات على عربة ويجرها ذاهبًا إلى الاحتفال لبيعها هناك، وعندما سمع صوت جر تلك العربة، أفاق من تأملاته وأخذ نفسًا عميقًا ووقف وقال:

- "هيا نعود، لقد طال النهار ولكن الليل سوف يأتى بسرعة ونحن نرتاح هنا ولا نشعر بمرور الوقت".

علق كثير من القاذورات بظهره، فأزلتها بيدى، فقال:

- "شكرًا، هل سقطت؟".

- "نعم سقطت تمامًا".

- "هذا الرداء تمت حياكته منذ عدة أيام، فإذا لم أحافظ على نظافته وعدت به متسخًا إلى المنزل فسوف تعنفنى زوجتى، شكرًا لك".

وعند نزولنا من الطريق المنحدر قليلا مررنا مرة أخرى أمام المنزل، وفى شرفة ذلك المنزل الذى لم نجد فيه شخصًا عندما دخلناه سابقًا، وجدنا سيدة المنزل تلف خيوطًا على بكر بمساعدة نحو خمس عشرة فتاة، فألقينا عليها التحية وقلنا لها من جانب إناء أسماك الزينة:

- "شكرًا على حسن استضافتك لنا".

فردت التحية وقالت:

- "لا شكر على واجب".

ثم شكرتنا على ما أعطيناه للطفل من نقود.

بعد أن عبرنا البوابة بنحو مائتى متر، قلت:

- "لقد قلت منذ قليل فى الواقع هناك وقت معين يتغير فيه أى إنسان فيصبح شريرًا، فماذا كنت تعنى بذلك؟".

- "ليس هناك معنى عميق لذلك، إنها حقيقة، ليس كلامًا خياليًا".

- "لا أُنكر أنها حقيقة، ولكن ما أريد السؤال عنه هو ما الوقت الذى يتحول فيه الإنسان إلى شرير؟ ما الموقف الذى يحول الإنسان إلى شرير؟".

ضحك وكأنما لم يعد عنده حماس لشرح ذلك الآن، ثم قال:

- "المال يا صاح، أى إنسان حتى لو كان من النبلاء يرى المال فيصبح على الفور شريرًا".

كانت إجابته عادية جدًا ومملة، لم يكن متحمسًا للإجابة فجاءت مخيبة لتوقعاتى، فتركته ومشيت، فتأخر قليلاً عنى، فنادى علىّ وقال:

- "أنت، انتظر".

- "ماذا؟".

فوقفت أنتظر قدومه فنظر إلىّ وقال:

- "لقد تغير مزاجك لمجرد إجابة منى لم تَرُق لك، أليس كذلك؟".

شعرت بالضيق الشديد منه حينذاك، ومشينا جنبًا إلى جنب وقررت ألا أسأله عما كنت أريد، ولا أعلم إذا كان لاحظ ذلك أم لا، وكان يبدو عليه أنه غير عابئ بتصرفاتى، ومشى بجنبى صامتًا وهادئًا كالعادة فشعرت بغضب شديد من ذلك، فأردت أن أقول شيئًا يغضبه كما أغضبنى فقلت:

- "أستاذ".

- "ماذا؟".

- "لقد لاحظت أنك كنت تشعر بالضيق والغضب منذ قليل عندما كنا نستريح فى حديقة مشتل النباتات، لم أرك غاضبًا ومتضايقًا من قبل، اليوم أول مرة أراك غاضبًا ومتضايقًا".

لم يجب فى الحال، فشعرت أننى ربما استطعت أن أُغضبه، فقلت لنفسى ليس هناك من مفر أن أترك محاولة إغضابه ومضايقته، وفجأة جنح إلى جانب الطريق، وتحت سياج عشبى مهذب بطريقة جميلة رفع ذيل ردائه وتبول، فوقفت لا أفكر فى شىء معين إلى أن انتهى من ذلك، ثم قال:

- "آسف أننى جعلتك تنتظر لكى أبول".

ثم بدأ فى المشى مرة أخرى، وتغاضيت أنا عن فكرة إغضابه، وتدريجيًا أصبح الطريق الذى نسير فيه مليئًا بالحركة والنشاط، واختفت الحقول المستوية والمنحدرة عن أعيننا وظهرت بدلاً منها صفوف المنازل يمينًا ويسارًا، وشاهدنا بجانب المنازل أعواد الفول الأخضر تلتف على الخيزران وأقنان دجاج، وخيولا كثيرة تحمل

أمتعة وتعود من المدينة فى الاتجاه المعاكس لنا، وجذبتنى تلك المناظر فأنستنى ما كنت أفكر فيه، ولكنه جعلنى أفكر مرة أخرى فيما كنت أفكر فيه حينما عاد إلى الحديث عن ذلك الموضوع قائلاً:

- "هل كان يبدو علىّ الضيق والغضب منذ قليل؟".

- "ليس لدرجة كبيرة، ولكن كان يبدو عليك ذلك".

- "لا يضايقنى أن يبدو علىّ أننى غاضب، لأنى بالفعل كذلك، فعندما أتحدث عن الميراث أشعر بالضيق والغضب، فأنا لا أعرف كيف أبدو ولكنى غاضب وحزين جدًا من موضوع ميراثى، فما لاقيته من إهانة وضرر بسبب الميراث لن أنساه حتى بعد مرور عشرة أو عشرين عامًا".

وفى هذه المرة كان غاضبًا أكثر من المرة السابقة، ولكن ما أدهشنى ليس كلامه بتلك الطريقة التى تحمل مشاعر الضيق والغضب، ولكن دلالة كلامه، لم أكن أتوقع أن أسمع هذا الكلام منه، لم أتخيل أن العناد وعدم النسيان من صفاته، لقد كنت أعتقد أنه إنسان رقيق وضعيف، وهذه الرقة هى ما جذبتنى إليه، وحاولت أن أضايقه وأغضبه منذ قليل ولكنى شعرت بضآلتى عندما تحدث عن الميراث. قال:

- "لقد تم خداعى، وعلاوة على ذلك من خدعونى كانوا أقاربى الذين تربطنى بهم صلة الدم، لا أستطيع أن أنسى هذا أبدًا، فلقد كانوا أخيارًا أمام أبى عندما كان حيًا، ولكن بمجرد أن مات، تحولوا إلى أشرار، ولا يمكن أن أسامحهم على ذلك، فقد أهانونى

وسببوا لى الضرر منذ كنت طفلا إلى الآن، وإلى أن أموت سوف أظل أعانى من إهانتهم والضرر الذى سببوه لى، ولن أنسى هذا ما حييت، ولكنى لن أنتقم منهم، ولكنى أفعل الآن ما هو أكثر من الانتقام، فلم أكرههم فقط، بل كرهت البشر جميعًا، وهذا أكثر من المفروض".

وعندما سمعت ذلك لم أجد حتى كلمة مواساة أقولها له فصمتُ.

- ٣٠ -

انتهى الكلام عن ذلك الموضوع عند هذا الحد دون أن أصل إلى معرفة ما كنت أريد معرفته، فلقد شعرت بالرعب من تصرفاته، ولذلك لم تواتنى الجرأة على الاستمرار فى الكلام فى ذلك الموضوع.

ركبنا الترام من خارج المدينة ولم نتحدث فى أثناء ذلك، وكنا سنفترق عندما ننزل، وعند الفراق كان تصرفه غريبًا، فقال لى بطريقة متفائلة أكثر من المعتاد:

- "إن الفترة من الآن وإلى شهر يونيو هى أكثر أوقاتك راحة، وربما أكثر أيام حياتك راحة، استمتع بها على قدر المستطاع".

فضحكت وأخذت قبعتى من فوق رأسى، ونظرت إليه وقلت لنفسى متشككًا: "هل يكره البشر عامة داخل قلبه؟"، ولكنى لم أجد أن عينيه أو فمه أو أى جزء فيه يشير إلى أثر أنه يكره البشر والحياة.

وإنى أعترف أننى اكتسبت معلومات مفيدة جدًا من كلامه عن ذلك موضوع، ومن العدل أن أقول إن كلامه فى بعض الأحيان يكون مفيدًا وفى أحيان الأخرى يكون غير مفيد، وأحيانًا ينتهى كلامه دون أن أصل إلى فهم مضمونه بوضوح، وكان كلامه ذلك اليوم مثالا على ذلك، وبقى ذلك الكلام فى قلبى بعد ذلك ولم أنسه.

وفى مرة من المرات تجرأت وقلت له بوضوح إن كلامه فى بعض الأحيان مراوغ لا يكون واضحًا، فضحك وقال لى:

- "إذا كنت لا تعلم أن كلامك لى يكون غير واضح فى بعض الأحيان فلن أشعر بالضيق منك، ولكن أن تتعمد أن تتحدث بطريقة غير واضحة ومراوغة فذلك يضايقنى".

وأضاف:

- "إننى لا أُخفى شيئًا".

- "لا بل تُخفى أشياء".

- "أنت تقول إنك تريد أن تعرف وجهة نظرى وفكرى عن بعض الأمور، ولكنك تريد معرفة أمور كثيرة عن الماضى الخاص بى، أنا مفكر متواضع ولكنى لا أُخفى ما توصلت إليه من أفكار عن الآخرين، فليست هناك أهمية لإخفائها، ولكن أن أتحدث أمامك عن الماضى الخاص بى بكل تفصيلاته فهذا موضوع آخر".

- "ليس صحيحًا أن فكرك وماضيك ليس بينهما علاقة، أنا أحترم فكرك ولكنه جاء من ماضيك، وإذا فصلنا فكرك عن ماضيك فلن يكون لفكرك قيمة، سوف يكون فكرك مثل دمية ليس فيها

روح وبالتالى لن يجعلنى ذلك الفكر أشعر بالرضا".

نظر إلىّ وكأنه يشعر بالحيرة مما قلته ولا يعرف كيف يرد عليه، واهتزت السيجارة التى كان يمسكها بيده، ثم قال:

- "أنت جرىء أن تقول ذلك".

- "أنا صادق فيما أقول لا أكثر، أريد فعلاً أن أتعلم وأعرف الدنيا على حقيقتها".

- "تريد أن تنبش فى الماضى الخاص بى".

شعرت فجأة برعب عندما سمعت كلمة "تنبش"، فشعرت أن من يجلس أمامى ليس الأستاذ الذى أحترمه بل أحد المجرمين، وبعد ذلك أصبح وجهه شاحبًا ثم قال بهدف أن يتأكد:

- "هل أنت صادق فعلاً فيما تقول؟ فما حدث لى فى الماضى جعلنى لا أثق فى الناس، ولذلك فأنا فى الحقيقة لا أثق فيك، ولكنك الوحيد الذى أريد أن أثق فيه، إنه من السهل جدًا ألا أثق فيك، ولكنى أريد أن أثق فى أحد فى هذه الدنيا، حتى لو كان شخصًا واحدًا فقط قبل أن أموت، فهل تصبح أنت ذلك الشخص الواحد الذى يمكن أن أثق فيه؟ هل أنت صادق من أعماق قلبك؟".

فقلت وصوتى يرتعش:

- "طبعًا، كما أنى حى أُرزق حقيقة، فإن ما أقوله لك حقيقة وأنا صادق فيما أقول".

- "حسنًا إنى أصدقك، سأتكلم، سأُحدثك عن كل الماضى الخاص بى ولن أترك شيئًا لا أتحدث عنه، ولكن ربما يكون الماضى الخاص بى ليس مفيدًا لك كثيرًا، ومن الأفضل لك ألا

تعرفه، بجانب أننى لن أتحدث الآن عن ذلك، فانتظر إلى أن يأتى الوقت المناسب وحينئذ سأتكلم".

عدت إلى مسكنى وهناك أحسست بنوع ما من الضغوط علىّ.

-٣١-

كنت قد اعتقدت أن بحث التخرج الخاص بى على مستوى علمى عالٍ، ولكن أستاذى لم يرَ ذلك، ورغم ذلك فقد نجحت وتخرجت، وفى يوم احتفال التخرج أخرجت رداء شتويًا قديمًا عفن الرائحة من حقيبة كان مخزَّنًا فيها وارتديته، وعندما اصطففت مع بقية الطلاب فى قاعة احتفال التخرج، كان يبدو على الجميع أنهم يشعرون بالحرارة، فقد كنت أرتدى رداءً صوفيًا سميكًا لا يمرر الهواء مما جعلنى أشعر بحرارة شديدة ولكنى لم أعرف ماذا أفعل حيال ذلك، وبعد قليل أصبح المنديل الذى كنت أمسكه فى يدى مبتلا بشدة من العرق.

وبعد أن انتهى الاحتفال ورجعت إلى مسكنى خلعت ردائى على الفور، ثم فتحت النافذة ولففت شهادة التخرج فأصبحت كالتليسكوب فنظرت من خلال الفتحة فى النافذة، ثم ألقيتها على المنضدة وألقيت بنفسى على أرض الحجرة فاتحًا ذراعىّ وقدمىّ واسترخيت، وفى أثناء ذلك دار فى ذهنى شريط حياتى الماضية، ثم تخيلت حياتى القادمة، ووقفت وقلت لنفسى إن شهادة التخرج هذه نهاية مرحلة فى حياتى وبداية أخرى وقد يكون لها فائدة وقد تكون مجرد قطعة ورق ليس لها فائدة.

كنت مدعوًا إلى وليمة عند الأستاذ فى تلك الليلة، فقد قال لى سابقًا ألا أتناول العشاء فى مكان آخر ليلة التخرج وأن أحضر إلى منزله فأتناول العشاء عنده.

ومن أجل تلك الوليمة تم وضع منضدة الطعام فى حجرة الضيوف وبجانب الشرفة، وتم وضع مفرش مطرز سميك ومنشى فوق المنضدة كان يعكس ضوء المصباح بطريقة جميلة، ودائمًا عندما أتناول الطعام عنده يتم وضع عصىَ تناول الطعام وكذلك الأطباق فوق مفرش أبيض من الكتان كما يكون فى المطاعم الأوروبية، وتكون تلك المفارش شديدة البياض يتم غسلها خصيصًا من أجل ذلك.

قال:

- "المفارش مثل ياقة القميص وأكمامه، إذا كنت تريد استخدام قميص أبيض ليس نظيفًا فاستخدم قميصًا ياقته وكماه متسخان، وإذا أردت استخدام قميص أبيض نظيف فيجب أن تكون الياقة والأكمام ناصعة البياض".

وعندما سمعت ذلك عرفت أنه مولع بالنظافة، فمكتبه نظيف جدًا، وبما أننى إنسان لا يفكر فى شىء بعمق، فإننى كنت أنظر إلى حبه الشديد إلى النظافة على أنه من الصفات التى تميزه.

قلت لزوجته ذات مرة:

- "الأستاذ مهووس بالنظافة، أليس كذلك؟".

- "ولكن بالنسبة للملابس فهو ليس كذلك".

وكان يجلس بالقرب منا فسمعنا وقال:

- "فى الواقع أنا مهووس نفسيًا، ولذلك دائمًا أنا أُعانى، وعندما أفكر جيدًا فى ذلك أجد أن ذلك شىء سخيف".

ولم أفهم إذا كان يعنى بكلمة "مهووس نفسيًا" ما يُقال عنه؛ "شخص يقلق إذا لم يفعل الشىء الصحيح وبدقة متناهية"، أم يعنى "مولع بالنظافة لدرجة كبيرة جدًا"، كما أن زوجته لم تفهم أيضًا ماذا يعنى بذلك.

وفى تلك الليلة جلست إلى المائدة ذات المفرش الأبيض أمامه، وجلست زوجته بيننا متجهة إلى الحديقة.

رفع كأسه وقال لى "مبارك"، ولكنى لم أشعر بسعادة كبيرة من تصرفه ذلك، لأننى لم أشعر فى قلبى بسعادة غامرة عندما سمعت تلك الكلمة، بجانب أنه قالها بطريقة ليس فيها حماس يجعلنى أشعر بالسعادة، رفع كأسه وهو يبتسم ولكنى لم أرَ فى ابتسامته سخرية، ولكن فى الوقت نفسه لم أشعر أنه فعلاً سعيد وهو يقول "مبارك"، ولكن ابتسامته كانت توحى لى بأنه "فى موقف كهذا يقول الناس مبارك ولذلك فأنا أقولها لك".

ولكن زوجته قالت لى:

- "شىء عظيم، أكيد أن والدك ووالدتك سوف يفرحان بتخرجك".

فتذكرت فجأة مرض أبى، وقلت لنفسى يجب أن أعود إلى بلدتى بسرعة لكى يرى أبى شهادة التخرج".

ثم قلت:

- "أين شهادة تخرج الأستاذ؟".

فسأل زوجته:

- "أين هى؟ من المؤكد أنها موضوعة فى مكان ما".

- "نعم هى موضوعة فى مكان ما".

ومما قالاه عرفت أنهما لا يتذكران أين وضعا الشهادة.

- ٣٢ -

عندما بدأنا فى تناول الطعام أمرت زوجته الخادمة أن تخرج من الحجرة وبدأت فى خدمتنا، حيث إنه فى حالة وجود ضيف صديق كان من العادة عندهم أن تقوم الزوجة بالخدمة بدلاً من الخادمة، وفى أول وثانى مرة أتناول الطعام عندهم كنت أشعر بالحرج والتردد أن أطلب من زوجته أن تضع لى الأرز فى الطبق، ولكنى اعتدت ذلك ولم أعد أشعر بحرج ولا تردد ولا أى شعور غير عادى.

وكانت أحيانًا تقول لى بصراحة ودون خجل ما تريد قوله، مثل:

- "تطلب منى شايًا ثم أرزًا، أنت تأكل كثيرًا".

ولكن فى ذلك اليوم كان الجو حارًا، ولذلك لم تكن عندى شهية لتناول كثير من الطعام، وبالتالى لم تتح لها فرصة أن تغيظنى كما كانت تحب أن تفعل.

قالت الزوجة:

- "هل انتهيت من تناول الطعام؟ فى الآونة الأخيرة فقدت شهيتك، أليس كذلك؟".

- "لم أفقد شهيتى ولكن الجو حار مما يجعلنى أحجم عن الطعام".

فنادت الزوجة على الخادمة وطلبت منها تنظيف المائدة وإحضار أيس كريم وفاكهة، ثم قالت:

- "هذا الأيس كريم صنع يدى".

وهذا يعنى أنها عندها وقت فراغ كثير لدرجة عمل أيس كريم للضيوف، فتناولت منه ثلاثة أطباق.

قال الأستاذ:

- "لقد تخرجت ولكن ماذا تنوى أن تفعل الآن؟".

ثم حرك الوسادة التى كان يجلس عليها قليلاً ناحية الشرفة وأسند ظهره إلى الحائط.

وبالنسبة لى فإن التخرج لا يعنى إلا التخرج فقط لا أكثر، فلم يكن عندى هدف أسعى إليه، وعندما رأتنى زوجته لا أجيب عن السؤال قالت:

- "هل تريد أن تصبح مدرسًا؟".

فلم أجب وظللت صامتًا فأضافت:

- "حسنًا، هل تريد أن تصبح موظفًا حكوميًا؟".

فضحكت أنا والأستاذ معًا، ثم قلت:

- "فى الواقع لم أفكر بعد ماذا أفعل، وبالنسبة للعمل فأنا لم أفكر حتى الآن فى ذلك الموضوع، فأنا لا أستطيع أن أحدد ما العمل المناسب لى وما العمل غير المناسب، ولذلك فأنا لا أستطيع اختيار نوع العمل".

فقالت:

- "كلامك صحيح، ولكنك تقول ذلك لأن عائلتك لها ممتلكات، فلو كنت فقيرًا لما هدأ لك بال وبحثت عن عمل حتى وجدته".

لقد وافقتها على كلامها فى قلبى، فلقد كان من بين أصدقائى من ذهب ليعمل مدرسًا للمرحلة الإعدادية قبل أن يتخرج فى الجامعة، ولكنى قلت لها:

- "ربما تأثرت بالأستاذ".

- "يجب أن لا تتأثر به فى مثل تلك الأشياء".

ضحك الأستاذ بضيق وقال:

- "أنا لا أشعر بغضاضة فى أن تتأثر بى، ولكن يجب أن تقوموا بتقسيم الميراث فى حياة أبيكم، يجب أن لا تترك ذلك الميراث يذهب هباء".

فتذكرت بداية شهر مايو الذى تفتحت فيه زهور نباتات الأزلية، حيث ذهبنا إلى مشتل النباتات فى ضاحية المدينة وتحدثنا فى نهاية الحديقة الواسعة للمشتل، وتذكرت كيف كان متوترًا ويتحدث بعصبية، ورن كلامه الشديد مرة أخرى فى أذنى، لم يكن كلامًا شديدًا فقط، بل كان كلامًا فظيعًا، ولكن بالنسبة لى وأنا لا أعرف الواقع بعد كان كلامه غير واضح، ثم قلت:

- "يا سيدتى، مؤكد عندكم ممتلكات كثيرة، أليس كذلك؟".

- "لماذا تسأل عن ذلك؟".

- "لأنى سألت الأستاذ ولم يجبنى".

فقالت وهى تضحك وتنظر إليه:

- "لأنه ليس هناك ممتلكات تصل إلى حد الكلام عنها".

- "أردت أن أعرف إذا كنت أريد أن أعيش مثل الأستاذ فكم يلزمنى من مال، حتى إذا عدت إلى أبى فأقول له المبلغ الذى يلزمنى".

كان الأستاذ ينظر إلى الحديقة ويدخن سيجارة فى هدوء، وكانت زوجته التى تجيب، قالت:

- "لا نملك الكثير، ولكننا نعيش على قدر المستطاع، والموضوع ليس موضوع كم نملك ولكن الموضوع أنه يجب عليك أن تعمل، يجب أن تعمل ولا تتسكع هنا وهناك مثله".

فأدار وجهه فقط ناحية زوجته معترضًا على ما تقول وقال لها:

- "أنا لا أتسكع هنا وهناك".

- ٣٣ -

فى تلك الليلة تركت منزل الأستاذ بعد الساعة الحادية عشرة، وكنت سأترك طوكيو عائدًا إلى بلدتى حيث منزل عائلتى بعد عدة أيام، ولذلك قبل أن أترك الأستاذ وزوجته قمت بتوديعهما وقلت:

- "لن أراكما لمدة طويلة".

فقالت الزوجة:

- "سترجع إلى طوكيو فى شهر سبتمبر، أليس كذلك؟".

ولكنى تخرجت ولذلك لا أهمية للحضور إلى طوكيو فى شهر سبتمبر، كما أننى لم أفكر فى قضاء شهر أغسطس فى طوكيو

نظرًا لحرارة الجو الشديدة بها، كما أننى متعجل فى البحث عن عمل، وأضفت:

- "غالبًا سوف أحضر إلى طوكيو حوالى شهر سبتمبر".

فقالت الزوجة:

- "اعتنِ بنفسك جيدًا، وربما نقضى نحن فصل الصيف فى مكان آخر، حيث إن صيف هذا العام يبدو حارًا جدًا، فإذا ذهبنا إلى مكان آخر فسنرسل لك بطاقة بريدية مصورة".

فقلت لها:

- "إذا ذهبتما إلى مكان آخر فأين ستذهبون؟".

سمع الأستاذ هذا الحديث بينى وبين زوجته وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقال:

- "لم نقرر بعد إذا كنا سنذهب إلى مكان آخر أم لا".

وعندما هممت بالوقوف أجلسنى وسألنى فجأة:

- "كيف حال مرض والدك الآن؟".

لم أكن أعرف أى شىء عن والدى، ولكنى كنت أتوقع أنه ليس فى حالة سيئة؛ حيث إنه لم يصلنى أى خطابات من عائلتى.

ثم قال:

- "يجب ألا تعتقد أن مرض والدك مرض هين، لو تبول دمًا فهذا يعنى نهايته".

لم أفهم ما المقصود بكلمة "تبول دمًا"، ولم أسمع ذلك عندما قابلت الطبيب الذى يعالج أبى فى الشتاء السابق.

ثم قالت الزوجة:

- "يجب أن تهتم بوالدك جيدًا، إذا وصل التسمم إلى مخه فسوف تكون نهايته، الموضوع خطير ولا يجب التهاون والاستخاف بهذا المرض".

وبما أننى ليست لى معرفة جيدة بذلك المرض فابتسمت ابتسامة ضيق وقلت:

- "على كل حال فذلك المرض مرض لا يمكن الشفاء منه، فإذا قلقت فلن يؤدى قلقى هذا إلى تقدم أو تأخر".

فقالت الزوجة بصوت حزين وهى تنظر إلى أسفل وكأنها تذكرت أمها التى توفيت منذ وقت بعيد بنفس المرض:

- "يجب أن تتقبل الأمر، فليس هناك ما يمكن فعله".

فشعرت بالحزن على أبى.

وحينئذ نظر إلى زوجته وقال:

- "سوف تموتين قبلى، أليس كذلك؟".

- "لماذا تعتقد ذلك؟".

- "ليس عندى سبب معين ولكن أسأل فقط، أو ربما سوف أموت أنا قبلك؟ غالبًا يموت الزوج أولاً، وتبقى الزوجة بعده".

- "ليس هناك غالبًا فى ذلك، لا أحد يعرف من يموت قبل الآخر، كل شىء محتمل، ولكن غالبًا يكون الزوج أطول عمرًا من الزوجة".

- "هذا سبب موت الزوج قبل الزوجة، وبناء عليه فمن المنطقى أنه يجب علىّ أن أموت قبلك".

- "أنت استثناء".

- "هل أنا فعلاً كذلك؟".

- "نعم، فأنت فى صحة جيدة، لم يسبق لك أن مرضت مرضًا كبيرًا، أليس كذلك؟ ولذلك من المؤكد أننى سوف أموت قبلك".

- "هل فعلا ستموتين قبلى؟".

- "نعم، مؤكد أننى سأموت قبلك".

فنظر ناحيتى فضحكت، ثم قال:

- "إذا افترضنا أننى سوف أموت قبلك، فماذا تفعلين بعدى؟".

فلم تعرف الزوجة ماذا تقول، فقالت:

- "ماذا أفعل؟!".

قالت ذلك وقد بدا عليها أن قلبها قد انقبض خوفًا عندما تخيلت فاجعة موته، ولكنها رفعت وجهها إلى أعلى مرة أخرى بعدما تغير مزاجها ثم نظرت ناحيتى، وقالت ضاحكة:

- "ماذا أفعل؟ ليس هناك ما أفعله، فالموت يأتى لكل إنسان بصرف النظر عن كون ذلك الإنسان طاعنًا فى السن أم شابًا".

- ٣٤ -

ورغم أننى كنت قد هممت بالوقوف لكى أعود إلى مسكنى فإننى جلست مرة أخرى أنتظر أن تتوقف المناقشة بينهما فأنصرف.

قال لى:

- "ما رأيك فى هذا الكلام؟".

- "إن موضوع من يموت قبل الآخر، يموت الأستاذ قبل زوجته أو تموت زوجته قبله، موضوع فى الأصل ليس لى الحق أن

أقول من يموت قبل الآخر".

ثم ابتسمت وقلت:

- "كما أننى لا أعرف العمر المقدّر الذى ستعيشه".

فقالت الزوجة:

- "فعلا إنه عمر مقدّر لا أحد يعرفه، يعيش الإنسان مدة مقدرة لحياته منذ ولادته إلى مماته وليس له دخل فى طول أو قصر هذه المدة، والدك ووالدتك ماتا معًا".

فقلت:

- "ماتا فى نفس اليوم؟".

فقالت:

- "ليس فى نفس اليوم ولكن فى نفس الفترة أحدهما بعد الآخر بوقت قصير".

ولم أكن أعرف ذلك، واندهشت، ولذلك قلت:

- "كيف ماتا فى نفس الوقت؟".

وهمت الزوجة بالإجابة ولكنه قاطعها قائلاً:

- "لا تتحدثى عن ذلك، فإنه موضوع ممل".

ثم حرك مروحة الهواء التى كانت فى يده بشدة فأحدثت ضوضاء، ونظر إلى الخلف حيث زوجته وقال:

- "سوف أهب لكى هذا المنزل بعد موتى".

فضحكت الزوجة وقالت:

- "إذا كان الأمر هكذا فمن فضلك أعطنى الأرض أيضًا".

- "لا أستطيع فعل ذلك لأن الأرض ليست ملكى، ولكن بدلاً

عن ذلك سوف أعطيك كل ما أملك".

- "شكرًا جزيلاً، ولكن ليس هناك ما أفعله بالكتب المكتوبة بلغات أجنبية".

- "بيعيها إلى المكتبات التى تتعامل فى الكتب القديمة".

- "كم سأحصل على مال مقابل بيع تلك الكتب؟".

فلم يرد على سؤالها، ولكنه لم يترك الحديث عن موضوع موته البعيد عن سؤالها، وكان يعتقد بقوة أنه سيموت قبل زوجته، وفى البداية تحدثت الزوجة فى موضوع موته بصراحة دون تردد أو حرج ولكن بعد ذلك بدأت تشعر بالضجر كامرأة من التمادى فى الحديث عن موضوع موته، ولذلك قالت:

- "لقد قلت إذا مت مرات كثيرة، أرجوك لا تكررها ثانية، هذا يكفى، لا أتظاهر ولكن إذا مت أنت فسوف أفعل لك ما تريده حتى بعد موتك، ألا يكفيك ذلك؟".

نظر ناحية الحديقة ولم يتحدث عما لا تريد سماعه زوجته، وبما أن ذلك الحديث من الممكن أن يطول فقمت من مكانى، ثم اتجهت نحو البوابة للخروج فودعانى، وقالت الزوجة:

- "اهتم بأبيك المريض جيدًا".

وقال هو:

- "إذن فلنتقابل فى شهر سبتمبر".

ألقيت عليهما تحية الوداع ثم خرجت من المنزل، ولكن شجرة **osmanthus** الضخمة نشرت فروعها فى طريقى وسط ظلام الليل وكأنها تمنعنى من الرحيل، وعندما مشيت عدة خطوات

شاهدت الجذع المغمور بأوراق رصاصية اللون، فتخيلت رائحة وزهور الخريف القادم، وقلت لنفسى إننى اعتدت رؤية هذه الشجرة ولقد أصبحت جزءًا من منزل الأستاذ أتذكرها مع تذكره، ثم وقفت دون عمد أفكر فى الخريف القادم حيث ستخطو قدماى مدخل هذا المنزل مرة أخرى، وحينئذ انطفأ نور مصباح مدخل المنزل، فيبدو أن الأستاذ وزوجته قد ابتعدا وانتقلا إلى الداخل، وخرجت أنا وحيدًا.

لم أعد إلى مسكنى مباشرة، فقد كنت أريد شراء بعض الأشياء قبل العودة إلى بلدتى، كما أننى تناولت وليمة فامتلأت معدتى، ولذلك كان مهمًا أن أمشى ناحية المدينة العامرة بالناس، وكان الليل قد بدأ للتو، وازدحمت المدينة بنساء ورجال ليس لهم هدف من الحضور إلى المدينة، وذهبت أنا لمقابلة زميل تخرج معى، فصحبنى رغم إرادتى إلى حانة، حيث استمع لكلامى الذى يتدفق بحماس كما تتدفق رغاوى الجعة، ثم عدت إلى مسكنى بعد منتصف الليل.

- ٣٥ -

فى اليوم التالى ذهبت لأشترى ما طلبته عائلتى منى وكان الجو حارًا، وفى البداية عندما قرأت طلباتهم فى الخطاب اعتقدت أنها يمكن الحصول عليها بسهولة، ولكن خاب ظنى، فشعرت بالضيق من الذين لا يفهمون أن طلباتهم تتعب الآخرين وتستنفد وقتهم.

وضعت خطة لما سأفعله بعد العودة إلى بلدتى، ولتنفيذ هذه الخطة كان مهمًا أن أحصل على الكتب اللازمة لذلك، فذهبت إلى مكتبة "مَرْزِنْ"، وقضيت نصف يوم هناك، حيث وقفت أبحث فى رفوف الكتب التى لها علاقة بتخصصى.

أكثر الأشياء التى أجهدتنى فى البحث هى الياقة التى توضع كزينة فوق الرداء الحريمى، فعندما طلبتها من البائع أتى بأعداد كثيرة جدًا منها ووقعت فى حيرة شديدة لأننى لم أعرف أيًّا منها أشترى، كما أن الأسعار متفاوتة بشكل كبير، فكلما سألت عن سعر واحدة اعتقدت أنها رخيصة يتضح العكس، وإذا لم أسأل عن أخرى ظننت أن سعرها مرتفع أكتشف بعد ذلك أن سعرها منخفض جدًا، وعندما أقارن بين بعضها البعض وأفكر فى التفاوت بين الأسعار لا أستطيع الوصول إلى الأساس الذى يؤدى إلى ذلك التفاوت بين الأسعار، وجعلنى ذلك أشعر بالإرهاق، وكذلك الندم، لأننى لم أسأل زوجة الأستاذ عن ذلك.

اشتريت حقيبة، بالطبع حقيبة يابانية الصنع منخفضة الجودة، ولكن أجزاءها المعدنية تلمع، وبالتالى ستُعجب الفلاحين، وكانت تلك الحقيبة طلب أمى؛ فقد كتبت فى خطاب أرسلته لى تقول اشترِ حقيبة جديدة لنفسك بعد التخرج وضع فيها جميع الهدايا وعد، وعندما قرأت ذلك ضحكت، فقد فهمت ما طلبت ولكنى اعتبرت طلبها هذا شيئًا مضحكًا فضحتك.

وكما قلت للأستاذ وزوجته عند وداعهما إننى سأرحل بعد أيام فقد ركبت القطار بعد ثلاثة أيام وتركت طوكيو عائدًا إلى

بلدتى، وكنت سمعت خلال ذلك الشتاء من الأستاذ الكثير الذى يجب أن أنتبه له فيما يخص مرض أبى، وعلى الرغم من أن ما سمعته منه يجب أن يجعلنى أقلق بشدة على أبى فإنى لم أقلق عليه، وتخيلت أمى بعد وفاة أبى فشعرت بالحزن عليها، ووصلت إلى قناعة واستعداد نفسى أن أبى سيموت وليس هناك مفر من ذلك، وكتبت خطابًا إلى أخى فى جزيرة "كيوشو"؛ قلت له إن أبى لن يعود إلى سابق صحته، وإنه ليس هناك أمل فى شفائه، وقلت له فى خطاب آخر، أعلم أنك مشغول بعملك ولكن حاول أن تعود فى هذا الصيف لترى أباك، وكتبت له أيضًا ما يؤلم المشاعر؛ فقلت له إن وجود أبينا وأمنا بمفردهما فى الريف شىء يشعرهما بالوحدة الشديدة، ونحن ولداهما يجب أن نشعر بالحزن عليهما والتعاطف معهما، فقد قلت ما فى قلبى بصدق كما شعرت، وتغير مزاجى بعد كتابة تلك الخطابات.

وفى قطار العودة وجدتنى مشوش الفكر، أُفكر فى أشياء متناقضة، وشعرت أننى كلما فكرت أكثر تغير مزاجى من نقيض إلى آخر، فشعرت بالضيق، ثم تذكرت الأستاذ وزوجته، وبخاصة المحادثة التى دارت بينهما فى ليلة وليمة التخرج.

كررت ما قاله الأستاذ وزوجته تلك الليلة من سؤال؛ حيث قلت:

- "من سيموت منهما قبل الآخر؟".

وقلت لنفسى ليس هناك أحد يستطيع الإجابة عن هذا السؤال بثقة، ولكن إذا كانا يعلمان من سيموت قبل الآخر ماذا كان سيفعل

الأستاذ؟ وماذا كانت زوجته ستفعل؟ من المؤكد أنهما كانا سيفعلان ما يفعلانه الآن، فلم يكن هناك مفر من أن يفعلا غير ما يفعلانه الآن، ثم تخيلت أبى الذى أوشك على الموت، ومع ذلك لا أستطيع أنا فعل شىء لإنقاذه من ذلك المصير، وتأملت الإنسان فوجدته هالكًا.. الإنسان شىء تافه يولد ويموت دون اختياره.

أبواى وأنا

- ١ -

عندما رجعت إلى منزل أسرتى اندهشت أن صحة أبى كما كانت فى السابق. كان أبى فى حديقة المنزل يقوم بعمل ما، كان خلف البئر وكان يرتدى قبعة قديمة مصنوعة من القش ويضع تحتها منديلا متسخًا قليلاً على الرقبة لحمايتها من أشعة الشمس، وعندما رآنى قال:

- "هل رجعت؟ أنا سعيد أنك تخرجت، انتظر قليلاً، سأغسل وجهى وأحضر إليك".

كنت أعتقد أن التخرج فى الجامعة شىء عادى إلى أن رأيت أبى سعيدًا جدًا بتخرجى فى الجامعة فتأثرت بذلك.

قال أبى لى عدة مرات:

- "أنا سعيد بتخرجك".

فقارنت داخل نفسى بين سعادة أبى ووجه الأستاذ وهو يقول لى "مبارك" يوم أن تناولت طعام العشاء عنده فى يوم الاحتفال بالتخرج، فشعرت بالإعجاب بالأستاذ الذى يقول "مبارك" بفمه ويحتقر أشياء مثل الشهادات الجامعية أكثر من أبى الذى يبدو سعيد جدًا بشهادتى الجامعية رغم أنها شىء عادى. قلت لأبى:

- "إن التخرج شيء لا يجعل المرء سعيدًا لهذه الدرجة، فهناك المئات الذين يتخرجون فى الجامعة كل عام".

فتغير وجه أبى وقال:

- "أنا لست سعيدًا فقط لتخرجك، بل هناك أسباب أخرى تجعلنى سعيدًا".

فسألته عن تلك الأسباب، فصمت قليلا وكأنه لا يريد أن يجيب عن ذلك السؤال، ثم قال:

- "إن سبب سعادتى الكبيرة بتخرجك أننى كما تعلم مريض وكنت أعتقد أننى سأموت بعد أن قابلتك فى شتاء العام الماضى بثلاثة أو أربعة أشهر، ولكنى سعيد جدًا أننى عشت إلى الآن وأستطيع الحركة مثل أى شخص، فإذا بك تتخرج، فشعرت بسعادة غامرة، فأنت ابنى الذى اجتهد ليتخرج، فعندما تتخرج وأنا حى وبصحة جيدة فمن الطبيعى أن أكون سعيدًا جدًا كأب أكثر من تخرجك بعد موتى، فمن وجهة نظرك وأنت تفكر فى الدنيا من منظور كبير أن التخرج فى الجامعة شيء عادى يجب ألا يجعل المرء سعيدًا لدرجة كبيرة، ولكن إذا نظرت إلى التخرج من منظورى كأب فسوف تجد الأمر مختلفًا، بمعنى أن تخرجك يشعرنى بالسعادة أكثر من أن تشعر أنت بها، هل فهمت لماذا أنا سعيد جدًا بتخرجك".

شعرت بالخجل لدرجة عدم القدرة على الاعتذار ثم نظرت إلى الأرض، فقد كان أبى يعتقد أنه سوف يموت قبل أن أتخرج، ولذلك فأنا غبى لأننى لم أفكر فى أن تخرجى له عند أبى قيمة

كبيرة، فأخرجت من حقيبتى شهادة التخرج وأعطيتها لأبى وأمى باهتمام بالغ، وكانت الشهادة قد تغير شكلها، فتجعدت وانثنت بسبب وضعها داخل الحقيبة مع الأمتعة، ففتح أبى الشهادة باهتمام شديد. وقال:

- "شىء مهم مثل ذلك كان يجب أن تطويه وتحمله فى يدك".

وقالت أمى وهى تجلس إلى جانبه:

- "كان يجب أن تلفها بشىء صلب يحميها من الثنى أو التجعد".

وبعد أن تفحصها أبى جيدًا قام وذهب إلى ركن الزينة فوضعها فى الواجهة ليراها كل من يدخل المنزل، ولو كنا فى موقف عادى لكنت قد انتقدت تصرف أبى هذا ولكنى فى هذا الموقف آثرت الصمت والهدوء، وتركتهما يفعلان ما يحلو لهما، ولكن الشهادة المصنوعة من ورق سميك وقوى، كانت قد انثنت وتجعدت فلم تنصع إلى ما يريد أبى فعله، فيحاول أبى أن يوقفها ولكنها تنثنى ثم تسقط.

- ٢ -

ناديت على أمى وانتحيت بها جانبًا وسألتها عن أحوال أبى الصحية، وقلت:

- "أبى يبدو عليه أنه بصحة جيدة، فهو يخرج إلى الحديقة ويقوم ببعض الأعمال فيها، أليس خطرًا عليه أن يخرج إلى الحديقة ويعمل؟".

- "لا يبدو عليه شيء يوحى بأنه مريض، ربما شُفِى من مرضه وأصبح غير مريض".

وعلى عكس ما توقعت، فكانت أمى غير قلقة، فكانت كأى امرأة تعيش بعيدًا عن المدينة وسط حقول الأرز أو فى الغابات؛ حيث لا تعرف أى شيء عن ذلك المرض، ولكنى أتذكر أنها ارتعبت عندما سقط أبى مغشيًا عليه فى المرة السابقة، ثم قلت لها:

- "ألم يقل الطبيب عندما سقط أبى مغشيًا عليه، إنه فى حالة خطرة جدًا ولن ينجو منها؟".

- "إن جسم الإنسان شيء عجيب، فلقد قال الطبيب إن مرضه خطير ولكنه إلى الآن بصحة جيدة كما ترى، وكنت فى البداية أشعر بالقلق عليه وأحاول أن أجعله لا يبذل مجهودًا، ولكنه شخص عنيد، فهو بالطبع يهتم بصحته ولكنه عنيد، فهو يفعل ما يراه صوابًا من وجهة نظره ولا يستمع إلى نصائحى".

تذكرت ماذا فعل أبى عندما كنت هنا فى المرة السابقة، فقد صمم على الخروج من فراشه، ثم حلق لحيته، وقال:

- "أنا بخير، أمك قلقة جدًا وهذا تصرف لا داعى له".

عندما تذكرت ذلك وجدت أنه من الصواب ألا ألوم أمى على تركه يفعل ما يشاء، ولكنى كنت على وشك أن أقول لها: "يجب أن تأخذى مرضه على محمل الجد ولو قليلاً"، ولكنى تراجعت، ولكن قلت لها ما عرفته عن مرض أبى، وأغلبه مما سمعته من الأستاذ وزوجته، ولكن أمى لم يبدُ عليها التأثر مما سمعت منى، وكانت تسأل بطريقة عادية عن أم زوجة الأستاذ فتقول: "هل ماتت بنفس

المرض؟ شيء محزن، وكم كان عمرها؟".. إلى آخر هذه الأسئلة التقليدية.

وعندما وجدت أمي لا تأخذ الموضوع على محمل الجد تركتها وذهبت إلى أبي وتحدثت إليه مباشرة في ذلك الموضوع، واستمع لي باهتمام أكثر من أمي، ولكنه قال لي:

- "إن ما تقوله صحيح وأنا متفق معك ولكن جسمي هو جسمي، فأنا أكثر من يعرف حاله من خلال خبرتي الطويلة في التعامل معه، فأعرف كيف أعتني به وأحافظ عليه وأعرف ما يفيده وما يضره".

وعندما قلت لأمي ما قاله أبي، ضحكت بضيق وقالت:

- "ألم أقل لك إنه يفعل ما يريد ولا يستمع لنصيحة أحد؟".

- "ولكن رغم ذلك فهو يعلم أنه سوف يموت، فقد قال لي إنه سعيد جدًا هذه المرة التي عدت فيها لأنني تخرجت وهو حي وفي صحة جيدة، وأنه كان يخشى أن يموت قبل تخرجي".

- "إن ما يقوله شيء وما يعتقده في داخله شيء آخر".

- "أهو كذلك؟".

- "أحيانًا يقول لي أنوي أن أعيش عشرين عامًا، وعندما يكون حزينًا يقول لن أعيش طويلاً، فإذا مت فماذا ستفعلين؟ هل ستعيشين بمفردك في هذا المنزل؟".

تخيلت منزلنا الريفي الكبير بعد وفاة أبي حيث تعيش أمي بمفردها، هل سيبقى المنزل كما هو بعد وفاته؟ ماذا سيفعل أخي بالنسبة للمنزل؟ ماذا ستقرر أمي بالنسبة للبيت؟ هل سأستطيع ترك

هذا المنزل والعيش فى طوكيو دون مشكلات؟ كانت أمى تقف أمامى ولكنى شردت بذهنى وفكرت فى كلام الأستاذ؛ حيث نصحنى بأن أحصل على نصيبى من الميراث فى حياة أبى. حينئذ قالت أمى:

- "اطمئن، ليس معنى أن أباك يقول إنه سيموت فيموت، أبوك يقول إنه سيموت ولكن لا يعلم أحد كم عدد السنوات التى سيعيشها، وربما نموت نحن الذين نعتقد أننا فى أتم صحة قبله".

لا أعرف على أى أساس قالت أمى ذلك الكلام السخيف، هل على أساس المنطق أم الإحصاءات، ولكنى استمعت إليها فى صمت ودون تعليق.

- ٣ -

تحدث أبى مع أمى بشأن إقامة حفل بمناسبة تخرجى وسيدعوان ضيوفًا، ومنذ عودتى إلى منزل العائلة وأنا متخوف من أن يفكر أبى وأمى فى إقامة حفل لى، ولذلك رفضت قائلا:

- "الموضوع لا يصل إلى درجة إقامة حفل".

فقد كنت أكره الفلاحين الذين يأتون إلى منزلنا ضيوفًا، فهم ينتهزون أى فرصة لكى يأتوا لتناول الطعام والشراب، فعندما كنت طفلا كنت أقوم على خدمتهم وذلك كان يشعرنى بالضيق الشديد، وعندما أتخيلهم الآن يأتون من أجلى فإننى أشعر بضيق شديد، ولا أستطيع أن أعترض على دعوة هؤلاء الحثالة، ولذلك قلت لوالدىّ إن الموضوع لا يصل إلى حد إقامة حفل، ولكن أمى قالت:

- "ماذا؟! الموضوع لا يصل إلى إقامة حفل! لا ليس كذلك، إن التخرج فى الجامعة شىء لن يحدث مرتين فى الحياة، ولذلك من الطبيعى أن نقيم حفلا وندعو الجيران، فلا تكن متواضعًا لدرجة رفض إقامة حفل".

فأمى تنظر إلى تخرجى علىِ أنه حدث كبير يضاهى حدث الزواج، وقال أبى:

- "إذا لم نقم حفلا بهذه المناسبة وندعو الجيران، فسوف ينتقدون أننا لم نقم لهم حفلا بهذه المناسبة".

كان أبى يفكر فيما سيقوله الجيران إذا لم يقم حفلا بهذه المناسبة، وفى الواقع أنهم كانوا سينتقدوننا إذا لم نفعل، قال أبى:

- "إن أهل الريف يختلفون عن أهل المدينة، فإذا لم تفعل لأهل الريف ما يريدونه فسينتقدوك بشدة".

وأضافت أمى:

- "كما أننا يجب أن نحافظ على كرامة أبيك وسط الجيران".

فقلت لنفسى لا يهم ماذا أريد أنا ولكن المهم أن أترك أبى وأمى يفعلان ما يريدان، ثم قلت لهما:

- "إذا كنتما تقيمان حفلا من أجلى فلا تفعلا، وإذا كنتما تفعلان ذلك حتى لا ينتقدنا الجيران فذلك أمر آخر، فأنا لن أمنعكما من فعل شىء، إذا لم تفعلاه فسوف يسبب لكما الضرر".

فقال أبى ووجهه يبدو عليه الضيق:

- "أنت تتفلسف فى الكلام وهذا يضايقنى".

أمى مثل كل النساء، فلقد ثرثرت بكلام ليس له علاقه ببعضه

البعض، وإننى لا أستطيع أن أجاريها فى الكلام حتى لو وقف أبى معى. قالت أمى:

- "أبوك يقول إنه لا يفعل ذلك من أجلك أنت، وأنت تعرف الواجب نحو الجيران، أليس كذلك؟".

وقال أبى:

- "التعليم يجعل الإنسان يتفلسف، وهذا شىء يجب ألا يحدث".

ثم صمت، ولكن تلك الجملة التى قالها أبى وضحت لى ما يحمله أبى تجاهى من استياء، وحينها لم أنتبه إلى أن أسلوبى فى الكلام كان جافًا، ولكنى كنت أفكر فقط فى أن أبى غير منصف أن يشعر تجاهى بهذا الاستياء.

فى ذلك المساء تغير مزاج أبى فسألنى أبى عن اليوم الذى تسمح فيه ظروفى بإقامة الحفل، ولم تكن ظروفى جيدة ولا سيئة، فأنا لم أكن أفعل شيئًا، فكنت أدور فى داخل المنزل هنا وهناك أقوم وأنام ولا أفعل شيئًا، ولكن أبى سألنى ذلك كنوع من تحسين العلاقة معى وحضى على إقامة الحفل، ولم أستطع إلا أن أطيعه، بما أنه أب حنون، فتناقشنا وحددنا معًا اليوم الذى سندعو فيه الجيران إلى الحفل.

وقبل أن يأتى اليوم المحدد للحفل، وقع حدث كبير، فقد مرض الإمبراطور "ميجى"، وانتقل خبر مرضه فى كل أنحاء اليابان عن طريق الصحف، وكنا قد واجهنا بعض الصعوبات عندما فكرنا فى إقامة حفل التخرج فى منزلنا، ولكننا تخطيناها وأوشكنا على

الانتهاء من الإعداد لذلك الحفل، ولكن مرض الإمبراطور حال دون إتمام إقامة الحفل.

وقال أبى وهو ويقرأ الصحيفة:

- "يبدو أنه من الأفضل أن نلغى الحفل".

ثم صمت، وبدا عليه أنه كان أيضًا يفكر فى مرضه، وشردت بذهنى ففكرت فى الإمبراطور الذى حضر حفل تخرج الجامعات منذ مدة قصيرة والذى اعتاد أن يحضره كل عام.

- ٤ -

أخرجت كتبى من حقيبة السفر وبدأت أقرأ فى هدوء فى منزلنا القديم الواسع الذى تسكنه عائلتنا المكونة من ثلاثة أفراد فقط، ولسبب ما لم أستطع الشعور بالسكينة، فقد كنت أستطيع التركيز فى المذاكرة وأنا فى مسكنى بالدور الثانى فى المنزل الذى كنت أقيم فيه فى طوكيو، رغم أنها مدينة صاخبة وكنت أسمع من بعيد صوت القطارات.

أحيانًا أغفو على المكتب، وأحيانًا كنت أحضر الوسادة وأخلد إلى قيلولة، وأستيقظ على أصوات حشرات الزيز، وأستمع إلى أصوات تلك الحشرات وأشعر أننى فى حلم، ثم أفيق بعد ذلك فأشعر أن أصواتها ضوضاء لا يمكن تحملها، وفى الوقت نفسه أشعر بحزن شديد.

أخذت الريشة وكتبت إلى بعض الأصدقاء بطاقات بريدية قصيرة وإلى البعض خطابات طويلة، بعضهم كانوا لا يزالون فى

طوكيو والبعض الآخر عادوا إلى بلداتهم، ووصلنى من بعضهم ردود على خطاباتى ولم يصلنى شىء من البعض الآخر، وطبعًا لم أنسَ الأستاذ، فكتبت له خطابًا مكونًا من ثلاث ورقات كبيرة وحكيت له عن كل ما حدث لى بعد عودتى، وقبل أن أغلق الخطاب تخوفت ألا يكون الأستاذ فى طوكيو فلا يصله الخطاب بسرعة، وكان من المعتاد فى حالة غيابه عن منزله أن تأتى سيدة فى الخمسين من العمر ذات شعر قصير، فتقيم فى المنزل تحرسه، وفى إحدى المرات سألته:

- "من هذه السيدة؟".

- "تظنها من؟".

- "قريبتك".

- "ولكنى ليس لى أقارب".

فى الواقع كان الأستاذ قد قطع علاقته بأقاربه الذين يعيشون فى بلدته تمامًا، ولذلك فتلك السيدة التى تقوم بحراسة المنزل فى غيابه وزوجته لا تربطها علاقة قرابة بالأستاذ بل هى قريبة زوجته، وعندما كنت أرسل الخطاب إليه تذكرت تلك السيدة وهى ترتدى زيًا فوقه حزام رفيع معقود على الظهر، وقلت لنفسى أكيد أنها سيدة طيبة وذات إحساس مرهف، فإذا كان الأستاذ وزوجته قد غادرا طوكيو إلى مصيف فإنها ستقوم بإرسال خطابى إليهما حيث كانا، رغم أننى أعلم أننى لم أكتب عن موضوع خطير يجب أن يعلماه بسرعة، بل كتبت عن شعورى بالوحدة والحزن وأننى منتظر ردًا منه على خطابى، ولكن لم يأتنى أى رد.

لم يعد أبى مهتمًا بلعب الشطرنج كما كان فى الشتاء السابق، بل أصبح هادئًا وصامتًا ويبدو عليه أنه يفكر باستمرار فى شىء ما، وذلك منذ مرض الإمبراطور، وكان ينتظر الصحف كل يوم فيقرأها قبل الجميع ثم يأتى بها لى بعد ذلك ويقول:

- "اقرأ، مكتوب فى الصحيفة أخبار كثيرة وتفصيلية عن صحة معالى خليفة الرب فى الأرض".

وكان أبى دائمًا يلقب الإمبراطور بهذا "معالى خليفة الرب فى الأرض".

ثم يقول:

- "للأسف فإن مرض معالى خليفة الرب فى الأرض هو نفس مرضى".

رأيت فى وجهه القلق وهو يقول ذلك، فانتابنى نفس قلقه، وقلت لنفسى إن أبى سيسقط مغشيًا عليه يومًا ما.

ثم قال:

- "إن معاليه سوف يتعافى من المرض، فإذا كان شخصًا عاديًا مثلى تعافى من المرض، فمن الطبيعى أن يتعافى معاليه أيضًا".

فكان يبدو على أبى أنه يطمئن نفسه ولكن يتوقع أن خطر الموت قريب.

فقلت لأمى:

- "أبى يرتعب من مرضه، ولن يعيش مدة طويلة كما تعتقدين".

فظهر الارتباك على وجهها حينما سمعت ذلك وقالت:

- "ادعو أباك للعب الشطرنج".

فأخرجته من ركن الزينة ونفضت الغبار من فوقه.

ساءت صحة أبى تدريجيًا، ترك القبعة القديمة المصنوعة من القش التى كان يرتدى فوقها منديلا، وكل مرة أرى فيها تلك القبعة متروكة على رف أسود من أثر الدخان، أشعر بالحزن على أبى، فعندما كنت أراه يتحرك هنا وهناك بهمة ونشاط، كنت أقلق عليه وأقول لنفسى يجب أن يستريح، ولكن عندما جلس هادئًا لا يتحرك كثيرًا، أيقنت أنه كان فى صحة جيدة عندما كان يتحرك كثيرًا، وقد تحدثت مع أمى كثيرًا عن صحة أبى، فقالت لى ذات مرة:

- "إنه متوهم أنه مريض جدًا".

فكانت تعتقد أن أبى توهم أنه مريض عندما عرف أن الإمبراطور مريض بنفس المرض، ولكنى لم أكن أعتقد أن ذلك هو السبب الوحيد لمرض أبى، فقلت لها:

- "ليس متوهمًا أنه مريض، فى الحقيقة هو مريض، ليس الموضوع موضوعًا نفسيًا ولكن صحته تسوء يومًا بعد يوم".

ثم بدأت أفكر بجد فى إحضار طبيب كبير لأبى.

قالت أمى:

- "من المؤكد أنك تشعر بالملل هذا الصيف، فلم نقم لك حفلا بمناسبة التخرج، وأبوك مريض كما ترى، وكذلك معالى خليفة الرب فى الأرض مريض، كان يجب علينا أن نقيم لك حفل تخرج وندعو الجيران فور عودتك مباشرة".

كنت قد عدت إلى بلدتى فى اليوم الخامس أو السادس من شهر يوليو وفكر والداى فى إقامة حفل تخرج ودعوة الجيران بعد

ذلك بأسبوع، وقد قررا إقامة الحفل بعد ذلك بأسبوع، ربما يعتقد البعض أن سبب عدم إقامة حفل تخرج بسرعة فور رجوعى يعود إلى طبيعة أبى وأمى كفلاحين، حيث إن الفلاحين دائمًا لا يفعلون شيئًا بسرعة ويستغرقون وقتًا طويلا قبل فعل شىء، وعمومًا أنا أشعر بالضيق الشديد من تلك الواجبات الاجتماعية، ولكن أمى لم تنتبه إلى شعورى هذا أبدًا.

وعندما تم إعلان نبأ وفاة الإمبراطور أمسك أبى الصحيفة وقال:

- "يا لها من مصيبة، يا لها من مصيبة، مات معالى خليفة الرب فى الأرض، والدور علىّ".

ولم يقل شيئًا بعد ذلك.

ذهبت إلى السوق لشراء شريط أسود خفيف، ولففت قطعة من ذلك الشريط على مكان دائرى أعلى سارى العلم، ثم ربطت قطعة طولها عشرة سنتيمترات تقريبًا من ذلك الشريط على قمة السارى، فمال السارى والتصق بأحد أعمدة مدخل المنزل، وتدلى العلم وقطعة القماش لا تتحرك لعدم وجود رياح، وكان سطح المدخل القديم لمنزلى مصنوعًا من القش، فإذا سقطت الأمطار أو هبت الرياح يتغير لون ذلك القش إلى اللون الرمادى، وترتفع بعض الأماكن فى السطح وتنخفض الأخرى، وخرجت من البوابة بمفردى إلى الشارع، نظرت إلى العلم المصنوع من القطن الأبيض ومطبوع داخله صورة الشمس، ورأيت خيال العلم والشريط الأسود على القش القذر الموجود على السطح، تذكرت الأستاذ وهو يسألنى:

- "ما طراز معمار منزل أسرتك، ربما يختلف طراز المعمار فى بلدتك عن طراز المعمار فى بلدتى".

وأردت أن أجعل الأستاذ يرى هذا المنزل القديم الذى ولدت فيه، ولكنى فى الوقت نفسه كنت أشعر بالخجل من أن يراه.

دخلت المنزل وجلست إلى مكتبى أقرأ الصحيفة وأفكر فى حال طوكيو، العاصمة وأكبر مدينة فى اليابان، حيث هى منغمسة فى الظلام ومع ذلك تعج بالصخب والحركة، وتخيلت وسط ذلك الظلام منزل الأستاذ وهو مضاء، ولم أنتبه إلى أن ذلك الضوء قد اندمج مع الطبيعة فى دوامة الصمت، ولم أنتبه إلى أن ذلك الضوء سوف ينطفئ فى القريب العاجل، وأنه سوف يتركنى فى دنيا مظلمة ظلامًا دامسًا.

فكرت فى أن أكتب إليه عن فاجعة موت الإمبراطور، ولكنى كتبت فقط عشرة سطور ثم تركت القلم ومزقت الورقة وألقيتها فى صندوق القمامة، حيث إننى لم أرَ أهمية للكتابة عن ذلك الموضوع، بجانب أننى لا أتوقع أن يكتب لى ردًا، لقد كنت وحيدًا وحزينًا، ولذلك كتب خطابًا آخر عسى أن يكتب لى الرد.

- ٦ -

فى منتصف شهر أغسطس تلقيت خطابًا من صديق، كان يبحث بكل جهد عن وظيفة مدرس نتيجة لظروفه المادية السيئة، وقد ذكر فى الخطاب أنه وجد وظيفة خالية لمدرس بمدرسة إعدادية، ولكنه رفضها لأنه وجد أخرى فى محافظة أفضل، فبعث خطابًا لى يعرض

علىّ تلك الوظيفة التى رفضها، فرفضت وقلت له إن هناك صديقًا من أصدقائنا كان يبحث عن وظيفة مثلها يمكنه أن يعرضها عليه، وبعد أن أرسلت له الرد أخبرت أبى وأمى بما حدث، فقالا لى إننى على صواب.

ثم قال أبى:

- "ليس هناك أهمية أن تعمل فى محافظة مثل تلك، ستجد وظيفة أخرى فى مكان آخر أفضل".

وكلام أبى هذا يعنى أنه وأمى يضعان آمالا كبيرة علىّ، يتوقعان أن أحصل على وظيفة مرتفعة المستوى وأن أحصل على راتب مرتفع.

فقلت:

- "من الصعب الحصول على وظيفة مرتفعة المستوى فى هذه الأيام، فإن تخصصى غير تخصص أخى الأكبر وزمنى غير زمنه ولذلك لا تتوقعا منى أن أكون مثله".

فقال أبى:

- "على الأقل تعمل وتعتمد على نفسك وتستقل ما دمت تخرجت وإلا إذا سألنى أحد ابنك الأصغر تخرج فى الجامعة فماذا يعمل الآن، فلن أستطيع الإجابة، مما يجعلنى أشعر بالحرج أمام الناس".

تجهم وجهى، فتفكير أبى قديم لا يخرج عن نطاق بلدتنا التى عاش فيها طويلاً، يريد ألا يشعر بالإحراج عندما يسأله أحد من أهل البلدة ويقول له "أكيد أن ابنك يحصل على راتب كبير بما أنه

تخرج فى الجامعة" أو "إن ابنك يحصل على راتب كبير قدره مائة ين"، وبما أننى عشت فى العاصمة فأثرت فى طريقة تفكيرى، فقد كنت من وجهة نظر أبى وأمى اللذين يعيشان فى بلدتة صغيرة ويختلفان فى طريقة التفكير أبدو إنسانًا يفكر بطريقة غريبة، كإنسان عجيب يمشى على رأسه، وفى الواقع كنت أشعر فى بعض الأحيان أننى كذلك، ولقد فكرت أن أقول لهم بصراحة ما أشعر به وأفكر فيه، ولكنى وجدت أن الفارق فى التفكير بينى وبينهما كبير فقررت الصمت.

قالت أمى:

- "لماذا لا تطلب من الأستاذ الذى تحكى لنا عنه أن يساعدك فى أن تجد وظيفة؟ إذا لم تطلب منه ذلك فمتى تطلب منه المساعدة؟ اطلب منه".

فبالنسبة لها الأستاذ ما هو إلا صديق لى يجب أن أستعين به للحصول على وظيفة مرموقة، ولا تتوقع أبدًا أن يكون شخصًا ينصحنى بأن أحصل على ميراثى من أبى وهو ما زال حيًا، وأنه لن يساعدنى فى الحصول على وظيفة مرموقة.

قال أبى:

- "ماذا يعمل الأستاذ؟".

- "إنه لا يعمل".

كنت قد قلت لهما منذ مدة كبيرة إنه لا يعمل، وبالتأكيد أبى يتذكر ذلك.

فقال لى أبى:

- "ما معنى أنه لا يعمل؟! إذا كان عظيمًا لدرجة أنك تحترمه وتقدره فمن المفترض أن له عملاً".

وأعتقد أن والدى كان يريد أن يقول لى بطريقة غير مباشرة "إن الإنسان لكى يكون مفيدًا يجب أن يعمل، ومن لا يعمل يكون إنسانًا لا قيمة له وليس مفيدًا للمجتمع".

ثم قال:

- "صحيح أننى لا أعمل فى وظيفة أحصل منها على راتب شهرى ثابت ولكنى أعمل".

فصمتُ، ولكن أمى قالت:

- "إذا كان شخصًا عظيمًا كما تقول فسوف يستطيع إيجاد وظيفة مرموقة لك، اطلب منه ذلك".

- "لا لن أطلب منه ذلك".

- "لماذا لا تطلب؟ ما دام ليست هناك طريقة أخرى للحصول على وظيفة مرموقة، أرسل له خطابًا".

قلت بضيق واقتضاب:

- "نعم سوف أفعل".

ثم نهضت من مقعدى وغادرت المكان.

- ٧ -

كان واضحًا على أبى أنه قلق بشدة من الموت بسبب المرض، ولكن عندما كان الطبيب يأتى لإجراء الكشف لم يكن يكثر من السؤال عن وضعه الصحى، وكان الطبيب أيضًا يتجنب الكلام عن ذلك.

ويبدو على والدى أنه كان يفكر فيما سيحدث بعد موته، وكان يتخيل حال أسرتنا بعد موته. فقد قال لى:

- "هناك مزايا وعيوب لجعل أبنائنا يتعلمون، وعيب التعليم أنه يجعل الأبناء لا يعودون إلى منازل أسرهم، وكأننا نعلمهم لكى ينفصلوا عنا".

ونتيجة لتعلم أخى الأكبر فقد ذهب ليعمل فى مكان بعيد، وأنا أنوى أن أعيش فى طوكيو، وبالتالى من المنطقى أن يشعر أبى بالضيق ويتذمر من ابنيه اللذين تعلما، وبالتأكيد يشعر بالحزن عندما يتخيل أمى تعيش بمفردها فى منزلنا الريفى الذى عاشا فيه طوال حياتهما.

ويعتقد أبى أن منزله الريفى هو بيت العائلة وأن العائلة لا تستطيع أن تعيش فى مكان آخر غيره، وأن أمى لن تستطيع العيش بعيدًا عنه إلى أن تموت، وهو قلق عليها بشدة أن تعيش فى ذلك البيت الكبير بمفردها وحيدة ومنعزلة، ولكنه فى الوقت نفسه يدفعنى دفعًا إلى العيش فى طوكيو للحصول على وظيفة مرموقة، وهو بذلك متضارب فى أفكاره، وهذا يجعلنى أشعر بالحيرة، ولكن فى الوقت نفسه أشعر بالسعادة، لأن هذا سيجعلنى أعيش فى طوكيو.

ولكى أحقق هدفى بالذهاب والعيش فى طوكيو فكان يجب أن أوهمهما بأننى أسعى بكل جهد من أجل الحصول على الوظيفة المرموقة التى يريدانها لى، ولذلك كتب خطابًا إلى "الأستاذ" وشرحت له حالى وحال أسرتى، وطلبت منه إذا كان يستطيع مساعدتى لإيجاد وظيفة مرموقة فإننى سأفعل كل ما هو مطلوب

منى للحصول عليها، وكنت أتوقع منه ألا يستجيب لطلبى، وحتى إذا استجاب لطلبى وحاول الحصول لى على وظيفة مرموقة فلن يفلح، لأن معارفه قليلون، ومع ذلك كتبت الخطاب، وكنت متأكدًا أن الأستاذ سوف يبعث لى الرد.

وبعد أن أغلقت المظروف وقبل أن أرسله توجهت إلى أمى وقلت:

- "لقد كتبت خطابًا للأستاذ، قلت له ما قلتيه لى، اقرئيه".

فلم تقرأه كما توقعت، بل قالت:

- "إذن، أرسله له، يجب أن ترسله بسرعة من تلقاء نفسك، ولا تنتظر أن يقول لك أحد".

كانت أمى تتعامل معى كأننى طفل، وفى الواقع أننى أيضًا كنت أشعر بأننى طفل. قلت:

- "ولكن الخطاب فقط لا يكفى، يجب أن أذهب إلى طوكيو مثلاً فى شهر سبتمبر".

- "هذا شىء طبيعى، ولكن ربما هناك وظيفة الآن، ولذلك لن تخسر إذا طلبت منه الآن وظيفة مرموقة".

- "نعم، هذا صحيح، عمومًا أنا متأكد أنه سيرسل ردًا، وحينها نتناقش أنا وأنت عما يجب فعله".

وبالنسبة لطلب مهم كهذا، كنت متأكدًا أن الأستاذ سيهتم به اهتمامًا كبيرًا، وتطلعت إلى الرد بصبر نافد، ولكن خاب توقعى، فقد مر أسبوع كامل ولم يصلنى أى رد.

قلت لأمى:

- "من المؤكد أنه سافر ليقضى إجازة الصيف فى مكان ما".

وكان يجب أن أقول شيئًا مثل هذا لكى أبرر لأمى تأخر الرد، ولنفسى أيضًا، ولكى أشعر بالراحة وأستطيع الدفاع عن موقف الأستاذ، فقد افترضت أن شيئًا ما حدث منعه من الرد.

أحيانًا كنت أنسى أن أبى مريض، وأفكر فى الذهاب إلى طوكيو بسرعة، وأحيانًا كان أبى ينسى أيضًا، فهو قلق بشأن الوضع بعد موته ولكنه لم يفعل أى شىء يجعله يطمئن على الوضع بعد موته، ومر الوقت دون أن أجد فرصة أتحدث فيها إلى أبى بشأن توزيع الميراث فى حياته كما نصحنى الأستاذ.

- ٨ -

جاء شهر سبتمبر وقررت السفر إلى طوكيو، فطلبت من أبى أن يستمر فى إعطائى مصروفًا كما كان يفعل عندما كنت طالبًا. قلت لأبى:

- "إذا ظللت هنا فلن أستطع الحصول على الوظيفة المرموقة كما تريد".

ثم قلت له إنه لكى أحصل على الوظيفة المرموقة التى يريدها لى يجب أن أذهب إلى طوكيو.

وأضفت:

- "إننى أريد مصروفًا إلى حين الحصول على الوظيفة فقط".

ولكنى كنت أعتقد داخل نفسى أنه ليس من السهل الحصول على وظيفة كهذه، ولكن أبى الذى لا يعرف الواقع كان يتخيل عكس ذلك.

قال أبى:

- "حسنًا، سأعطيك مصروفًا ولكن هذا سيستمر لفترة قصيرة فقط، ولن يستمر إلى الأبد، فتدبر أمورك بهذا المال، ويجب أن تحصل على وظيفة مرموقة ثم تعتمد على نفسك، ففى الأصل يجب أن تعتمد على نفسك من اليوم التالى لتخرجك، فإن شباب هذه الأيام يعرفون كيف ينفقون المال ولا يعرفون كيف يحصلون عليه".

ثم وبخنى بكلام كثير بجانب ذلك مثل:

- "إن أبناء الماضى كانوا يعملون وينفقون على آبائهم، ولكن الآن ينفقون من عمل آبائهم".

استمعت إلى كلامه فى صمت دون تعليق. وعندما انتهى وقفت لأنصرف فسألنى عن موعد سفرى إلى طوكيو فقلت له فى أقرب وقت، قال:

- "حدد مع أمك اليوم المناسب لسفرك".

- "نعم سأفعل".

كنت أمام أبى فى تلك المقابلة هادئًا على عكس ما أنا عليه دائمًا، فقد كنت أريد ألا أعكر مزاج أبى حتى أستطيع ترك هذا الريف والرحيل إلى مدينة طوكيو، وقبل أن أنصرف قال:

- "عندما ستذهب إلى طوكيو سأشعر بالوحدة والحزن، فلن يكون هنا إلا أنا وأمك فقط، وإذا كنت فى صحة جيدة فسأتحمل فراقك، ولكنى كما ترى مريض ولا أعلم ما قد يحدث لى فجأة".

حاولت أن أخفف عنه قدر المستطاع، ثم عدت إلى مكتبى،

فجلست وسط كتبى المبعثرة هنا وهناك، وفكرت كثيرًا فيما قاله أبى الذى يشعر بالوحدة والحزن، وحينئذ سمعت أصوات حشرات الزيز وكانت أصواتها تختلف عما سمعته فى بداية الصيف، فقد كانت أنواعًا أخرى من الزيز تظهر فى نهاية فصل الصيف، وعندما كنت أعود فى بداية الصيف إلى بلدتى كنت أجلس وأسمع الأصوات العالية لحشرات الزيز وأشعر بحزن شديد، وكنت أشعر أن حزنى والأصوات الفظيعة لتلك الحشرات يملآن قلبى ويصلان إلى أعماقه، فكنت لا أتحرك، بل كنت أشرد بذهنى وأفكر فى نفسى.

ولكن طبيعة حزنى هذا الصيف تغيرت تدريجيًا عن حزنى فى كل صيف، فكما تغيرت أنواع حشرات الزيز وتغيرت معها أصواتها، تغير مصير الأشخاص الذين يحيطون بى، وبينما كنت أفكر فى كلام أبى الحزين، تذكرت الأستاذ الذى أرسلت له خطابًا ولم يصلنى منه رد حتى الآن، وكان الاختلاف بينه وبين أبى كبيرًا لدرجة أن ذلك الاختلاف كان يجعلنى أتذكرهما معًا فى الوقت نفسه.

كنت أعرف أغلب الأشياء عن أبى، فإذا حدث وافترقنا فإن ما سيجعلنى أشعر بالحزن هو الفراق العادى الذى يحدث بين ابن وأبيه، ولكن بالنسبة للأستاذ فإننى لا أعرف عنه أكثر الأشياء، ولقد وعدنى أن يحكى لى ماضيه ولكن لم يحدث ذلك بعد، أى أنه بالنسبة لى شىء غامض، ولذلك إذا لم أعرف فلن أشعر بالراحة، وكان بعدى عنه يؤلمنى، فتناقشت مع أمى وحددنا اليوم المناسب لسفرى إلى طوكيو.

- ٩ -

قبل سفرى إلى طوكيو بيومين سقط أبى على الأرض وكان ذلك فى المساء وكنت انتهيت للتو من تعبئة حقيبة السفر بالملابس والكتب، كان أبى يستحم، وكانت أمى معه تنظف له ظهره، وإذا بها تصرخ وتناديني، فذهبت فرأيت أمى تحتضنه من الخلف وهو عارٍ، وعندما نقلناه إلى حجرته قال "إننى بخير"، فجلست بجانب الوسادة وأحضرت قطعة قماش وبللتها بالماء ومسحت على جبهته لتبريدها، وفى وقت متأخر نحو الساعة التاسعة استطعت تناول وجبة طعام خفيفة.

فى اليوم التالى كان أبى فى صحة جيدة، وهذا ما لم أكن أتوقعه، وقد حاولنا إثناءه عن المشى إلى دورة المياه ولكنه تجاهل ذلك وأصر على الذهاب مشيًا. قال:

- "لقد أصبحت بخير، لا داعى للقلق".

وهذا ما قاله العام الماضى عندما سقط، فسألت نفسى هل سيكون بخير فعلاً كما قال سابقًا؟ ثم قلت لنفسى نعم على الأرجح أنه سيكون بخير، وجاء الطبيب ولم يتكلم بوضوح عن أى شىء وكل ما قاله أنه من المهم الاعتناء به جيدًا، ولأننى كنت قلقًا على أبى أجلت موعد سفرى إلى طوكيو، وقلت لأمى:

- "سأسافر إلى طوكيو ولكن بعد أن أطمئن على صحة أبى".

- "أتفق معك فى ذلك".

قبل ذلك عندما كان أبى فى صحة جيدة، يذهب إلى الحديقة الخلفية للمنزل ويعمل بها، لم تكن أمى تقلق عليه، ولكن عندما

وقع هذه المرة قلقت بشدة أكثر من اللازم.

قال أبى:

- "ألم يكن من المفترض أن تسافر اليوم إلى طوكيو؟".

- " نعم ولكن أجلت السفر".

- "هل هذا بسببى؟".

فترددت فى أن أجيب، فإذا قلت نعم فسيشعر أنه فى مرحلة خطيرة من المرض، وسيكون لذلك أثر نفسى سيئ عليه، فآثرت الصمت، ولكنه كان يبدو عليه أنه يفهم ما يدور فى داخلى، فقال لى:

- "أنا آسف".

ثم أدار وجهه ناحية الحديقة.

دخلت حجرتى ونظرت إلى أمتعتى التى كنت قد أعددتها للسفر، ثم عزمت على أن أفتح الحقيبة وأخرج ما فيها.

قضيت عدة أيام وأنا أشعر بالقلق وعدم الاستقرار، ثم حدث أن وقع أبى مرة أخرى، وأمر الطبيب بالراحة التامة له، فقالت أمى لى بصوت منخفض لا يستطيع أبى سماعه:

- "ما العمل؟".

وكان يبدو على ملامح وجهها القلق الشديد، فقررت أن أبعث بتلغراف إلى أخى الأكبر وأختى، وكان أبى ينام فى فراشه ولا تبدو عليه أى علامة توحى بأنه فى خطر، فعندما تنظر إليه وتسمع كلامه تشعر أنه شخص يعانى نزلة برد لا أكثر، وعلاوة على ذلك فإن رغبته فى تناول الطعام زادت على الطبيعى، ولم يستمع إلى نصائحنا بعدم تناول كميات كبيرة من الطعام، بل قال لنا:

- "بما أننى سأموت فسأتناول ما يحلو لى من أطعمة شهية بكميات كبيرة".

جعلتنى كلمة "أطعمة شهية" التى قالها أشعر بالرغبة فى الضحك والبكاء فى الوقت نفسه، فكيف لأبى الذى لم يعش فى العاصمة قط أن يعرف الأطعمة الشهية؟! وعندما جاء الليل طلب من أمى أن تخبز له أقراص أرز، وأكلها باستمتاع شديد.

قالت أمى:

- "لماذا يأكل كثيرًا هكذا؟ ربما ما زال فيه بعض القوة ليفعل ذلك".

فقدت أمى الأمل فى شفاء أبى فقررت أن تعطيه ما يطلبه من طعام وشراب وبالكمية التى يرغب فيها.

وعندما جاء عمى لزيارة أبى لم يتركه يرحل، وقال: "أشعر بالوحدة فلا تتركنى"، وكان يريد أن يشكو له أننا نرفض أن نقدم له أنواع الطعام التى يشتهيها.

- ١٠ -

استمر وضع أبى الصحى على ما هو عليه لمدة أسبوع، فأرسلت خطابًا طويلا إلى أخى فى "كيوشو"، وأرسلت أمى خطابًا إلى أختى، وتصورت أن الخطابين اللذين كتبناهما أنا وأمى إلى أخى وأختى سيكونان آخر خطابين نكتبهما إليهما عن الحالة الصحية لأبى وهو حى، وكان محتوى الخطابين أننا سنرسل لهما تلغرافين فى حالة وفاة أبى فليكونا مستعدين لذلك.

أخى كان مشغولا بعمله، وأختى كانت حبلى، ولذلك إذا لم يكن وضع أبى الصحى خطيرًا جدًا فلن يحضرا، ولكن فى الوقت نفسه يجب ألا نتأخر فيحضرا بعد موته فيلومانا على دعوتنا المتأخرة لهما بالحضور، ولذلك كنت أشعر بمسؤولية ثقيلة لا يعلمها أحد عن اختيار الوقت المناسب لإرسال تلغراف لهما أطلب منهما بالحضور.

أحضرنا طبيبًا من مدينة كبيرة بالقرب منا فقال:

- "لا أستطيع أن أقول متى سيأتى أجله، ولكن اعلموا أنه من الممكن أن يكون فى أى لحظة".

تناقشت مع أمى وقررنا أن نحضر ممرضة من مشفى فى المدينة عن طريق ذلك الطبيب، وعندما جاءت ووجد أبى بجوار الوسادة سيدة ترتدى معطفًا أبيض وتلقى عليه التحية، نظر إليها بضيق.

كان يدرك أن مرضه هذا سوف ينهى حياته، ولكن لم يكن يدرك أن نهاية حياته قريبة وأنه يحتضر. قال:

- "عندما أُشفى سأذهب إلى العاصمة طوكيو لكى أستمتع بالحياة، فالإنسان لا يعلم متى يموت، فإنه لن يفعل ما يريد إلا فى أثناء حياته".

فلم تجد أمى مفرًا إلا أن تجاريه فى كلامه قائلة:

- "عندما تذهب إلى العاصمة طوكيو خذنى معك".

وأحيانًا يصبح حزينًا ويقول:

- "عندما أموت اهتم جدًا بأمك من فضلك".

وجملة "عندما أموت" باقية فى ذاكرتى، فلقد قال الأستاذ

لزوجته هذه الجملة عدة مرات وذلك فى مساء اليوم الذى تخرجت فيه، وتذكرت ابتسامة الأستاذ وهو يقول تلك الجملة وتذكرت زوجته تضع يديها على أذنيها كى لا تسمعها، وكانت جادة فى فعل ذلك ولم يكن تمثيلا، مع أن جملة "عندما أموت" تدل على افتراض حدوث ذلك ولا تدل على واقع، والآن أنا أسمع هذه الجملة من أبى ولكن لا أدرى متى يحدث ذلك ويصبح واقعًا، لم أستطع أن أضع يدىّ على أذنىّ كما فعلت زوجة الأستاذ، ولكن كان يجب علىّ أن أقول ما يرفع من معنوياته ويبعده عن التفكير فى الموت، فقلت له:

- "لا تكن مستسلمًا للموت هكذا، ألم تقل إنك عندما تشفى ستذهب إلى طوكيو مع أمى لتستمتع بوقتك هناك؟ عندما تذهب إلى طوكيو ستندهش من التغير الذى حدث فيها، فيكفى أنك سترى خطوط مترو كثيرة لم تكن موجودة قبل ذلك، وعندما يمر خط المترو فى مكان فإن طبيعة المكان تتغير وحال المدينة يتغير، بجانب أنه تم عمل تقسيم إدارى جديد للأحياء، فمدينة طوكيو الآن تعج بالنشاط والحيوية والحركة ليلا ونهارًا وليس هناك وقت سكينة أو هدوء فيها ولو لدقيقة واحدة".

ولكى أخفف عن أبى قلت أشياء أكثر من اللازم وكان ينصت لى برضا.

ولأن أبى مريض فأصبح من يدخلون المنزل ويخرجون منه كثيرون، وجاء أقاربنا الذين يعيشون بالقرب منا بمعدل شخص كل يومين لزيارة أبى المريض، وحتى أقاربنا الذين يعيشون بعيدًا فى

عزلة جاءوا لزيارته، وكان البعض ممن زاروه يقولون "إنه بخير، يتحدث بطريقة عادية ووجهه لم يصبح نحيفًا". كان المنزل هادئًا عند عودتى من طوكيو ولكن بدأ وضعه يتغير.

كان مرض أبى يتطور إلى الأسوأ تدريجيًا، فتناقشت مع أمى وعمى وقررنا أن أرسل تلغرافات إلى أخى وأختى، وجاء رد من أخى يقول إنه سيحضر بسرعة، وجاء رد من أختى يقول إنها ستحضر أيضًا، وكانت أختى حُلبى قبل ذلك ولكن الجنين سقط وهى حُبلى الآن ووجب عليها أن تخلد إلى الراحة حتى لا يسقط هذا الجنين مثل السابق فربما يأتى زوجها بدلاً منها لزيارة أبى.

- ١١ -

ومع عدم الاستقرار الذى كنا نعيشه بسبب مرض أبى فإننى كنت أجد وقتًا أخلو إلى نفسى فيه وأكون فى هدوء، وأحيانًا كان عندى وقت لكى أقرأ فى مرة واحدة عشر صفحات من كتاب، وقد فتحت حقيبة السفر التى كنت قد أعددتها وأغلقتها، حيث إننى احتجت أن أستخدم بعض الأشياء التى كانت بداخلها، وقبل أن أترك طوكيو وأعود إلى بلدتى كنت قد وضعت خطة لما سوف أفعله خلال الصيف، ولكن ما حققته من تلك الخطة لم يبلغ ثلث ما قررته، فقد وقعت أحداث مفجعة عدة مرات، وما حققته من خطة هذا العام كان أقل مما حققته من خطط فى الأعوام السابقة، وذلك بسبب شعورى بالحزن مما يحدث وإن كان من الطبيعى أن يحدث ذلك لأى إنسان.

وجلست فى حزن أفكر فى مرض أبى وما سيحدث بعد وفاته، وفى الوقت نفسه تذكرت الأستاذ، وتخيلت وجهيهما اللذين يختلفان تمامًا فى المكانة والتعليم والشخصية.

كنت أجلس بجانب الوسادة فى حجرة أبى ولكنى تركت المكان ودخلت حجرتى وجلست وسط كتبى عاقدًا ذراعى، وجاءت أمى إلى باب الحجرة وقالت:

- "نم قليلاً، فمن المؤكد أنك تشعر بالتعب".

لم تدرك أمى ما أشعر به، ولكنى لست طفلا لكى أتوقع منها أن تدرك ما أشعر به، شكرتها بكلمات بسيطة ولكنها ظلت واقفة عند باب الحجرة فقلت لها:

- "كيف حال أبى؟".

- "إنه نائم".

ثم جاءت وجلست بجانبى وقالت:

- "ألم يصل رد من الأستاذ؟".

لقد وثقت أمى فىّ أننى كتبت خطابًا للأستاذ بنية أن يساعدنى فى الحصول على عمل، وأكدت لأمى أنه سيبعث لى ردًا على خطابى، ولكنى لم أتوقع أن يأتى الرد بالنتيجة التى يريدها أبى وأمى، فإذا جاء الخطاب بما لا يتوقعاه فسيشعران بأنى خدعتهما.

قالت:

- "أرسل خطابًا آخر".

ليست مشكلة عندى أن أكتب عدة خطابات حتى لو كانت عديمة الفائدة ما دامت ستُريح أمى، ولكن المشكلة أننى لو كتبت

للأستاذ عدة خطابات فإنها ستكون ضغطًا عليه وهذا ما أكرهه، فلوم أبى لى أو حزن أمى أهون علىّ بكثير من أن ينظر الأستاذ إلى نظرة احتقار، فإن عدم رده على خطاب ليس له تفسير إلا أنه نوع من الاحتقار أو الإهانة لى.

قلت لأمى:

- "أنا لا أمانع أن أكتب خطابًا آخر ولكن لا يمكن طلب ذلك عن طريق البريد، يجب أن أذهب بنفسى إلى طوكيو لطلبه بطريقة مباشرة".

- "ولكن أباك مريض كما ترى ولا يمكن تحديد موعد لكى تسافر".

- "ولذلك لن أسافر، ما دام وضعه الصحى غير واضح، سأظل هنا".

- "طبعًا هذا ما يجب أن تفعله، فليس منطقيًا أن تترك أباك وهو فى حالة حرجة".

وفى البداية شعرت بالشفقة على أمى التى لا تفقه شيئًا؛ حيث إننى لم أدرك لماذا فتحت أمى موضوع الوظيفة الآن. فقد تركت أبى وجئت إلى حجرتى لكى أقرأ فى هدوء، فتنسى أمى مرض أبى وتأتى إلى حجرتى لتحدثنى فى موضوع آخر، فاندهشت من قلقها على مستقبلى وتترك القلق على أبى، وفجأة قالت:

- "فى الواقع إذا استطعت الحصول على وظيفة الآن وأبوك حى، فسيشعر بالطمأنينة، طبعًا من الصعب أن تحصل على وظيفة قبل أن يموت، ولكن إذا استطعت فإن ذلك سيسعده، فافعل أقصى

ما تستطيع من أجل إسعاده".

ولكن من المحزن أننى لم أقدر على فعل أقصى ما أستطيع من أجل أبى؛ حيث إننى لم أكتب سطرًا واحدًا إلى الأستاذ.

- ١٢ -

عندما جاء أخى كان أبى يقرأ الصحيفة وهو نائم، وكانت عادة أبى أن يقرأ الصحيفة ولا يجعل شيئًا يستوقفه عن قراءتها مهما كان، وقد ازداد اهتمامه بقراءة الصحيفة بعد أن مرض ولازم الفراش وشعر بالملل، ولم أحاول أنا وأمى إجباره على عدم فعل ذلك، بل تركناه يفعل ما يحلو له، لأنه مريض ويحتاج إلى حنان ورأفة ورحمة.

قال أخى لأبى:

- "أنا سعيد أن أراك فى صحة جيدة، كنت أعتقد أنك مريض جدًا فحضرت لرؤيتك، ولكنك فى أتم صحة، أليس كذلك؟".

رأيت أن أخى كان يتحدث بطريقة متفائلة أكثر من اللازم، وأن طريقته فى الكلام لم تكن مناسبة للموقف، ولكنه بعد ذلك جاء يتحدث معى بعيدًا عن أبى وحينئذ تملكه الحزن، وقال:

- "كيف تتركونه يرهق نفسه بقراءة الصحيفة هكذا؟".

- "أنا أيضًا أرى أنه يجب ألا يقرأ الصحيفة ولكن ما عسانا نفعل؟ إنه يفعل ما يريد ولا ينصت إلى النصائح".

استمع أخى إلى مبرراتى فى ترك أبى يقرأ الصحيفة فى صمت ولم يعلق، ولكنه قال:

- "هل يستطيع أن يستوعب ما يقرأ؟".

ويبدو أن أخى اعتقد أن القوى العقلية لأبى انخفضت بسبب المرض مما يجعله لا يستطيع أن يستوعب ما يقرأ. فقلت له:

- "نعم هو يستوعب ما يقرأ، فقد جلست بجانب الوسادة وتحدثت معه فى موضوعات شتى لمدة عشرين دقيقة وكان طبيعيًا جدًا، وبالنظر إلى ذلك فربما يعيش أطول مما نتوقع".

وصل زوج أختى فى وقت وصول أخى، كانت وجهة نظره بالنسبة لأوضاع أبى الصحية متفائلة جدًا، فقد جلس أبى معه وسأله كثيرًا عن أختى وقال له:

- "بما أنها حُبلى فيجب ألا تركب القطار، حيث إن اهتزاز القطار ضار بها، فإنها إذا تحاملت على نفسها وجاءت فسوف أشعر بالقلق، وعندما أُشفى سأذهب أنا إليها، فأنا لم أذهب إليها منذ مدة طويلة، سأذهب لكى أرى الطفل".

كان أبى أول من قرأ فى الصحف خبر وفاة الجنرال "نوجى"، وحينذاك صرخ فجأة قائلاً:

- "مصيبة، مصيبة".

فاندهشنا مما قال؛ حيث إننا لم نكن نعلم ما حدث، وبعدها قال لى أخى إنه عندما سمع أبى يقول ذلك، اعتقد أن أبى فقد عقله، وقال زوج أختى ذلك.

وفى تلك الفترة كنا نحن أهل الريف ننتظر بصبر نافد وصول الصحف إلينا لنقرأ أخبار الجنرال، وكنت أجلس بجانب وسادة أبى أقرأ بإمعان تلك الأخبار، وعندما لا يكون عندى وقت لقراءة الصحيفة

آخذها إلى حجرتى وألقى نظرة عليها كلها دون ترك جزء، ولمدة طويلة لم أستطع نسيان صورة الجنرال "نوجى" وهو يرتدى زيه العسكرى وزوجته وهى ترتدى رداء مثل سيدات القصر الإمبراطورى.

بينما كانت الرياح الحزينة تهب على جميع أرجاء الريف وتزلزل الأشجار والأعشاب المائلة، تلقيت فجأة ردًا من الأستاذ على خطابى، وحضور ساعى بريد يرتدى زيًا أوروبيًا ويحمل تلغرافًا حدث كبير جعل الكلاب تنبح، وأخذت أمى التلغراف وهى مندهشة، نادت علىّ إلى جانب وأعطته لى. وقالت:

- "ما المكتوب فى هذا التلغراف؟".

ثم وقفت بجانبى وأنا أفتح التلغراف، وكان مكتوبًا فى التلغراف باختصار "أريد أن أقابلك، هل تستطيع الحضور؟"، فأحنيت رأسى وأنا فى حيرة من أمرى.

قالت:

- "من المؤكد أنه يريد أن يقابلك بخصوص الوظيفة التى طلبتها منه".

تصورت أن رغبته فى مقابلتى بخصوص الوظيفة، ولكنى كنت أشعر بشىء ما غريب بالنسبة للتلغراف، فناديت على أخى وزوج أختى وتناقشت معهما فى محتوى التلغراف ولكنهما رأيا أنه يجب ألا أترك أبى المريض وأسافر إلى طوكيو، ثم ناقشت أمى وقررنا أن نرسل تلغرافًا للأستاذ نخبره بعدم استطاعتى مقابلته الآن، وكتبت له باختصار حالة أبى الصحية الحرجة، ولكنى لم أشعر أن ذلك كاف، فكتبت له خطابًا وضحت فيه بالتفصيل كل شىء وأرسلته فى اليوم

نفسه، قالت أمى، التى كانت تعتقد أن الأستاذ يمكن أن يساعدنى للحصول على وظيفة مرموقة، بوجه حزين:

- "من المؤسف أن يطلب منك الذهاب لمقابلته فى وقت عصيب كهذا، فليس هناك مفر من رفض طلبه".

- ١٣ -

كان الخطاب الذى كتبته طويلا جدًا، وتوقعت أنا وأمى أن يرد الأستاذ بخطاب، ولكن بعد يومين من إرسال الخطاب، وصلنى تلغراف منه مكتوب فيه جملة واحدة فقط: "ليست هناك أهمية لحضورك"، فأريت أمى التلغراف، فقالت:

- "من المؤكد أنه سيرد على خطابك بخطاب".

كانت أمى تعتقد أنه سيبحث لى عن وظيفة، وبدأت أفكر أنا أيضًا أن الأستاذ ربما يبحث لى عن وظيفة، ولكن من خلال معرفتى بأسلوب حياته رأيت أنه من الغريب أن يبحث لى عن وظيفة، ولكنى قلت لأمى:

- "إن الأستاذ يبحث عن وظيفة".

وقلت لنفسى: "ربما يفعل". وتوجهت ناحيتها وقلت لها بثقة:

- "أعتقد أن خطابى لم يصل إليه بعد، ولذلك فإنه أرسل ذلك التلغراف لى قبل أن يصله خطابى".

قالت أمى وهى منهمكة فى التفكير: "نعم أنت على حق"، ومعنى أنه أرسل لى تلغرافًا قبل أن يقرأ خطابى أن ذلك التلغراف ليس له أى أهمية.

كنا فى انتظار حضور الطبيب المعالج لأبى مع مدير مستشفى من المدينة، ولذلك لم نتحدث أكثر فى موضوع الوظيفة، وقام الطبيبان بإعطاء أبى حقنة شرجية ثم عادا.

منذ أمر الطبيب بالراحة التامة لأبى، كان يقضى حاجته وهو فى الفراش، وفى البداية كان يكره ذلك، ولأنه لا يستطيع الذهاب إلى الحمام فقد اعتاد ذلك مضطرًا، وبدأ وعيه يقل تدريجيًا بسبب المرض، فأصبح مع مرور الوقت لا يخجل من أن يقضى حاجته على الفراش أو أرضية الحجرة، ورغم أن المحيطين به كانوا يشعرون بالقلق عليه والضيق، فإنه كان يفعل ذلك وكأن ذلك شىء عادى، وأصبحت كمية البول التى يتبولها قليلة جدًا مما جعل الطبيب يعانى فى إخراج بوله، وتدريجيًا فقد شهيته للطعام، وإذا طلب طعامًا فإنه لا يأكل إلا القليل منه، ولم يعد يستطيع الإمساك بالصحيفة التى كان يحب قراءتها، ولم يعد يستخدم نظارته الموضوعة بجانب الوسادة فى جراب أسود. وحضر ذات يوم رجل يسكن على بعد نحو أربعة كيلومترات من منزلنا لكى يراه، وكان صديقه منذ الطفولة واسمه "ساكو"، فنظر إليه بعينين واهنتين وقال:

- "من؟ السيد ساكو؟ أنا سعيد بحضورك، جميل أنك بصحة جيدة، ولكنى انتهيت".

- "هذا ليس صحيحًا، لقد تخرج ابناك فى الجامعة، كما أن مرضك مرض يسير، ولكن انظر إلى حالى، ماتت زوجتى وليس لى أبناء، فأنا أعيش دون هدف، فما فائدة الصحة التى لا تجلب السعادة، أليس كذلك؟".

حصل أبى على حقنة شرجية بعد حضور السيد "ساكو" بعدة أيام، وقد شعر بالراحة بعدها وقال إنها أراحته كثيرًا، وأصبح مزاجه جيدًا وعادت له ثقته بنفسه وأنه سيُشفى ويعيش، ولكى تعطيه أمى أملا فى الحياة قالت له إن الأستاذ قد بعث بتلغراف يخبرنا بأنه وجد الوظيفة المرموقة التى كنا نريدها لابننا فى طوكيو، وكنت أجلس بجوارها، وعندما سمعتها تقول ذلك تبرمت، ولكنى لم أقاطعها وجلست ساكنًا أستمع إليها، وعندما سمع أبى ذلك تبسم وجهه وفرح.

وقال زوج أختى:

- "هذا خبر سار".

وسأل أخى:

- "ألم تعرفوا أى وظيفة تكون؟".

ولكن لم يكن عندى الشجاعة الكافية لأنكر ما قالته أمى، فأجبت بطريقة غير واضحة أننى لا أعرف بعد، ثم غادرت الحجرة.

- ١٤ -

وصل مرض أبى إلى مرحلة متقدمة، فترقبنا موته بين لحظة وأخرى، وكنا نؤوى إلى فراشنا كل ليلة ونحن نقول لأنفسنا سيموت اليوم أو غدًا.

لم يكن أبى يتألم مما أراح المحيطين به، وبالتالى كانت رعايته وتمريضه شيئًا غير متعب، ومن باب الاحتياط، كنا قد قررنا أن يكون أحد منا مستيقظًا بجواره استعدادًا لحدوث أى طارئ، وكنا نفعل ذلك بالتناوب، وفى إحدى الليالى لم أستطع النوم لسبب ما،

واعتقدت أننى سمعت صوت أنين خافتًا، فاستيقظت فى منتصف الليل وتسللت بخفة إلى حجرة أبى وكانت تلك الليلة ليلة أمى فى السهر بجواره، ولكننى وجدتها بجانب أبى وقد عقدت يديها كوسادة ووضعت رأسها عليهما ونامت نومًا عميقًا، وكان أبى ساكنًا ينام نومًا عميقًا وكأنه فى عالم آخر، فتسللت مرة أخرى بخفة ورجعت إلى حجرتى.

نمت مع أخى فى غرفة واحدة، ودخل زوج أختى حجرة مستقلة نام فيها؛ حيث إننا عاملناه كضيف.

قال أخى:

- "أشعر بالحزن على السيد سيكى، فهو لا يستطيع الرجوع إلى أسرته طوال عدة أيام".

و"سيكى" هو اسم زوج أختى.

قلت:

- "ولكنه ليس مشغولا لدرجة كبيرة، لذلك هو يقيم عندنا هكذا، ولكن المشكلة ليست مشكلة سيكى ولكنها مشكلتك، فأنت لم تتوقع أن يقيم معنا وقتًا طويلا هكذا، أليس كذلك؟".

- "هذا صحيح، ولكن ليست هناك حيلة، فالموقف الذى نحن فيه يختلف عن أى موقف آخر".

دار بينى وبين أخى الأكبر ذلك الحديث ونحن نائمين كل على فراش منفصل بجانب الآخر، وكان أخى يعتقد أن أبى لن يعيش طويلا وكذلك أنا، وكنا ننتظر موته، وتجنبنا أن نقول هذا صراحة، ولكن كل منا كان يعلم جيدًا ما يفكر فيه الآخر. قال أخى:

- "يبدو على أبى أنه عنده أمل فى أن يشفى".

فى الواقع كان يبدو على أبى ذلك، وعندما يأتى الجيران لرؤيته يصر على مقابلتهم ويعتذر لهم عن عدم دعوتهم إلى حفل بمناسبة تخرجى، وأحيانًا كان يقول لهم إنه سيقيم حفلا عندما يُشفى.

قال أخى لى:

- "أنت محظوظ أن يتم إلغاء حفل تخرجك فما حدث فى حفل تخرجى كان شيئًا سيئًا".

فتذكرت ما حدث فى حفل تخرجه؛ حيث إننى احتسيت الخمر وكان هناك هرج ومرج، وتذكرت بمرارة كيف كان أبى يدور على الضيوف ويجبرهم على تناول الطعام والشراب، فضحكت ضيقًا مما حدث حينذاك.

علاقتى بأخى الأكبر لم تكن جيدة إلى درجة كبيرة، فقد كنا نتشاجر ونحن أطفالا كثيرًا، وكان يضربنى ويجعلنى أبكى، وبعد أن التحقنا بالجامعة واختلفت التخصصات فاختلفت الشخصيتان اختلافًا كبيرًا، وعندما كنت فى الجامعة واختلطت بالأساتذ، اعتقدت أنه لا تقارب بينى وبين أخى، وأنه شخص حيوانى، ولأنى لم أقابل أخى لمدة طويلة ولبعد المسافة بينى وبينه، أى أن هناك بعدًا من ناحية الوقت والمسافة مما جعلنى لا أشعر بالتقارب معه، ولكن عندما تقابلنا فى منزلنا الآن وتحادثنا شعرت أنه ذو مشاعر رقيقة تتدفق تلقائيًا من قلبه، وربما يكون السبب فى ذلك أن الموقف الذى نمر به موقف عصيب، فتصافحنا بجانب وسادة أبينا الذى يحتضر.

وسألنى أخى:

- "ماذا ستفعل من الآن فصاعدًا بالنسبة لمستقبلك؟".

فسألت أخى سؤالا مختلفًا تمامًا عن ذلك:

- "ماذا سيحدث بالنسبة لممتلكاتِ أسرتنا؟".

- "لا أعلم، لم يقل أبى شيئًا بعد عن ذلك، ولكن بالنسبة للمال وضعنا ليس سيئًا لدرجة كبيرة".

أما أمى فكانت تنتظر بقلق وصول خطاب من الأستاذ وتقول لى بلهجة توبيخ:

- "ألم يأتِ الرد من الأستاذ بعد؟".

- ١٥ -

سألنى أخى:

- "لقد سمعتكم عدة مرات تقولون الأستاذ، فمن يكون؟".

- "ألم أحدثك عنه منذ عدة أيام؟".

وشعرت بالضيق من أخى الذى يسأل سؤالا عن شىء كنت قد حدثته عنه، ومع ذلك نسى. قال:

- "نعم لقد حدثتنى عنه ولكن...".

وما أراد أخى أن يقولوه إنه ما زال لا يعرف معلومات كافية تجعله يقتنع أن نضعه فى مكان عالٍ ونقول "الأستاذ"، ولكن من وجهة نظرى أنه ليس من الضرورى أن يقتنع أخى، فقد شعرت بالغضب مما قال، وقلت لنفسى إن سؤاله هذا يوضح أنه لم يتغير

عن أيام الطفولة، وإن ما يضايقنى فيه ما زال موجودًا فى شخصيته مثل أيام الطفولة.

كان أخى يريد أن يقول إن كلمة "أستاذ" يجب إطلاقها على شخصية مشهورة، على الأقل أن يكون أستاذًا جامعيًا، ويجب ألا نطلقها على شخص ليس مشهورًا ولا يعمل، وبذلك يكون أخى مثل أبى فى الرأى بالنسبة للأستاذ، ولكن الاختلاف بينهما يكون فى أن أبى حكم على الأستاذ أنه يقضى وقته يستمتع بالحياة لأنه يملك قدرات عقلية عالية ولذلك لا يستطيع أن يعمل أى عمل نافع، ولكن أخى حكم عليه بأنه ذو إمكانيات عقلية عالية ولكنه لا يستغلها فى العمل وهذا شىء سيئ.

قال أخى:

- "يجب ألا نكون أنانيين، إن العيش دون القيام بعمل يعنى الكسل، يجب على الإنسان أن يستخدم قدراته على قدر المستطاع وإلا يكون مخطئًا".

وفكرت أن أقول لأخى: "هل تفهم معنى الأنانية"، ولكنى تراجعت.

وأضاف:

- "ولكن جيد أن تحصل على وظيفة مرموقة عن طريق ذلك الشخص، كما أن أبانا فرح بحصولك على تلك الوظيفة المرموقة".

وبما أن الأستاذ لم يرسل لى خطابًا يوضح فيه أنه وجد لى وظيفة مرموقة، فإننى لا أستطيع أن أصدق، وفى الوقت نفسه ليس عندى جرأة لكى أقول للجميع إننى لا أعلم ما إذا كان قد وجد لى

وظيفة مرموقة أم لا، فلقد تعجلت أمى وقالت لهم ذلك، وأنا لا أستطيع أن أنفى كلامها الآن بعد أن سمعوها وصدقوها، وأصبحت أنتظر وصول رد منه بصبر نافد كما تفعل أمى، وأتمنى أن يأتى الرد كما يتوقع الجميع، وذلك بأن يكون مكتوبًا فيه أنه وجد وظيفة مرموقة لى، فقد فكرت فى أبى الذى يحتضر وأمى التى تريد أن تُسعد أبى وترفع معنوياته، وأخى الذى يعتقد أن الذى لا يعمل لا يعتبر إنسانًا، وزوج أختى وعمى وعمتى ونفسى الحائرة التى تسألنى هل سيحاول مساعدتى فى الحصول على وظيفة أم لا، وجعلنى تفكيرى فى كل هؤلاء أشعر بالعصبية وأتمنى أن يأتى رد يكون عند حسن ظن الجميع.

تقيأ أبى قيئًا أصفر اللون، وتذكرت ما قاله الأستاذ وزوجته عن أن القيء مؤشر على خطورة الحالة، ثم نظرت إلى وجه أمى وهى تقول:

- "ما دام نائمًا مدة طويلة هكذا فسيسوء جهازه الهضمى".

ووجدتنى أبكى أمام أمى التى لا تعرف الكثير عن الدنيا. وعندما أصبحت مع أخى فى حجرة المعيشة قال:

- "سمعت؟".

وكان يقصد بذلك "هل سمعت ما قاله الطبيب لى عند عودته؟"، ولم أكن فى حاجة لشرح ما قاله الطبيب، فقد فهمت جيدًا ما قال.

ثم قال أخى:

- "أليست عندك نية للإقامة الدائمة هنا وتدبير أمور المنزل؟".

ولكن لم أجب.

ثم أضاف:

- "أمى لا تستطيع العيش فى المنزل بمفردها وتتحمل مسؤولية تدبير أمور المنزل، أليس كذلك؟".

وبدا لى أن أخى الأكبر لا يشعر بمرارة أن أعيش فى الريف إلى أن أموت، وأضاف قائلاً:

- "إذا كنت تريد قراءة الكتب، فإنك تستطيع فعل ذلك هنا فى الريف، وبالتالى لن تكون هناك أهمية للقيام بالعمل، أليس هذا يناسبك؟".

- "أنت الأخ الأكبر، وبالتالى أنت من يجب أن يعود أولاً إذا كانت هناك حاجة لوجود أحدنا هنا باستمرار".

- "هل ترانى أستطيع فعل ذلك؟".

وما كان فى عقل أخى الطموح أنه بدأ العمل وأن الدنيا تفتح له ذراعيها ليكبر.

قال:

- "إذا لم تكن تريد فعل ذلك، فمن الممكن أن نطلب من عمى أن يعتنى بالمنزل، ولكن أحدنا يجب أن يعتنى بأمنا، أحدنا يجب أن يأخذها تعيش معه".

- "المشكلة الأكبر هل ستوافق أمى على ترك المنزل أم لا".

تجادلنا عما سنفعل بعد موت أبينا رغم أنه ما زال حيًا.

أصبح أبى يهذى بكلام غريب، فقال:

- "سامحنى يا جنرال نوجى، فى الحقيقة أنا أشعر بالخجل أن أُرِى الناس وجهى، سألحق بك فى الحال".

وعندما كان يهذى بمثل تلك الأشياء من حين إلى آخر كانت أمى تشعر بالخوف، تجمعنا بجانبه، وعندما كان يفيق من الهذيان كان يبدو عليه أنه يشعر بالوحدة ويريدنا أن نجتمع حوله، وحينما ينظر فى الحجرة ولا يجد أمى ينادى عليها، وإذا لم ينادِ عليها كانت نظراته توضح أنه يريدها بجانبه، فكنت أدعوها فتقول "هل تريد شيئًا؟"، فأحيانًا كان ينظر إليها دون أن يقول شيئًا وأحيانًا كان يقول كلامًا رقيقًا مثل "شكرًا على رعايتك لى طوال هذا العمر"، فتبكى أمى وتتذكر أيام كان أبى بصحة جيدة وتقارن بين شخصيته فى تلك الفترة وشخصيته الآن وتقول:

- "يقول لى كلامًا رقيقًا الآن وقد كان إنسانًا قاسيًا".

وتحكى لنا كيف كان يضربها بالمكنسة على ظهرها، وكنا قد سمعنا ذلك منها مرات عديدة ولكن سمعناه هذه المرة بطريقة مختلفة، بطريقة أنه سوف يكون ذكرى.

وعلى الرغم من أن أبى كان على شفا الموت فإنه لم يقل لنا شيئًا يوصى به بعد مماته. ولذلك نظر أخى إلىّ وقال:

- "أليس مهمًا الآن أن نسأله عن وصيته لنا؟".

- "لا أعرف".

فأنا لا أعرف إذا كان حديث أبى عن وصيته والميراث سيكون

شيئًا جيدًا له أم سيئًا وهو فى حالة احتضار، فقررت أن وأخى أن نستشير عمى إذا كنا نطلب من أبينا أن يقول وصيته أم لا، فشعر عمى أيضًا بالحيرة وقال:

- "إذا كان يريد قول شىء ومات قبل أن يقوله فذلك سيكون شيئًا محزنًا، ولكن إذا فرضنا عليه أن يتحدث عن وصيته وهو لا يريد فهذا أيضًا شىء سيئ".

لم نصل إلى قرار عما إذا كنا سنفاتحه فى الوصية أم لا، ولكن ذهب أبى فى غيبوبة، وكالعادة فإن أمى التى لا تفقه شيئًا اعتقدت أنه خلد إلى النوم فشعرت بالسعادة، وقالت:

- "ما دام قد نام نومًا عميقًا فإنه سيستريح".

وأحيانًا كان أبى يفتح عينيه فجأة ويقول "أين فلان؟ وما أخباره؟" وكان فلان هذا موجودًا بجانبه منذ قليل، ويبدو أن ذاكرة أبى كان بها أماكن مضيئة وأخرى مظلمة، وكانت الأماكن المضيئة كنقاط بيضاء غير متصلة فى شريط أسود، ولذلك كان من الطبيعى لأمى أن يختلط عليها الأمر وتعتقد أن أبى نائم لا فى غيبوبة.

ومع مرور الوقت أصبح لسانه ثقيلا، فلا يستطيع أن يكمل كلامه إلى آخره، وبالتالى لا نستطيع أن نفهم محتوى الكلام، وعندما يبدأ كلامه يتحدث بصوت عالٍ لدرجة تجعلك لا تشعر أنه مريض بمرض خطير، ولكن عندما يتحدث إليه أحد يجب أن يقترب من أذنه ويصيح بصوت عالٍ حتى يسمع.

قلت له:

- "هل تريد أن أُبَرِد لك رأسك؟".

- "نعم".

وبمساعدة الممرضة وضعت ثلجًا فى كيس ووضعته فوق رأس أبى، وكنت أضع يدى على جبهته لكى لا تؤلمه قطع الثلج المدببة، وبينما كنت هكذا، إذا بأخى يأتى من ناحية الطرقة ويعطينى خطابًا دون أن يقول كلمة، فأخذته وشعرت بأن شيئًا غريبًا قد حدث.

كان الخطاب ثقيلا مقارنة بالخطاب العادى، ولم يكن موضوعًا فى مظروف عادى، ولم تكن كمية الورق الموجوده فيه عادية، وكان ملفوفًا بورقة قوية ومغلقة بعناية بالصمغ، ولاحظت أنه خطاب مسجل، نظرت خلفه فوجدت اسم الأستاذ مدونًا عليه، وبما أننى كنت أضع إحدى يدى على رأس أبى فلم أستطع فتحه ووضعته فى جيبى.

- ١٧ -

فى ذلك اليوم ساء وضع أبى كثيرًا، قمت من مكانى متجهًا إلى دورة المياة فتقابلت مع أخى فى الطرقة فسألنى:

- "أين تذهب؟".

وكأنه حارس يستجوبنى ثم قال لى منبهًا:

- "يبدو أن صحة أبينا ساءت جدًا ولذلك يجب أن نكون بجانبه".

رأيت ذلك أيضًا، فتركت الخطاب فى جيبى كما هو ورجعت إلى حجرة أبى، فتح أبى عينيه وسأل أمى عن أسماء الزوار

الموجودين فى الحجرة، فقالت له وكان يومئ برأسه دليلا على أنه يفهم ما تقول، وإذا لم يفعل ذلك فكانت تصيح: "هذا هو السيد فلان، هل سمعت؟".

فقال لهم:

- "شكرًا على ما قدمتموه لى من رعاية واهتمام طوال حياتى".

ثم دخل فى غيبوبة أخرى، فنظر إليه المحيطون به فى صمت، وبعد قليل قام أحد الزوار وترك الحجرة، ثم تبعه آخر، وقمت أنا أيضًا وتركت الحجرة ورجعت إلى حجرتى، وكان هدفى أن أُلقى نظرة على الخطاب الموجود فى جيبى، كان من الممكن أن أفتحه فى حجرة أبى، ولكن الخطاب كان طويلا جدًا فلن أستطيع قراءته كله فى مرة واحدة وأنا هناك، ولذلك اغتنمت فرصة عدم وجود زوار فى حجرة أبى فرجعت إلى حجرتى لقراءته فى هدوء.

مزقت المظروف القوى فظهر الخطاب، وكانت الكلمات مكتوبة فى مربعات موجودة بين خطوط رئيسية وخطوط أفقية، وكان الخطاب مطويًا أربع طيات لكى يمكن وضعه فى المظروف ففردته لكى تسهل قراءته.

اندهشت وسألت نفسى لماذا استخدم الأستاذ كل هذه الأوراق وكثيرًا من الحبر؟ ما الذى كتبه لى فى كل هذا؟".

ولكنى كنت مشغولا بالتفكير فى أبى المريض، وكنت متأكدًا أننى عندما أبدأ فى الخطاب وقبل أن أنتهى منه سيحدث شىء ما لأبى، أو على الأقل سينادى أخى أو أمى أو عمى علىّ، ولذلك لم أشعر بالراحة لقراءة الخطاب بهدوء، فقرأت الصفحة الأولى على

عجل، وكان مكتوبًا فيها الآتى:

"عندما سألتنى عن الماضى الخاص بى لم تكن عندى الشجاعة الكافية للحديث بصراحة عنه ولكن الآن يمكننى التحدث بحرية إليك، وهذه الحرية متوفرة الآن فقط فى الوقت الذى تكون أنت فيه فى بلدتك تنتظر رجوعك إلى طوكيو، وإذا لم أستغل هذه الفرصة لكى أحكى لك عن ماضىّ حتى يكون خبرة مفيدة لك فى حياتك فستضيع الفرصة ولن أستطع أن أحكى لك أبدًا، وقد وعدتك بالحديث عنه وإذا لم أفعل أكون كاذبًا، ولقد اضطرتنى ظروفى إلى أن أكتب عن ذلك بدلاً من أن أقوله".

وعندما قرأت إلى هذا الحد استطعت أن أعرف عن ماذا سيتحدث هذا الخطاب الطويل، وكنت متأكدًا منذ البداية أن الأستاذ لن يرسل خطابًا عن موضوع الوظيفة، ولكن سألت نفسى لماذا يكتب الأستاذ الذى يكره الكتابة خطابًا طويلا يحكى لى فيه عن ماضيه؟ ولماذا لم ينتظر إلى حين رجوعى إلى طوكيو فيحكى لى مباشرة؟!

قرأت قوله: "سأتحدث لأن الفرصة قد جاءت، ولكن الفرصة ستختفى ولن تعود إلى الأبد" عدة مرات وحاولت أن أفهم المعنى المقصود بذلك، وفجأة شعرت بقلق شديد، وبدأت أقرأ ما كتبه بعد ذلك فى خطابه ولكنى سمعت أخى ينادى علىّ بصوت عالٍ، فاسرعت إلى حجرة أبى حيث يوجد الجميع، وتوقعت أن تكون هذه هى اللحظة التى سيفارق فيها الحياة.

- ١٨ -

فوجئت بوجود الطبيب فى حجرة أبى، وكان يستعد لإعطاء أبى حقنة شرجية حتى يجعل أبى يشعر بالراحة، وكانت الممرضة تنام فى حجرة مجاورة من أثر التعب ليلة أمس فى رعاية أبى، ووقف أخى حائرًا ماذا يفعل، فهو لم يعتد على مساعدتنا فى رعاية أبينا المريض، وعندما رآنى أدخل حجرة أبى قال لى:

- "ساعد الطبيب".

ثم جلس على مقعد، وأخذت أنا مكانه فى مساعدة الطبيب، حيث قمت بوضع ورقة لا تنفذ السوائل منها تحت مؤخرة أبى.

شعر أبى بقليل من الارتياح، جلس الطبيب نصف الساعة يترقب نتيجة الحقنة، وعندما اطمأن على أنها أتت بنتيجة جيدة قال إنه سيحضر لاحقًا، "وإذا حدث شىء فلا ترددوا فى الحضور لى"، ثم غادر المكان.

تركت حجرة أبى التى يخيم عليها الموت ورجعت إلى حجرتى، وشرعت فى قراءة الخطاب، ولكنى لم أشعر بالهدوء الذى يمكننى من قراءة الخطاب ولا حتى قليلاً، خصوصًا أننى توقعت أن ينادى أخى علىّ فى أى لحظة، وارتعشت يداى خوفًا من أن تكون المرة القادمة التى ينادى أخى علىّ فيها هى المرة الأخيرة فى حياة أبى، فقمت بتقليب صفحات الخطاب دون وعى وقرأت ما تقع عليه عيناى من كلمات، ولكن لم تكن عندى سعة من صدر ووقت للقراءة بإمعان، ولا حتى الوقت لقراءة الأجزاء التى قد تكون مهمة، وفتحت جميع الصفحات وعندما وصلت إلى آخر صفحة كنت على

وشك وضع الخطابَ على المكتب ولكنى فوجئت فى آخره بجملة جذبت انتباهى، تقول:

- "عندما يصلك خطابى هذا فلن أكون فى هذا العالم، سأكون قد مت".

خفق قلبى الذى كان ساكنًا، وكاد يتوقف، وبدأت أقلب الصفحات من الآخر إلى الأول، أقرأ الفقرة الأخيرة ثم التى قبلها وأحاول أن أجد الكلمات التى تجعلنى أفهم ما لا أفهمه، وكنت ما أريد معرفته حينذاك، هل الأستاذ بخير أم لا، ولم يكن وعده لى بأن يطلعنى على ماضيه الغامض له قيمة عندى على الإطلاق، وأخذت أقلب صفحات الخطاب الطويل وأقرأها من الخلف إلى الأمام محاولاً العثور على المعلومات المهمة التى تجعلنى أعرف ماذا حدث له، فلم أجد فأغلقت الخطاب فى ضيق شديد.

ذهبت إلى باب حجرة أبى لكى أستطلع ما إذا كان هناك أى مستجدات أم لا، فوجدت المكان هادئًا ولا يوجد أحد إلا أمى، وكان يبدو عليها التعب، فأشرت إلى أبى وسألتها:

- "كيف حاله؟".

- "حالته مستقرة قليلاً الآن".

ثم اقتربت بوجهى من عينى أبى وقلت:

- "هل شعرت ببعض الراحة بعد الحقنة".

فأومأ برأسه بالإيجاب، ثم قال بوضوح:

- "شكرًا".

وكان أبى على عكس المتوقع، فقد كان فى كامل وعيه.

تركت الحجرة مرة أخرى وذهبت إلى حجرتى، ونظرت إلى الساعة ونظرت فى قائمة قيام ووصول القطارات، ثم وقفت على الفور وأغلقت الحزام جيدًا ووضعت خطاب الأستاذ فى جيبى، ثم خرجت من الباب الخلفى إلى الشارع، وذهبت مسرعًا إلى منزل الطبيب، وكنت أريد سؤال الطبيب عما إذا كان أبى سيعيش عدة أيام أم لا، وكنت أريد أن أطلب منه أن يعطى أبى حقنة أو أى شىء آخر يجعله على قيد الحياة لعدة أيام، ولكن لسوء الحظ لم يكن الطبيب موجودًا، ولم يكن عندى وقت كى أنتظر عودته، وركبت عربة وأسرعت بها إلى محطة القطار.

فى المحطة كتبت خطابًا بالقلم الرصاص إلى أمى وأخى، وكان خطابًا بسيطًا، وهذا أفضل من أن أسافر دون علمهما، وطلبت من سائق العربة أن يعطى الخطاب إلى عائلتى، ثم قفزت بسرعة فى القطار المتجه إلى طوكيو، وبينما كنت أسمع صافرة القطار الذى ركبته، أخرجت الخطاب من جيبى وقرأته من أوله إلى آخره.

خطاب الأستاذ

- ١ -

وصلنى منك هذا الصيف عدة خطابات، وعلى ما أتذكر أنك طلبت فى الخطاب الثانى أن أساعدك فى الحصول على وظيفة مرموقة، وعندما قرأت طلبك هذا نويت أن أساعدك لتحقيق رغبتك، أو على الأقل أن أكتب لك ردًا على خطابك هذا، ولكنى أعترف أننى لم أفعل أى شىء لمساعدتك فى الحصول على الوظيفة التى تريدها، فكما تعلم أننى إنسان يعيش وحيدًا ومنعزلاً فى هذه الدنيا وليس لى حتى قليل من العلاقات الاجتماعية، وبالتالى لا أستطيع أن أساعدك، والمشكلة ليست فى عدم مقدرتى على مساعدتك فى ذلك، ولكن لأننى لا أعرف ماذا يجب أن أفعل تجاه نفسى، هل أستمر فى أن أعيش كمومياء وسط الناس كما أفعل الآن، أم أن أغير حياتى، وعندما كنت أفكر فى تغيير حياتى كنت أشعر بالرعب، مثل شخص كان يجرى فوصل إلى حافة هاوية فنظر إلى أسفل فوجد الأرض بعيدة لا يصل إليها نظره فشعر برعب، لقد كنت جبانًا، وشعرت بالعذاب مثل كثير من الجبناء، وللأسف فى فترة شعورى بالجبن والعذاب ظهرت أنت فى حياتى ولكنى لم أوليك أية أهمية، كما أن حصولك على وظيفة مرموقة

وإيجاد مصدر رزق لك بالنسبة لى موضوعًا ليس له أهمية، فلم أكن أعبأ بذلك، ولم يكن عندى وقت لكى أفكر فى موضوعك، فوضعت الخطاب فى درج المكتب وظللت أفكر فى حالى، ولكن رغم أنك فى مكان بعيد عنى قلت لنفسى فى ضيق: لماذا شخص مثلك تخرج الآن فى الجامعة يلهث للبحث عن وظيفة رغم أن عائلته غنية؟ وأنا أقول لك ذلك بصراحة لكى تعرف سبب تكاسلى فى البحث عن عمل لك، حيث إننى يجب أن أرد على خطابك بخطاب، ولا أقول ذلك لأنى أريد إغضابك، وستفهم ما أقصده من كلامى هذا عندما تقرأ بقية هذا الخطاب، وعلى كل حال كان يجب أن أرد على خطابك الأول، ولم أفعل، وإنى أعترف أمامك أننى مذنب وأعتذر عن ذلك.

وبعد ذلك أرسلت إليك تلغرافًا، وقلت لك بصراحة إننى كنت أريد مقابلتك، فقد كنت أريد أن أخبرك بماضىَ كما كنت تريد، ولكنك أرسلت تلغرافًا يقول إنك لا تستطيع الحضور، فنظرت طويلاً بحزن إلى ذلك التلغراف وشعرت بخيبة أمل ألا أراك، وشعرت أنت أيضًا بأن إرسال تلغراف لى ليس كافيًا فأرسلت خطابًا طويلا وضحت لى فيه أسباب عدم قدرتك على الحضور، مما جعلنى لا أشك لحظة فى أنك إنسان محترم فى تصرفاته، فلا يمكن أن تترك أسرتك وأباك المريض وتأتى إلى طوكيو، وفى الواقع أننى عندما أرسلت إليك كنت قد نسيت أن أباك مريض، رغم أنك عندما كنت فى طوكيو حذرتك كثيرًا وقلت إن مرض أبيك خطير ويجب أن تهتموا به جيدًا، وكما ترى فأنا إنسان

تصرفاته متناقضة، وربما تكون تصرفاتى المتناقضة هذه ليست جزءًا من شخصيتى ولكن بسبب ماضىّ الذى ضغط علىّ وحولنى إلى إنسان متناقض، وأنا معترف بأخطائى وأطلب الصفح والعفو.

لقد أدركت أننى فعلت شيئًا سيئًا عندما قرأت خطابك الأخير، فأحضرت ورقة وأمسكت بالقلم لكى أكتب لك عن ذلك ولكنى لم أستطع، وقلت لنفسى إذا كنت سأكتب إليك فمن الأفضل أن أكتب هذا الخطاب، ولكن الوقت كان مبكرًا لكتابة هذا، ولذلك تراجعت عن كتابته، وهذا هو السبب الذى جعلنى أرسل إليك تلغرافًا ثانيًا أقول لك فيه لا تحضر.

- ٢ -

وبعد ذلك كتبت هذا الخطاب، وكان من الصعب علىّ أن أكتب عما حدث لى من مشكلات وعما يدور فى ذهنى حيث إننى لم أتعود على الكتابة، ورغم أننى أعتقد أنه من الواجب علىّ كتابة هذا الخطاب إليك لأننى وعدتك بأن أخبرك بماضىّ، فإننى كنت على وشك التراجع عن كتابته، ولكنى لم أستطع الاستمرار فى الهروب منك، وبعد تفكير قررت أن أكتب، وأنت تعرف أن من صفاتى الوفاء بالعهود، ولكن كما تعلم فإننى إنسان منطوٍ على نفسى ليست لى علاقات كثيرة بالناس، فلم أجد واجبات يجب علىّ القيام بها، وهذا لا يرجع إلى طبيعتى أو أننى أتعمد أن أفعل ذلك ولكن لأنى عزلت نفسى عن المجتمع، فأنا لا أتعمد الهروب

من واجباتى ولكنى إنسان حساس أكثر من اللازم، ولذلك ليست عندى القوة النفسية التى تجعلنى أتحمل مسؤولية القيام بأى واجب، ولذلك فقد عشت حياة سلبية لا أتحمل فيها مسؤولية القيام بواجب، وبما أننى وعدتك بأن أخبرك عن حياتى فإذا لم أفعل فسوف أشعر بالضيق الشديد، ولكى أتجنب هذا الشعور فلا مفر من أن أكتب إليك هذا الخطاب لكى أحكى لك عن حياتى.

وفوق كل ذلك فأنا أريد أن أكتب عن ماضىّ، وبصرف النظر عن أنه من الواجب علىّ أن أخبرك لأننى وعدتك بذلك ولكنى أريد أن أكتب عن ماضىّ، فهو تجربتى أنا فقط وهو ملكى أنا وحدى، وسيقول الناس إنه من المؤسف أن أموت دون أن يعلم أحد شيئًا عنى، وأنا أيضًا أرى ذلك، ولكن إذا كنت سأتحدث عن ماضىّ إلى إنسان لا يريد معرفته فمن الأفضل لى أن يتم دفن تجربتى فى الحياة معى فى القبر، وإذا لم تكن أنت ظهرت فى حياتى لما نقلت تجربتى إلى الآخرين ولا حتى بطريقة غير مباشرة، ولقد اخترتك أنت من بين عشرات الملايين من اليابانيين لكى أقص عليك قصتى، لأنك إنسان جيد، فأنت قلت إنك تريد أن تتعلم من الحياة.

ودون تردد جعلتك تفكر فى حياتى الغامضة، ولكن يجب ألا تشعر بالخوف من ذلك، فلتنظر فى حياتى الغامضة وتتأملها ولتأخذ ما يفيد منها، والغموض الذى أقصده هو فى الأصل غموض أخلاقى، فأنا إنسان وُلِد وعاش على الأخلاق، ولكن إذا كانت

أخلاقياتى تختلف عن الآخرين فهى تخصنى وحدى، ولم أستعرها من أحد كما يستعير شخص بدلة، ولذلك فإن بعضًا من أخلاقياتى سيكون مفيدًا لك لكى تطور نفسك من الآن فصاعدًا.

وأنت تتذكر أنك كنت تتحاور معى كثيرًا عن المشكلات الفكرية الحالية، وأنت تعلم أن تعليقاتى لم تصل إلى احتقار آرائك وكذلك لم تصل قط إلى حد الاحترام، وذلك لأن آراءك ليست قائمة على أساس، كما أنك صغير ليست لك خبرات ولا تجارب كثيرة، ولذلك كنت أضحك فى بعض الأحيان، وكنت تنظر إلىّ بوجه يقول إنك تنتظر منى أن أشرح لك لكى تفهم، فقد كنت تريد أن أتحدث عن ماضىّ وأن أجعله أمامك ككتاب مفتوح، وقد احترمت رغبتك، فكان واضحًا فى كلامك وتصرفاتك عدم ترددك فى محاولة الإمساك بالأشياء الحية داخل قلبى، وقد كنت حينذاك حيًا، ولا أريد أن أموت، ولذلك تجاهلت رغبتك وأجلت الحديث عن ذلك إلى حين، والآن سأقطع قلبى بيدى فتخرج دماؤه على وجهك، وعندما تتوقف ضربات قلبى، إذا سكنت فى صدرك روح جديدة فسأشعر بالرضا.

- ٣ -

توفى أبى وأمى قبل أن يصبح عمرى عشرين، وأذكر أن زوجتى قالت لك ذلك سابقًا، وقد ماتا بالمرض نفسه، وأتذكر أنها عندما أخبرتك بأنهما ماتا تقريبًا فى نفس الوقت، ساورك الشك فى أن

وراء موتهما هذا شيء، ولكن فى الواقع فإن أبى كان مصابًا بمرض خطير وهو التيفويد، وانتقل ذلك المرض إلى أمى التى كانت تقوم بتمريضه.

كنت أنا الابن الوحيد لوالدىّ، وبما أن عائلتى كانت غنية جدًا فقد عشت حياة رغدة، وعندما أنظر إلى ماضىّ أجد أنه إذا لم يمت والداى، أو على الأقل إذا عاش أحدهما، لظللت إلى الآن أعيش حياة رغدة.

وأصبحت وحيدًا بعد أن ماتا، ولم أكن أعرف شيئًا ولا لى خبرة فى الحياة ولا أعرف كيف أفرق بين الجيد والسيئ، وعندما كان أبى يحتضر لم تستطع أمى أن تكون بجانبه، وإلى أن أوشكت أمى على الموت لم تكن قد أخبرتنى أن أبى قد مات، ولا أعلم إذا كانت قد عرفت أنه مات أم أنها كانت تعتقد أنه سيشفى؛ فقد كان المحيطون بها يقولون لها ذلك، ولقد طلبت أمى من عمى أن يكون مسؤولا عن كل شيء بعدها، وأحضرتنى أمامه وقالت له:

- "أرجو أن ترعى ابنى هذا".

وقبل موت أبى وأمى كنت قد طلبت منهما أن يوافقا على ذهابى إلى طوكيو والعيش فيها، ووافقا على ذلك، وكانت تريد أن تخبر عمى عن ذهابى إلى طوكيو والعيش فيها ولكنها قالت فقط:

- "طوكيو".

فقال عمى لها بسرعة:

- "حسنًا، لا تقلقى أبدًا".

قاومت أمى درجة الحرارة العالية مما جعل عمى يقول لى:

- "إن أمك سيدة قوية وشجاعة".

ولكنى عندما أفكر الآن مرة أخرى فيما قالته لعمى قبل موتها، أجدنى لا أعلم هل ما قالته كان وصيتها أم لا، وطبعًا كانت أمى تعلم اسم المرض الذى أصاب أبى، وكانت تعلم أيضًا أنه كان مرضًا معديًا، ولكنى أشك فى أنها كانت تعرف أنها ربما تموت بسبب ذلك المرض، ولو افترضنا أن أمى كانت تعى ما تقوله عندما كانت درجة حرارتها مرتفعة، فإن بعضه لم يعلق فى ذاكرتها عندما انخفضت درجة الحرارة، وليست المشكلة فى ذلك، ولكن المشكلة أننى أفكر فى كل شىء وأبحث عنه وأحاول تحليله، وكان يجب علىّ أن أخبرك منذ البداية أن التفكير والبحث والتحليل من خصالى، وربما كلامى هذا ليس له علاقة بالأحداث التى وقعت لى وبالتالى ليس مفيدًا لك، ولكنى أرجوك أن تقرأ هذا الخطاب إلى نهايته وستعلم ماذا أقصد، وأرجو ألا تنسى أن طبيعتى التى تهوى التفكير والبحث والتحليل أثرت على شخصيتى وتصرفاتى، وجعلتنى بعد ذلك أشك فى أخلاق الآخرين، وكانت سببًا قويًا لشعورى بالقلق والمعاناة النفسية.

وإذا خرجت عن الموضوع الأساسى لهذا الخطاب فستجد صعوبة فى فهم ما أقوله، ولذلك سأعود إلى الموضوع. أنا أشعر بالهدوء وأنا أكتب خطابًا طويلا مثل هذا، إذا قارنت بينى وبين شخص تم وضعه فى ظروفى، ولقد توقفت أصوات القطارات بعد أن جاء الليل ونام الناس، وأسمع الأصوات الحزينة للحشرات تأتى من بعيد خارج المنزل، وتلك الأصوات تذكرنى بالخريف الممطر،

وفى الحجرة المجاورة تنام زوجتى التى لا تعرف شيئًا عما أعانيه، وأسمع صرير القلم وهو يميل يمينًا ويسارًا، فيحدث ميلاً فى الخط، وهذا الميل ليس بسبب اضطراب فى عقلى، ولكن لأننى غير معتاد على الكتابة.

- ٤ -

وعلى كل حال طلبت أمى من عمى أن يرعانى ولم يكن أمامى إلا أن أعتمد عليه كما قالت أمى؛ حيث إن والدىّ تركانى وحيدًا، وأصبح عمى المسؤول عن كل شىء له علاقة بى وتولى رعايتى من كل الجوانب، وجعلنى أعيش فى طوكيو؛ حيث كانت رغبتى.

حضرت إلى طوكيو ودخلت المدرسة الثانوية، وكان طلاب الثانوية فى تلك الأيام أكثر وحشية وفظاظة من الآن، وعلى سبيل المثال فإن أحد معارفى من هؤلاء الطلاب، فى ليلة من الليالى، تشاجر مع عامل وضربه بالقبقاب على رأسه فأسال دمه، والأسوأ من ذلك أنه كان قد شرب الخمر، وعندما حمى الشجار مع العامل، أخذ منه العامل قبعته المدرسية دون أن ينتبه، وكان اسمه مكتوبًا على قطعة قماش بيضاء ملصقة فى القبعة من الداخل، مما جعل الأمر يزداد تعقيدًا، فعرفت الشرطة هويته من اسمه المدون على القبعة واستدعته من المدرسة فتدخل أصدقاؤه وفعلوا المستحيل حتى أمكن حل هذه المشكلة ولم يعلم الناس بها، ولأنك عشت فى جو هادئ لم تكن فيه تلك الفظاظة والوحشية فستتعجب مما كان يحدث فى المدارس وقتها وتشعر أن تلك التصرفات كانت

حمقاء، وأنا أيضًا أراها هكذا، ومع ذلك فإن طلاب تلك الأيام كان عندهم ما ليس عند طلاب هذه الأيام؛ فكانوا يتصرفون بعفوية.

كان مصروفى الشهرى الذى أحصل عليه من عمى وقتذاك أقل بكثير مما تحصل عليه أنت الآن، وبالطبع قيمة النقود اختلفت، ولكنى كنت لا أشعر بالحاجة إلى مال أكثر وقتذاك، فكان المصروف يكفينى ولم أشعر بالحاجة إلى المزيد من المال، ولم أكن فى وضع مادى سيئ يجعلنى أحسد زملائى، فكنت أحصل على مصروف شهرى ثابت، وبجانب ذلك كنت أحصل على نقود لشراء الكتب، كما أننى كنت كثيرًا ما أحصل على مبالغ إضافية من عمى، وكنت أنفق كيفما أشاء.

ولأننى كنت صغيرًا ليست لى خبرة فى شىء، فلم أثق فى عمى فقط ولكن كنت أشعر فى قلبى تجاهه بامتنان، وكنت أشعر أن الرب أنعم علىّ به ولذلك كنت أحترمه جدًا، وكان عمى رجل أعمال، وأصبح عضو مجلس محلى المحافظة، وأتذكر أنه كانت له علاقة قوية بالحزب الحاكم، وهو الشقيق الأصغر لأبى ولكن بالنسبة للسياسة فقد اختلفت شخصيتاهما وتوجهاتهما اختلافًا كبيرًا، فأبى كان كل همه أن يحافظ على الميراث الذى ورثه عن أجداده، وكانت متعته فى ممارسة فن تنسيق الزهور وإقامة حفلات الشاى، وكان يحب قراءة الشعر، ويهوى الرسم واقتناء "الأنتيكات" (التحف)، وكان منزلنا فى الريف ولكنه كان قريبًا من المدينة، فكان يبعد عن المدينة نحو ثمانية كيلومترات فقط، وكان عمى يعيش فى تلك المدينة، وكان يأتى من المدينة خصيصًا لأبى تاجر ويحضر

معه أشياء للزينة ولوحات ومباخر، وباختصار نستطيع القول إن أبى كان ثريًا، إنسانًا ريفيًا أنيقًا يحب الاستمتاع بالأشياء رفيعة المستوى، ولذلك من خلال طبيعة أبى وعمى أقول إن أبى كان يختلف عنه؛ فعمى كان له طموح وأحلام كبيرة يريد أن يحققها فى الواقع، ومع ذلك فكانت علاقتهما جيدة، وكان أبى يقدر عمى ويمدحه ويقول عنه:

- "إنه إنسان يعمل ويجتهد أكثر منى ويمكن الاعتماد عليه، وأنا ورثت ثروة من أبى، فمن الطبيعى أن تصدأ مواهبى وقدراتى، بمعنى ألا أشعر بالأهمية للكفاح فى الحياة".

وسمعت أمى ذلك من أبى، وسمعته أنا أيضًا منه، فقد قاله لى لكى يفيدنى فى حياتى، ثم قال وهو ينظر فى وجهى:

- "تذكر هذا الكلام، واستفد منه فى حياتك".

ولذلك لم أنسَ هذا الكلام حتى الآن، وبما أن عمى كان يحوز ثقة أبى وتقديره وإعجابه، فكيف لى أن أشك فيه؟! ولذلك كان من الطبيعى أن أفتخر بعمى، وبعد أن مات والداى لم يكن عمى بالنسبة لى إنسانًا أفتخر به فقط، بل أصبح إنسانًا مهمًا فى حياتى.

- ٥ -

فى أول إجازة صيفية عدت فيها إلى منزل عائلتى وجدت عائلة عمى تسكن فيه، ووجدت عمى هو السيد الجديد للمنزل، وكان ذلك باتفاق مسبق بينى وبينه قبل أن أذهب إلى طوكيو، ولم يكن هناك مفر من ذلك بما أن والدىّ ماتا وتركانى وحيدًا.

كانت لعمى تعاملات مع شركات كثيرة فى المدينة. قال مبتسمًا:

- "من الأفضل لى أن أقيم فى منزلى فى المدينة، فهذا المنزل يبعد عن المدينة نحو ثمانية كيلومترات".

قال عمى ذلك بعد موت والدىّ عندما كنا نتناقش عن ذهابى إلى طوكيو والعيش فيها، ومنزلى منزل له تاريخ، فهو منزل معروف فى المنطقة، وكما هو عندك فى الريف الذى تعيش فيه فإنه من العار أن يقوم وريث منزل عريق له تاريخ ببيعه أو هدمه، وأرى الآن ذلك ليس عارًا، ولكنى وقتها كنت صغيرًا وكان ذهابى للعيش فى طوكيو وترك منزلى هكذا دون أحد يرعاه يشعرنى بالألم.

ووافق عمى على الانتقال ليعيش فى منزلى رغم أنه لم يكن يريد ذلك، بشرط أن يحتفظ بمنزله الذى فى المدينة ليراوح الإقامة فى المنزلين حسب ظروفه، ولم يكن عندى اعتراض على ذلك؛ فقد كنت على استعداد للموافقة على أى شروط تجعلنى أذهب إلى طوكيو وأعيش فيها.

كنت طفلا بريئًا ابتعد عن مسقط رأسه ولكنه كان يحن إليه، وكما أن المسافر يفكر فى العودة إلى دياره، كنت أفكر فى أننى لى منزل يجب العودة إليه، وعندما تأتى الإجازة أشعر بأننى يجب أن أعود، مهما كان حبى لطوكيو، وكنت أدرس بجد وألهو فى سعادة ولكنى كنت أحلم بالعودة إلى منزلى فى الإجازة.

ولا أعرف كيف كان عمى يقسم وقته للإقامة فى كلا المنزلين، ولكن عندما رجعت إلى منزلى وجدت عمى وأبناءه كلهم

مجتمعين فى المنزل، واعتقدت أن أبناءه فى الأيام العادية كانوا يذهبون إلى المدرسة فى المدينة وأتوا إلى الريف فى الصيف بهدف تغيير الجو والتنزه.

عندما رآنى الجميع فرحوا، وشعرت بالسعادة أكثر من وقت وجود والدىَ؛ حيث إن المنزل قد أصبح مليئًا بالمرح أكثر من ذى قبل، وقد أخرج عمى ابنه الأكبر من حجرتى التى كان يقيم فيها من أجلى، وقلت لعمى ليس مهمًا أن يخرج ابنه من حجرتى وسأقيم فى حجرة صغيرة أخرى، فعدد الحجرات الكبيرة قليل، ولكنه قال لى:

- "هذا منزلك".

ثم رفض أن أقيم فى حجرة أخرى.

قضيت ذلك الصيف مع عمى وعائلته ولم يكن هناك شىء يجعلنى أشعر بالحزن، إلا أننى أحيانًا كنت أتذكر أبى وأمى، وبعد انتهاء الإجازة عدت إلى طوكيو، ولكن كان هناك حادث واحد ترك فى نفسى انطباعًا سيئًا، وكان ذلك الحادث هو أن عمى وزوجته طلبا منى معًا أن أتزوج رغم أننى كنت قد التحقت بالمدرسة الثانوية للتو، ولقد كررا طلبهما هذا عدة مرات، وفى أول مرة طلبا ذلك كان مفاجأة لى، وفى المرة الثانية رفضت بوضوح، وفى المرة الثالثة سألتهما عن الأسباب المقنعة التى تجعلهما يطلبان منى ذلك، وكانت الأسباب عندهما بسيطة، أن أتزوج لكى أرجع إلى منزلى وأعتنى بميراثى من أبى، وتفهمت وجهة نظرهما، لأنى أعرف منطق أهل الريف وأفهم كيف يفكرون، ولم أكن أكره ذلك ولكنى ذهبت إلى طوكيو من أجل الدراسة، ولذلك كنت أرغب فى ذلك ولكن ليس الآن، ولذلك لم أوافق ورحلت إلى طوكيو.

نسيت موضوع الزواج، وخصوصًا أننى لم أجد من بين من يحيطون بى من الشباب أحدًا متزوجًا، فجميعهم أحرار، ويبدو عليهم أنهم عزاب، وربما يوجد بين هؤلاء الشباب من هو متزوج ، أو من اضطر إلى الزواج وتكوين عائلة، ولكنه لا يفصح عن ذلك، ولكن بما أننى صغير فلم أستطع التنبه إلى ذلك، بجانب أننى وُضعت فى موقف الزواج، وهو موقف غير عادى، ولذلك كان يجب علىّ أن أراعى شعور الطلاب الآخرين المحيطين بى فأتجنب الحديث عن موضوع شخصى مثل هذا، ثم فكرت بعد ذلك، فرأيت أننى كنت مجرد طفل لا يفهم ما الزواج، وفى الوقت نفسه يشعر بالسعادة أنه طالب يسير فى طريق العلم.

فى نهاية العام الدراسى أعددت حقيبتى ورجعت إلى قريتى التى بها قبر والدىّ، ومثل العام السابق قابلت عمى وزوجته وأبناءه الذين يعيشون فى منزلى، وكانوا كالعام السابق، لم يتغير فيهم شىء، ومرة أخرى استطعت هناك أن أشم رائحة بلدتى، وكنت مشتاقًا إلى تلك الرائحة، أحن إليها دائمًا، فقد كسرت تلك الرائحة ملل عام دراسى كامل وجعلتنى أشعر بارتياح.

وبينما كنت أتنفس الرائحة الجميلة لبلدتى، تلك الرائحة التى ترعرعت عليها، إذا بعمى يحدثنى فى موضوع الزواج بإلحاح، فكرر ما قاله فى العام السابق، وكانت أسبابه فى طلب ذلك كما هى، ولكن فى العام السابق كان يطلب منى الزواج دون تحديد الفتاة التى سأتزوجها ولكن هذا العام حددها، مما جعلنى أشعر

بالضيق أكثر، فقد طلب منى الزواج بابنته، وقال لى إن هذه الزيجة مفيدة لهم ولى، وإنه قبل موت أبى قد تحدثا فى ذلك واتفقا عليه، قلت لنفسى من الممكن أن يكون أبى قد تحدث إلى عمى ليزوجنى ابنته، ولم أكن أعرف، وعرفته أول مرة عندما حدثنى عمى عنه، لذلك اندهشت، ولكن تفهمت جيدًا ما قاله عمى ونويت أن أنفذ رغبته، ربما كنت أفكر بطريقة سطحية، ولكنى أعتقد أن السبب الرئيسى لعدم زواجى بابنة عمى هو أننى لم أكن منجذبًا إليها، فعندما كنت طفلا كنت أذهب كثيرًا إلى منزل عمى بالمدينة، وكنت أقيم عنده كثيرًا، وبالتالى أصبحت أنا وابنته صديقين منذ كنا طفلين، وكما تعلم فإن الحب لا يحدث بين أخ وأخته، وهذه حقيقة معروفة للجميع، ولكن ربما طبقت ذلك علىّ وعلى ابنة عمى، فقد كنت أنا وهى نتقابل كثيرًا وأصبحنا صديقين حميمين مما جعلنى أفقد الشعور المهم الذى يؤدى إلى الحب، فكما أنك تستنشق رائحة البخور فقط فى اللحظة التى تضع فيها البخور على النار ولا تشمها بعد ذلك، وكما تتذوق حلاوة الخمر عندما ترشف أول شربة منها وبعد ذلك تزول حلاوتها، فإن الحب كذلك، فمع مرور الوقت تصبح العلاقة شيئًا عاديًا، وكلما تعودت على وجود الطرف الآخر زادت الصداقة معه وزالت مشاعر الحب، وقد حاولت جاهدًا أن أُقنع نفسى بفكرة أن تكون ابنة عمى زوجة لى ولكنى فشلت.

قال لى عمى:

- "ما دمت لا ترغب فى الزواج الآن فسوف أقوم بتأجيل الزواج إلى أن تتخرج، ولكن كما يقول المثل (خير البر عاجله)،

فإذا كان ممكنًا فلنُعلن الخطبة الآن".

ولكنى بالنسبة لى فأنا لم أكن أرغب سواء فى زواجها أو خطبتها ولذلك رفضت، فامتعض وجه عمى وبكت ابنته، ليس لأنى سأبتعد عنها ولكن لشعورها بإهانة لأنى أرفض زواجها، كنت أعلم جيدًا أننى لا أحبها ولا هى تحبنى، وقررت ترك المنزل والعودة إلى طوكيو.

- ٧ -

فى المرة الثالثة التى رجعت فيها إلى منزلى كانت فى بداية صيف العام التالى، فانتظرت بصبر نافد أن تنتهى امتحانات نهاية العام للهروب من طوكيو، فقد كنت مشتاقًا بشدة إلى بلدتى، فهواء مسقط الرأس له رائحة مختلفة، لا يوجد لها مثيل فى مكان آخر، ورائحة الأرض أيضًا مميزة عن أى مكان آخر، وذكرى والدىّ العطرة تفوح من هناك. إن يوليو وأغسطس شهران من بين شهور العام التى أستقر فيها ببلدتى كما يستقر الثعبان فى جحره، وتلك الفترة هى أكثر أوقاتى شعورًا بالدفء.

ولأننى إنسان بسيط فكنت أعتقد أن أمر زواجى بابنة عمى ليس مهمًا لكى أُرهق عقلى فى التفكير فيها، فكنت أعتقد أن رفض الشىء الذى أكرهه أمر عادى، وإذا رفضته فبذلك ينتهى الموضوع، وبالتالى كنت أعتقد أن أمر زواجى بابنة عمى قد انتهى، ورغم أننى لم أُذعن لرغبة عمى فإننى كنت أتصرف بطريقة عادية، ولم أقلق طوال العام بسبب تلك المشكلة، وكالعادة عدت بسعادة إلى بلدتى.

فوجئت بأن تصرفات عمى تجاهى تغيرت، لم يبتسم لى ولا أخذنى فى أحضانه كما كان يفعل من قبل، ولكن لأننى تربيت على ألا أُفكر فى صغائر الأمور، فلم ألحظ ذلك التغير لمدة خمسة أيام، ولكن بعد ذلك فكرت فى بعض المواقف فرأيت أن هناك تغيرًا تجاهى، ولم يكن التغير من ناحية عمى فقط بل وزوجته أيضًا، وكذلك ابنته وابنه الذى بعث لى خطابًا يخبرنى بأنه تخرج فى المدرسة الثانوية وينوى دخول كلية التجارة فى طوكيو ويسألنى أن أنصحه بشأن ذلك، هو أيضًا تغير تجاهى.

ولأن طبيعتى تميل إلى التفكير باستمرار، فقد سألت نفسى لماذا تغيرت هكذا؟ ولكنى سألت نفسى بعد ذلك لماذا تغيروا هكذا؟! فشعرت أن أبى وأمى اللذين ماتا فجأة قد أزالا الغشاوة عن عينىّ، فأصبحت أرى الدنيا على حقيقتها، وكنت أشعر داخل أعماق قلبى أن والدىّ يحبانى بعد أن رحلا عن هذه الدنيا كما كانا يحبانى وهما حيان فيها، وحتى فى ذلك الموقف لم أكن شخصًا كئيبًا وغير عقلانى على الإطلاق، ولكن كانت تراودنى بقوة مجموعة أفكار ورثتها عن أجدادى.

ذهبت وحيدًا إلى الجبل وركعت أمام قبر أبى وأمى حزنًا عليهما وعرفانًا بفضلهما، وكنت أشعر أن والدىّ اللذين يرقدان تحت هذا الحجر البارد، بأيديهما جعل مستقبلى سعيدًا، فدعوت أن يحفظانى من الشرور، وربما تضحك من ذلك ولن ألومك، ولكن هذا حدث.

تغيرت الدنيا تمامًا بالنسبة لى، وفترة سن السابعة عشرة هى

الفترة التى يبدأ فيها الشباب يفكر فى الحب، وكشاب مثل بقية الشباب الذين يفكرون فى الحب، رأيت فتاة وكانت أجمل من وقعت عليه عيناى فى الدنيا، ولم أكن قد فكرت فى الفتيات من قبل ولا تأملت إحداهن، ومنذ ذلك الحين انقلبت حياتى رأسًا على عقب.

وكما انتبهت فجأة إلى ذلك الجمال، انتبهت إلى تصرفات عمى، ولم تكن هناك مقدمات ولا استعداد ولا توقع لحدوث ما حدث، وما حدث أن عمى وعائلته تغيروا فجأة وتمامًا عما كانوا عليه، مما جعلنى أدهش، فقلت لنفسى إذا تركت الأمور تسير هكذا ولم أفعل شيئًا حيال ذلك، فلن أعرف كيف تتطور الأمور وكيف سيكون مستقبلى.

- ٨ -

شعرت أنه من الواجب علىّ أن أستعلم من عمى بالتفصيل عن الثروة التى تركها أبى، وإذا لم أفعل فسأكون قد أخطأت فى حق والدىّ، ولكنه كان دائمًا يزعم أنه مشغول، فلم يكن مقيمًا بشكل دائم فى منزلى، بل كان يتنقل بين المنزلين، ودائمًا يقول: "أنا مشغول"، واعتقدت فى بعض الأحيان أنه فعلاً مشغول، وفى بعض الأحيان كنت أقول لنفسى فى سخرية إن انشغاله الدائم ما هو إلا موضة هذه الأيام، وعندما أردت أن أتحدث معه حديثًا مطولاً عما فعله فى إدارة إرثى من أبى، لاحظت أنه يتهرب من مواجهتى، مما جعل من الصعب علىّ أن أقتنص فرصة لفتح موضوع الإرث معه.

وكنت قد سمعت شائعة تقول إن له عشيقة تعيش فى المدينة، وسمعت هذا من صديق قديم كان زميلا لى فى المدرسة الثانوية، وليس من الغريب أن تكون له عشيقة؛ فحياته غامضة، ولكن الغريب أننى لم أسمع شيئًا مثل ذلك عنه فى حياة أبى، وسمعت شائعات أخرى كثيرة من صديقى عنه، منها أن شركته خسرت وأنها على وشك الإفلاس ولكن خلال الثلاثة أعوام الأخيرة حققت الشركة أرباحًا كبيرة بشكل مفاجئ، وذلك جعل شكوكى فيه تزيد.

وأخيرًا عقدت اجتماعًا معه لوضع النقاط فوق الحروف بالنسبة لميراثى، وإن كانت كلمة "اجتماع" غير مناسبة للتعبير عن لقائى به، ولكن ليس عندى تعبير آخر أُطلقه على الجلسة التى دارت بيننا، والتى ظهرت فيها النيات بصدق، فقد كان يتعامل معى على أنى ما زلت طفلا، وذلك أكد الشكوك التى انتابتنى من البداية، وكان من الطبيعى ألا يصل الاجتماع لحل مشكلة الميراث بطريقة ودية.

ورغم أننى شعرت بالحزن مما قاله فى ذلك الاجتماع، فليس عندى وقت لكى أكتب كل ما حدث فى هذا الاجتماع، وهناك موضوع أهم من ذلك أريد أن أتحدث عنه، وقلمى يجرى بسرعة يريد أن يكتب عن ذلك الموضوع وأحاول جاهدًا أن أكبح جماحه، وكنت أريد أن أُقابلك وأتحدث إليك ولكنى لن أستطيع مقابلتك أبدًا، وبما أننى غير معتاد على الكتابة، وكذلك وقتى ضيق، فأنا مضطر إلى أن أختصر ما أريد كتابته.

أكيد أنك تتذكر أننى قلت لك إنه ليس هناك إنسان شرير منذ ولادته، وإن الإنسان يصبح شريرًا عندما تكون هناك ظروف تجعله

يصبح كذلك، لذا يجب ألا نترك الحبل على الغارب للآخرين، وحينئذ نبهتنى إلى أننى ثائر، وسألتنى متى يتحول الإنسان الخيِّر إلى شرير، فأجبتك باختصار "فى حال وجود المال"، فامتعض وجهك، وما زلت أتذكر وجهك الممتعض حتى الآن، وأقول لك بصراحة الآن إننى عندما قلت ذلك الكلام كنت أتحدث عن عمى، فهو مثال للإنسان الذى رأى مالا فتحول فجأة إلى شرير، وهو مثال على استحالة وجود إنسان تثق فيه فى هذه الدنيا، إنه الشىء الكريه الذى كنت أفكر فيه، حينما قلت لك ذلك الكلام، ولم تكن إجابتى حينذاك عن سؤالك كافية، بل كانت إجابة تقليدية غير مقنعة، وذلك لأنك تريد الغوص فى بواطن الأمور، ولكن بالنسبة لى كان عمى إجابة حية عن السؤال، فى الواقع لقد كنت ثائرًا فى ذلك الوقت، ولكن كنت أرى أن أعطيك مثالا حيًّا على ذلك بكلام فيه إحساس أفضل من إعطائك مثالا عقلانيًّا ليس له علاقة بالواقع، وبما أن الدم يحرك الجسد، فإن الكلام لا يُنقل فى موجات عبر الهواء فقط، بل يستطيع فعل ما هو أقوى بكثير.

- ٩ -

باختصار عمى سرق ميراثى، فعل ذلك بسهولة فى الثلاث سنوات التى كنت فيها فى طوكيو، فقد تركت له كل شىء يديره كيفما يشاء، وبذلك أكون - كما يقول الناس - مغفلا كبيرًا، ولكن من منظور أخلاقى فإن البعض يرى ثقتى فيه وأن أترك له كل شىء يدل على أننى إنسان محترم يتصرف ببراءة وعفوية، وعندما أفكر فيما فعلته حينذاك،

أقول لنفسى لماذا لم أولد شريرًا، وكنت أشعر بمرارة شديدة لأننى إنسان طيب أكثر من اللازم، ولكن فى بعض الأحيان أقول لنفسى ليتنى ظللت ببراءتى وعفويتى التى ولدت بهما، وأرجو أن تتذكر أنك قابلتنى بعد أن أصبحت إنسانًا قذرًا.

لو كنت قد تزوجت ابنة عمى كما كان يريد، لكنت استفدت ماديًا من ذلك الزواج، وهذا شىء ليس فيه أدنى شك، ولكن عمى كان يريد أن يخدعنى بزواجى ابنته، ولم يكن عمى يهدف من هذه الزيجة منفعة الطرفين، بل كان يهدف مكسبًا ماديًا حقيرًا له، ولم أكن أحب ابنته، وفى الوقت نفسه لم أكن أكرهها، وعندما فكرت بعد ذلك فى هذه الزيجة وجدت أننى كنت على صواب أن أرفضها، وسواء كنت تزوجتها أم لا، فالنتيجة واحدة؛ وهى أنه سرقنى، ولكن من وجهة نظرى أن عدم زواجى بابنة عمى يعنى أننى لم أنفذ ما أراده هو، ونفذت ما أردته أنا، وعمومًا هذه تفصيلات صغيرة وغير مهمة، ومن الحمق أن أخبرك بها؛ فليست لك علاقة بها.

تدخل بعض أقاربى لرأب الصدع بينى وبين عمى، ولكنهم لم يثقوا فى كلامى قط، وليس ذلك فقط، بل وقفوا ضدى، وبما أن عمى الذى كان يمدحه أبى قد خدعنى وسرقنى، فإنه من الطبيعى أن يخدعنى ويسرقنى الآخرون.

قام أقاربى بتحديد كل ما لى من ميراث، وقدروه بأقل مما توقعت بكثير جدًا، ولم يكن أمامى إلا أحد خيارين، أن أقبل ما حكموا به كميراث لى، أو أقف أمام عمى فى المحاكم فأقاضيه، فغضبت وشعرت بالحيرة، وخفت إذا قاضيته أن يستغرق ذلك وقتًا

طويلا إلى أن يصدر حكم، وقلت لنفسى أنا طالب وسيضيع وقتى فى متابعة القضية، وذلك سيؤثر على دراستى، فحصلت على ما حكموا به لى كميراث، وفكرت ماذا سأفعل به، وهدانى تفكيرى إلى أن أطلب من صديق دراسة قديم لى يعيش فى المدينة، أن يساعدنى فى بيع كل ما حصلت عليه من منقولات، ونصحنى صديقى ألا أفعل، ولكنى لم أستمع إلى نصحه، وقررت الرحيل نهائيًا عن بلدتى، وأقسمت ألا أرى وجه عمى مرة أخرى.

وقبل أن أرحل عن بلدتى، ذهبت لزيارة قبر أبى وأمى، وكانت هذه آخر مرة زرت فيها قبرهما، ولم تكن هناك فرصة أخرى لرؤيته طوال حياتى.

قام صديقى ببيع ممتلكاتى كما طلبت منه، وكان ذلك بعد أن رجعت إلى طوكيو بمدة كبيرة، فليس من السهل بيع أرض فى الريف، كما أنه يجب الحذر من أن يأخذها شخص لا يدفع ثمنها، ولكن ما حصلت عليه مقابل بيعها كان ثمنًا ضئيلا؛ مقارنة بثمنها وقتذاك، وبصراحة فإن ما حصلت عليه عندما تركت منزلى كان بضعة سندات، بجانب المال الذى أرسله لى صديقى الذى باع لى ممتلكاتى، وبالتأكيد فإن وقت مطالبتى بحصولى على إرثى، كانت الثروة أقل بكثير جدًا عن وقت موت أبى، وبما أننى لم أكن السبب فى نقصها هكذا فقد شعرت بالضيق، ولكن ما حصلت عليه بالنسبة لى كطالب كان أكثر من كافٍ، وفى الحقيقة أننى لم أنفق ما يقرب من نصف فائدة ذلك المال، وعشت حياة رغدة بالنسبة لطالب، وأوقعتنى هذه الحياة الرغدة فى مشكلات لم أتخيل حدوثها.

كان وضعى المادى جيدًا، وفكرت فى ترك مسكنى؛ حيث إنه يقع فى مكان به ضوضاء، وأن أشترى منزلا فى مكان آخر، ولكن وجدت أن شراء أثاث للمنزل سيكون شيئًا متعبًا، وإحضار سيدة كبيرة لخدمتى وأنه يجب أن تكون أمينة وتستطيع حراسة المنزل عندما أكون غير موجود وإلا سوف أشعر بالقلق لتركها بمفردها فى المنزل، أشياء صعب تحقيقها، وذات يوم فكرت أن أذهب للبحث عن منزل فنزلت ناحية منحدر "هنجوضاى" بهدف البحث عن منزل، والتنزه أيضًا، ثم سرت بمحاذاة منحدر نهر "كوشى كاوا" وصعدت إلى معبد "تنزوإن"، وقد تغيرت هذه المنطقة تمامًا منذ مد خط ترام فيها، وقبل ذلك كان فى الناحية اليسرى مصنع للجيش وكان سوره مبنيًا من الطين، وفى الناحية اليمنى، منطقة واسعة بها تل ومراعٍ وكانت مغطاة بالحشائش، فوقفت وسط الحشائش ونظرت ناحية المنحدر الموجود على الناحية الأخرى دون تفكير فى شىء، والمنظر ليس سيئًا الآن ولكن فى الماضى كان منظر الناحية الغربية جميلا جدًا، فقد كانت الأشجار الخضراء تملأ المكان إلى مرمى البصر، وذلك كان يريح الأعصاب، فقلت: ألا يوجد هناك منزل مناسب لى؟ وعلى الفور مشيت وسط الحشائش ووصلت لطريق ضيق، فسرت فيه ناحية الشمال، فوجدت منطقة بها ضوضاء ومنازلها قذرة، وحتى الآن هى كذلك، وخرجت من زقاق، وانحدرت إلى شارع جانبى، وأخذت ألف وأدور، وفى النهاية وصلت إلى متجر صغير للحلويات، سألت مديرة المتجر:

- "ألا تعلمين ما إذا كان يوجد هنا منزل صغير ونظيف للإيجار؟".

ففكرت قليلاً وقالت:

- "لا يخطر على بالى الآن منزل للإيجار".

فقررت العودة، وعندما أوشكت على الذهاب قالت:

- "هل يناسبك أن تسأجر حجرة فى منزل تعيش فيه أسرة؟".

فتغيرت وجهة نظرى ورأيت أن استئجار غرفة فى منزل تعيش فيه عائلة أفضل من شراء منزل وما يتبعه من متاعب، فجلست وعرفت منها تفصيلات ذلك المنزل.

قالت إنه منزل تعيش فيه أسرة كان عائلها رجلا عسكريًا مات فى حرب اليابان مع الصين، كما قالت زوجته، وكانوا يعيشون حتى العام الماضى فى منطقة "إتشيجايا" بالقرب من مدرسة الضباط، فى قصر كبير جدًا به إسطبل للخيول، ولكنهم باعوه وأتوا ليعيشوا هنا، وإن عددهم قليل ويشعرون بالوحدة ويريدون من يعيش معهم، وإن المنزل لا يعيش فيه إلا الأرملة وابنتها وخادمة فقط، فقلت لنفسى ليس هناك أفضل من ذلك، ولكنى شعرت بالقلق من أن أذهب إليهن فجأة دون سابق معرفة وأنا بعد طالب فيرفضن أن أعيش معهن، وفكرت فى أن أترك ذلك الأمر، ولكن قلت لنفسى أنا طالب ولكن مظهرى ليس سيئًا، كما أننى أرتدى قبعة الجامعة، وقد تضحك أنت وتقول وما علاقة ذلك بقبعة الجامعة، فأقول لك إنه فى زماننا كان الناس يحترمون الطالب الجامعى ويقدرونه ويضعونه فى مكانة مرتفعة، فتشجعت واكتسبت الثقة من قبعتى الجامعية ذات الأطراف المربعة الشكل، وذهبت إلى ذلك المنزل كما وصفته لى مديرة المتجر، دون صحبة أحد.

قابلت الأرملة وأخبرتها بهدف حضورى، وسألتنى عن بلدتى وجامعتى وتخصصى وأشياء أخرى كثيرة، ووافقت على أن أسكن عندها، وقالت لى من الممكن أن أنتقل للسكن عندها فى أى وقت أراه، وقد شعرت أنها سيدة محترمة وواضحة، فأعجبت بها وسألت نفسى: هل كل زوجات العسكريين مثلها؟

- ١١ -

انتقلت على الفور إلى ذلك المنزل، واستأجرت الحجرة التى جلست فيها مع الأرملة أول مرة، وكانت أفضل حجرة فى المنزل، كانت حجرتى الجديدة ممتازة إذا قارنتها بما استأجرته من حجرات فى السابق، وكانت أكثر من ممتازة بالنسبة لى كطالب.

كانت الحجرة كبيرة، مساحتها نحو عشرين مترًا، فيها ركن إكسسوارات لوضع الزهور ولوحات وأشياء للزينة، وبجانب ذلك الركن توجد أرفف لوضع أشياء للزينة وشرفة، وفى الجانب المقابل يوجد دولاب، ولم تكن هناك نوافذ ولكن بدلاً عن ذلك كانت أشعة الشمس تدخل إلى الشرفة المواجهة للناحية الجنوبية.

فى اليوم الذى انتقلت فيه إلى تلك الحجرة، وجدت فيها زهورًا وعُلِّقت بجانبها قيثارة، ولم يعجبنى أيًّا منها، فقد ترعرعت بجانب أبى الذى كان يهوى الشعر والخط وحفلات الشاى، فتأثرت بهواياته هذه منذ طفولتى، ولكن بسبب ذلك أصبحت فجأة أنظر باحتقار إلى تلك التحف الجذابة.

أضاع عمى معظم ما جمعه أبى فى حياته من التحف، ولم يتبق

إلا القليل منها، وعندما تركت بلدتى تركت ما تبقى منها عند صديقى، وأخذت نحو خمس قطع جميلة منها، وأخرجتها من الصناديق التى كانت فيها ووضعتها فى أسفل حقيبتى، وحضرت إلى طوكيو، وكنت أفكر فى وضع تلك القطع فى ركن الإكسسوارات، ولكن عندما رأيت الزهور والقيثارة موضوعة لم أفكر فى إزالتها لوضع القطع التى أحضرتها، وعلمت أنهن وضعن زهورًا من أجل الترحيب بى، فأسعدنى ذلك، وبالنسبة للقيثارة، فكانت موجودة قبل حضورى، وهذا يعنى أنهن وضعنها لأنهن لم يجدن مكانًا آخر لوضعها.

وأكيد أنك تخيلت أن هناك فتاة لها علاقة بالزهور الموضوعة فى الحجرة، وكنت شغوفًا بالتعرف على تلك الفتاة قبل أن أنتقل إلى الحجرة، وربما بسبب الشغف، أو بسبب أننى لم أكن معتادًا على مخالطة الناس، عندما قابلتها أول مرة، ألقيت عليها التحية وأنا مرتبك، فاحمر وجهها خجلاً.

ورسمت صورة كاملة لتلك الفتاة من خلال مظهر وتصرفات أمها، ولم تكن تلك الصورة جيدة لدرجة كبيرة، فقد صور لى خيالى أن زوجة رجل عسكرى ستكون شخصيتها هكذا وبالتالى ابنتها ستكون مثلها وأكثر، ولكن عندما قابلت الفتاة تبدلت تلك الصورة تمامًا، وشعرت بشعور جديد لم أشعر به من قبل، شعرت بانجذاب شديد إلى الجنس الآخر، وبالتالى شعرت أن الزهور التى تزين ركن الإكسسوارات جميلة، وأن القيثارة المعلقة بجانب الزهور جميلة أيضًا.

وكانت تقوم بتغيير الزهور فى الحجرة كلما أوشكت على أن تذبل، وأحيانًا تأتى إلى حجرتى فتأخذ القيثارة إلى حجرتها المواجهة لحجرتى لتعزف عليها، وكنت أضع يدىّ على المكتب وأضع فوقهما رأسى، وأستمع إلى عزفها، ولم أكن أعرف ما إذا كانت جيدة فى العزف أم لا، ولكن بما أنها لم تكن تعزف مقطوعة واحدة كاملة، فغالبًا هى غير جيدة فى العزف، فقدرتها على العزف على القيثارة، كقدرتها على تنسيق الزهور، وبالنسبة للزهور فأنا أفهم جيدًا فن تنسيق الزهور، ولذلك أعرف أنها سيئة فيه.

كانت تحضر لى زهورًا فى حجرتى وتقوم بتنسيقها دون إحساس، ودون شعور بالخجل، هى لا تجيد ذلك، والأسوأ أن طريقة تنسيقها للزهور كانت واحدة، وكذلك المزهرية كانت واحدة لا تتغير، ولكن عندما نقارن الزهور بالموسيقى، فإن الموسيقى أسوأ من الزهور، فقد كانت موسيقى متقطعة، أما صوتها المصاحب للموسيقى فقد كان من الصعب أن تسمعه، كانت تغنى لكن صوتها كان خافتًا لا تكاد تسمعه.

كنت أنظر إلى زهورها المنسقة بطريقة سيئة، وأستمع إلى صوت قيثارتها السيئ وأنا سعيد بذلك.

- ١٢ -

فى الفترة التى كنت قد تركت فيها بلدتى، كنت أشعر بالتشاؤم، واقتنعت تمامًا بأنه يجب ألا أثق فى الناس أبدًا، وبدأت أنظر إلى الجنس البشرى نظرة عدائية، وبخاصة عمى وزوجته وبقية أقاربى،

وبدأت أرتاب فى كل من حولى، حتى عندما أركب القطار أرتاب فى من يجلس بجانبى دون سبب، وإذا حدث أن تحدث معى شخص ارتبت فيه أكثر، وشعرت بالكآبة، وأحيانًا كنت أشعر بضيق شديد فى الصدر، وأصبحت من الناحية النفسية حساسًا جدًا أكثر من الطبيعى.

كانت حساسيتى هذه هى السبب الرئيسى الذى جعلنى أترك مسكنى السابق فى طوكيو، وأن أفكر فى شراء منزل، ولو كان عندى المال الكافى لذلك لفعلت، ولكن لو كنت فى حالتى الطبيعية لما فكرت فى فعل ذلك الشىء المتعب.

وحتى عندما انتقلت للعيش فى حجرتى الجديدة بمنطقة "كوشى كاوا"، لم أستطع أن أشعر بالراحة لبعض الوقت لأنى لم أستطع التخلص من هذه الحساسية المفرطة، وكنت أخجل من نفسى أن أشعر بالشك والريبة فى منهم حولى وأنهم مخادعون، ومن الغريب أننى أصبحت أرى وأفكر فقط، ولا أريد أن أتكلم، وكنت أجلس إلى مكتبى كالقطة لا أحرك ساكنًا، أشاهد فقط ما يحدث فى المنزل، وكنت أشعر بالحزن على أهل المنزل من تصرفاتى هذه، ولكن فى الوقت نفسه كنت دائمًا حذرًا منهم، كنت أشعر أننى كاللص الذى لم يسرق شيئًا، مما جعلنى أكره نفسى.

وأكيد أنك تنظر إلىّ باستغراب، فتقول لنفسك: "كيف كان يفكر فى حب ابنة الأرملة؟ ولماذا كان ينظر إلى الزهور التى كانت تضعها له فى الحجرة بسعادة، رغم أنها سيئة فى تنسيق الزهور؟ وكيف كان يستمع إليها تعزف على القيثارة بطريقة سيئة؟".

ولا أستطيع أن أجيبك عن هذا، بل أقول لك إن هذا ما حدث وليس هناك ما أقوله بشأن ذلك، وأترك لك تفسيره، ولكنى سأضيف كلمة أخرى إلى ذلك، وهى أننى كنت أشك فى كل البشر بالنسبة للمال، ولكن لم أكن قد شككت بعد فيهم بالنسبة للحب، وأكيد أن الآخرين سينظرون إلى ذلك بأنه شىء غريب، ولكن بالنسبة لى فأنا أرى ذلك تناقضًا، ولكن شكى فى البشر بالنسبة للمال وعدم شكى فيهم بالنسبة للحب كان شيئًا موجودًا فى داخلى بطريقة عادية وطبيعية.

ولقد اعتدت أن أُنادى الأرملة بـ"السيدة"، ولذلك سوف أقول عنها فى هذا الخطاب "السيدة"، وقد رأت أننى إنسان هادئ وعاقل، وكانت تمدحنى قائلة إننى طالب مجتهد، ولم تكن تقول شيئًا عن نظراتى التى يملؤها الشعور بعدم الأمان، ومظهرى الذى ينم عن أننى قلق، ولا أعرف ما إذا كانت لم تلحظ ذلك، أم لاحظت ذلك ولكنها شعرت بالحرج أن تعلِّق عليه، وعلى كل حال لم تكن تهتم بذلك، وليس هذا فقط، بل قالت لى ذات مرة ما يبين أنها تحترمنى وتقدرنى؛ حيث قالت إننى إنسان كريم، فشعرت وقتها بحرج واحمر وجهى خجلاً ونفيت ذلك، ولكنها قالت لى بلهجة جادة:

- "أنت تقول ذلك لأنك لا تعرف ما فيك من خصال حميدة".

علمت أنها عندما عرضت حجرة عندها للإيجار لم تكن تتخيل أن طالبًا سوف يأتى ليستأجرها، وأنها طلبت من الجيران أن يسعوا لها فى إيجاد موظف حكومى يستأجرها، وأعتقد أنها توقعت أن من سيستأجر

الحجرة موظف حكومى فقير، مضطر إلى ذلك، وعندما قارنت بينى وبين ما تخيلته، وجدتنى إنسانًا كريمًا، وذلك ليس له علاقة بشخصيتى، ولكن "السيدة" كأى سيدة، كانت ترى أننى كريم فى استخدام المال لأننى كريم فى مشاعرى، أى أن هذا الكرم نابع من شخصيتى.

- ١٣ -

أدت المعاملة المحترمة من قِبل السيدة لى إلى تغيرى، فهدأت نفسى، وقل شعورى بالشك فى الناس وعدم الأمان لهم وقل شعورى بالقلق، فأهل المنزل وعلى رأسهن "السيدة" لم يعرننى اهتمامًا لشكى وقلقى وشعورى بعدم الأمان، مما جعلنى أشعر بسعادة كبيرة، وبما أنه لم يكن هناك ما يثير أعصابى منهن، فقد هدأت تدريجيًا.

كانت "السيدة" إنسانة عاقلة ولذلك ربما عاملتنى باحترام وطيبة وتجاهلت عن عمد تصرفاتى التى تنم عن شك وقلق، وربما كانت تقول إننى إنسان كريم بناءً على أنها تعتقد ذلك فعلاً، ولكن غالبًا أنها كانت تعتقد ذلك فعلاً، لأن شكوكى كانت داخل عقلى، ولم تظهر فى كلام أو تصرفات، وإلا فإنها ربما كانت مخدوعة فىّ.

وشعرت براحة النفسية تدريجيًا، وتبع ذلك زيادة تعاملى مع عائلة "السيدة"، وأصبحت أمزح معها وابنتها، وفى بعض الأحيان يدعوانى لشرب الشاى معهما، وكنت أشترى حلوى وأدعوهما لتناولها فى حجرتى فى بعض الأمسيات، وشعرت فجأة بأن الجو أصبح مهيأ للقرب أكثر بينى وبين ابنة "السيدة"، ومما يدعو للدهشة

عدم وجود أى عقبات تحول دون هذا القرب، فـ"السيدة" عندها وقت فراغ كبير، وكنت أعتقد أن ابنتها مشغولة بالدراسة وتعلم فن تنسيق الزهور وتعلم العزف، ولكن على عكس ذلك كان عندها وقت فراغ كبير جدًا، ولذلك كنا نتجمع نحن الثلاثة كثيرًا ونقضى الوقت فى الثرثرة والتسلية.

فى الغالب كانت الفتاة هى التى تأتى لتدعونى، فكانت تدخل الشرفة أو تأتى أمام حجرتى أو تمر من خلال حجرة المعيشة، فتأتى إلى الحجرة المجاورة ويظهر طيفها على الحاجز الورقى الذى بين حجرتى وتلك الحجرة، وتقف ثم تنادى علىّ وتقول: "هل أنت مشغول بالمذاكرة؟"، وغالبًا كنت أضع أمامى على المكتب كتابًا أنظر إليه، وعندما يرانى أحد أفعل ذلك يعتقد أننى مجتهد فى الدراسة، ولكن فى الحقيقة لم أكن مجتهدا كما كانت "السيدة" وابنتها يعتقدان، وكنت أنتظر الوقت الذى تأتى فيه الفتاة لتنادى علىّ، وإذا انتظرتها ولم تأتِ كنت أذهب أنا وأقف أمام حجرتها وأقول لها: "هل أنت مشغولة بالمذاكرة؟".

كانت حجرة الفتاة بجانب حجرة المعيشة وكانت مساحتها نحو سبعة عشر مترًا، وكانت "السيدة" موجودة فى تلك الحجرة أحيانًا وفى حجرة المعيشة أحيانًا أخرى، أى أن "السيدة"وابنتها كانتا يستخدمان الحجرتين باستمرار وينتقلان من واحدة إلى أخرى، وكأنهما حجرة واحدة، رغم أنهما منفصلتان وبينهما حاجز، وعندما كنت أُنادى عليهما من الخارج كانت "السيدة" هى التى ترد علىّ، ولم تكن الفتاة ترد حتى إذا كانت بالداخل.

وفى بعض الأحيان تأتى الفتاة لأمر ما ثم تجلس وتتحدث معى، فكنت أشعر باضطراب، ولم يكن سبب اضطرابى أننى فقط كنت أجلس مع فتاة شابة، وإحساسى بأننى غير مرتاح وأنا معها، يرجع إلى أننى كنت أشعر أننى أتصرف بطريقة غير طبيعية، حيث إننى كنت أشعر بأننى أخون نفسى بنفسى، ولكنها كانت تتصرف بطريقة عادية، ولم تكن تشعر بأى خجل وهى تتحدث معى بمفردها فى حجرتى، رغم أنها عندما كانت تتدرب على الغناء والعزف على القيثارة كانت تغنى بصوت خافت لدرجة أنك لا تستطيع أن تميز أهو صوت فتاة أم فتى، وفى بعض الأحيان عندما يطول حديثها معى، كانت أمها تنادى عليها من حجرة المعيشة، وكانت تجيب أمها بـ"نعم"، ثم تستمر فى حديثها وكأن شيئًا لم يكن، وكان واضحًا لى تمام الوضوح أنها لم تكن طفلة، وأيضًا أنها تسعى من خلال تصرفاتها إلى أن تقنعنى بذلك.

- ١٤ -

كنت أتنفس الصعداء عندما تغادر الحجرة، ولكنى فى الوقت نفسه كنت أشعر بالحزن وأن هناك شيئًا أصبح ناقصًا بعدم وجودها بجوارى، ربما كنت أتصرف مثل النساء، وأكيد أن شباب اليوم، وأنت على سبيل المثال، ترى أننى كنت حقًا أتصرف مثل النساء، ولكنا كنا نحن شباب ذلك الجيل نتصرف هكذا.

ونادرًا ما كانت تخرج السيدة من المنزل، وعندما كانت تضطر إلى الخروج من المنزل لم تكن تتركنى أنا وابنتها معًا بمفردنا، ولا

أعرف ما إذا كان ذلك بالصدفة أم عن عمد، وليس من الأدب أن أقول إننى لاحظت أن السيدة كانت تحض ابنتها على القرب منى، ولكن فى الوقت نفسه كانت فى بعض المواقف تحذرنى من الاقتراب منها، وأول مرة حذرتنى من الاقتراب منها شعرت بالضيق.

كنت أريد أن أعرف أهى تحض ابنتها على الاقتراب منى أم لا، وكنت أرى أن تصرفاتها متضاربة بوضوح، وبما أننى قد تم خداعى من قِبل عمى حديثًا، فقد جعلنى هذا أشك وأرتاب فى تصرفات السيدة، وافترضت أن أحد تصرفاتها صادق والآخر غير صادق وخادع، واحترت فى الحكم على أيهما صادق وأيهما كاذب، وليس ذلك فقط، بل قلت لنفسى لماذا تفعل ذلك؟ ولم أقتنع بتصرفاتها هذه، وحاولت أن أعرف سبب تصرفاتها، ولكنى لم أصل إلى شىء، فقلت لنفسى إن السبب فى تصرفاتها غير المنطقية هذه هو أنها امرأة والنساء غبيات ولذلك يتصرفن مثل هذه التصرفات.

وإن كنت أنظر باحتقار إلى النساء فإننى لم أنظر هكذا إلى الفتاة، وكان عقلى لا يعمل عندما تكون معى، فلقد أحببت تلك الفتاة إلى درجة العبادة، وربما تعتقد أنه شىء غريب أن أستخدم كلمة عبادة، وهى كلمة لها علاقة بالدين، لكى أُعبر عن حبى لفتاة، ولكنى كنت وما زلت حتى الآن أعتقد أن الحب الحقيقى مثل العبادة، وكنت كلما رأيت وجه تلك الفتاة، شعرت أننى إنسان جميل، وكلما فكرت فيها كنت أشعر بمشاعر السمو والنبل، وإذا كان هذا الإحساس العجيب الذى نطلق عليه الحب له جناحان،

جناح عالٍ وهو الإحساس بالقدسية، وجناح منخفض وهو الرغبة الجنسية، فإن حبى ينتمى إلى قمة الجناح الأعلى، وعلى الرغم من أنى إنسان وبالتالى لا أستطيع فصل جسدى ورغباته عنى، فإننى كلما رأيت تلك الفتاة بعينى وفكرت فيها بعقلى وقلبى، لم تنحدر نفسى إلى التفكير فيها من منظور الرغبات الجسدية.

ازداد كرهى للسيدة وفى الوقت نفسه ازداد حبى لابنتها، مما جعل العلاقة بيننا نحن الثلاثة معقدة عما كانت عليه فى البداية، والأسوأ من ذلك أن مشاعرنا كانت داخلية ولم تظهر قط، واكتشفت من خلال موقف ما أننى كنت أسىء فهم السيدة، مما جعلنى أغير رأيى وأرى أن تشجيع السيدة ابنتها على القرب منى، وتحذيرها لى بأن أبتعد عنها فى بعض الأحيان، تصرفان ليسا متضاربين وليس أحدهما تصرف من الباطن والآخر من الظاهر، بل كل منهما من الباطن، كل منهما تفعله من قلبها عن قصد، وهذان التصرفان لا يوجدان فى قلبها بالتناوب، بل يوجدان معًا فى الوقت نفسه، بمعنى أن تشجيعها لابنتها بقوة على التقرب منى وفى الوقت نفسه تحذيرها لى من الاقتراب منها، تصرفان يبدو عليهما أنهما متضاربان، ولكن ذلك يعنى أن التقارب له حدود يجب عدم تخطيها وإلا تحول إلى علاقة غير أخلاقية، فقلت لنفسى إن السيدة تقلق من أن يكون هناك تقارب جسدى بيننا، ولكن هذا القلق ليس فى محله لأننى من الأصل لا أفكر فى ذلك، ولكن كرهى وشكى وريبتى فى السيدة اختفت بعد ذلك.

عندما فكرت فى مجمل تصرفات السيدة تأكدت أنها تثق بى ثقة كبيرة، واكتشفت دلائل على أن هذه الثقة كانت موجودة منذ اللقاء الأول بينى وبينها، وبما أننى كنت قد بدأت أشك فى الناس، فإن هذا الاكتشاف أثار دهشتى، وقلت لنفسى مقارنة بالرجال فإن النساء عندهن حاسة قوية فقط لمعرفة بمن يثقن من أول وهلة، ولكن فى الوقت نفسه قلت لنفسى ألا تنخدع المرأة بسبب ثقتها فى الرجل من أول وهلة؟ وكما نظرت إلى السيدة إلىَ بغرابة، فعلت ابنتها، وعندما أفكر فى ذلك الآن أرى أن ذلك شىء غريب، ورغم أننى قد أقسمت فى نفسى ألا أثق فى أحد أبدًا، فإننى وثقت ثقة عمياء فى الفتاة، كما أن السيدة تثق فىَ.

لم أتحدث كثيرًا عن بلدتى إلى السيدة وابنتها، وخصوصًا عن السبب الذى جعلنى أتركها نهائيًا؛ حيث إننى كنت أشعر بالحزن كلما تذكرت ذلك، وكنت دائمًا مهتمًا بأن أستمع إلى حديث السيدة، ولكن السيدة لم تكن تريد أن تتحدث كثيرًا، بل كانت تريد أن تعرف منى الكثير عن بلدتى، ولذلك لم أجد مفرًا من الحديث بصراحة وبالتفصيل عما حدث لى مع عمى وأقاربى فى بلدتى، وعندما حدثتهما عن ذلك، وقلت لهما لم يعد لى هناك شىء إلا قبر أبى وأمى، بدا على السيدة التأثر الشديد، وبكت الفتاة، وشعرت بأننى كنت على صواب أن أحكى لهما ما حدث لى، وشعرت أيضًا بالراحة والسعادة بعد أن حكيت لهما عما فى قلبى.

وبعد أن سمعت السيدة حكايتى لم يتضح من ملامحها أن

توقعاتها عنى كانت صحيحة، وبعد ذلك بدأت تتعامل معى وكأننى أحد أقاربها، وبالتالى لم أعد أشعر بالضيق منها، بل أصبحت أشعر بالسعادة من حسن معاملتها لى، ولكن بعد فترة قصيرة، بدأ الشك يساورنى تجاهها مرة أخرى.

بدأ الشك من موضوع بسيط، ولكن مع ازدياد الموضوعات البسيطة، ازداد شكى فيها أكثر وأصبح له أساس، وشعرت أن السيدة تدفع ابنتها للتقرب منى كما كان يفعل عمى مع ابنته تجاهى، وبذلك تحول فى عينى الناس الطيبون إلى ثعالب ماكرة، مما جعلنى أشعر بحزن شديد.

قالت لى السيدة فى أول لقاء إنها تؤجر حجرة فى منزلها لشعورها بالوحدة، ولم أعتقد أن ما تقوله كذب، وبعد أن أصبحنا أصدقاء وتحدثت معى بصراحة، تأكدت أن كلامها صحيح، ولكن وضعها المادى ليس جيدًا إلى درجة كبيرة، وإذا فكرنا من ناحية الفائدة فنستطيع أن نقول إن إقامة علاقة حميمة معى سوف يعود بالفائدة على تلك العائلة.

وحدث ما جعلنى أحذر منهما أكثر، ولكنى كنت أحب الفتاة كما قلت لدرجة العبادة، وبالتالى الحذر من السيدة لم يكن ليغير من الأمر شيئًا، وسخرت من نفسى، ونعتت نفسى بأننى أحمق، وأننى إذا لم أكن قد تماديت فى شكى لما تعذبت نفسيًا هكذا، فقد اعتقدت أن الفتاة تخدعنى مثل أمها، وأنها وأمها قد اتفقتا معًا على خداعى، فشعرت بعذاب شديد لا يمكن تحمله، وأننى فى ورطة كبيرة، ولكنى فى الوقت نفسه كنت أثق فى الفتاة ثقة عمياء، فوقفت

فى منطقة وسط بين الشك واليقين، احترت ولم أستطع أن أثق أو أشك، وقد بدا لى أن كلا من الشك والثقة مجرد وهم وفى الوقت نفسه واقع.

- ١٦ -

ظللت أذهب للدراسة فى الجامعة كالعادة، وكنت أشعر أن صوت الأستاذ الذى يقف خلف المنصة يلقى المحاضرة بعيد، وأننى لا أستطيع متابعة الدروس، وأن الكلمات التى أقرأها لا تثبت فى عقلى، بل تتبخر بسرعة كالدخان، وفوق ذلك زهدت فى الكلام وملت إلى الصمت، فاعتقد بعض الأصدقاء أننى متصوف، وأخبروا بقية الأصدقاء بذلك، ولكنى لم أحاول أن أوضح لهم أن ذلك غير صحيح، بل على العكس شعرت أن تصورهم هذا قناع ألبسونى إياه، فرأيت أن ذلك فرصة لكى أخفى ما فى داخلى وراءه مما جعلنى أشعر بالراحة، ولكنى فى بعض الأوقات لم أكن أشعر بالرضا عن الصمت، فكنت أندفع فى اللهو بطريقة صاخبة مما كان يثير تعجبهم.

كان قليل من الناس يأتون إلى المنزل؛ فأقارب السيدة كانوا محدودين، وأحيانًا كان يأتى صديقات الفتاة فى المدرسة، ولكن دائمًا كن يتحدثن بصوت منخفض جدًا، مراعاة لوجودى ولكنى لم أكن متنبهًا إلى ذلك، ولم يكن يأتى أحد فظ التصرفات لزيارتى، ورغم أننى مستأجر حجرة فى ذلك المنزل فإننى مع مرور الوقت أصبحت كمالك المنزل، وعلى العكس أصبحت الفتاة وكأنها ضيفة.

وإننى أكتب لك عن هذه الأشياء لأنى تذكرتها الآن، ولكنها فى الحقيقة ليست أشياء مهمة، ولكن من ضمن تلك الأشياء شىء ليس مهمًا ولكنه كان شيئًا سيئًا؛ فقد سمعت صوتًا فجأة، رجل يأتى من حجرة المعيشة وإن لم يكن كذلك فهو من حجرة الفتاة، يتكلم بصوت خافت عن أصوات أصدقائى الذين يأتون لزيارتى، ولم أستطع سماع الحديث، وحاولت أن أسمع حديثهم ولكنى لم أستطع فشعرت بهياج عصبى، وشعرت وأنا جالس فى حجرتى بقلق، وقلت لنفسى هل هو قريب أم صديق؟ وهل هو مسن أم شاب؟ وإذا ظللت جالسًا فى حجرتى فلن أستطيع معرفة ذلك، ولكن فى الوقت نفسه لا أستطيع الذهاب إلى الحجرة التى يوجد فيها هذا الرجل وأفتح الباب وأتحقق من شخصيته، وكنت فى حالة أصعب من الهزة العصبية، كنت فى حالة اهتياج عصبى شديد، جعلتنى أشعر بالعذاب، وبعد أن انصرف الضيف، ذهبت وسألت عنه، وكان رد الفتاة وأمها مختصرًا جدًا، وكانت تعبيرات وجهى تدل على أننى أريد أن أعرف حكاية ذلك الضيف، ولكنى لم أفصح عن ذلك بالقول؛ فلم تكن عندى الشجاعة لفعل ذلك، كما أنه ليس لى حق فى ذلك، وقد تعلمت أن أحترم نفسى ولذلك لم أسأل عن التفصيلات، ولكن تعبيرات وجهى وأنا أتحدث معهما كانت تشير إلى أنى أريد معرفة ما هو أكثر، فضحكتا من تصرفى هذا، ولكن لم يكن الضحك يعنى السخرية، ولم أكن أشعر بالهدوء الذى يمكننى من أن أفكر فيما إذا كان ضحكهما يعنى السخرية أم لا، وبعد أن انتهى الموقف سألت نفسى مرات كثيرة، هل كانا يستخفان بى أم لا؟

لقد كنت حرًا؛ وعلى سبيل المثال كان من الممكن أن أترك الجامعة وأن أذهب إلى أى مكان أعيش فيه وأن أتزوج من أريدها دون أن أتشاور مع أحد، وقد فكرت أكثر من مرة فى أن أطلب من السيدة يد ابنتها، ولكنى كنت أتردد ولا تخرج الكلمة من فمى، ليس لشعورى بالخوف من الرفض، ولكن لم تكن عندى الشجاعة لتحمل أعباء الزواج والتعامل مع الحياة من منظور جديد لم يسبق أن جربته، وأن أتخلى عن أسلوب حياتى الذى عشت به إلى الآن، كما أننى كنت أرفض أن يخدعنى أحد ويجعلنى أفعل ما يريده هو لمصلحته، فقد قررت بعد أن خدعنى عمى ألا أسمح لأحد أبدًا أن يخدعنى.

- ١٧ -

عندما لاحظت السيدة أننى أشترى الكتب فقط ولا أشترى ملابس، قالت لى إنها سوف تحيك لى ملابس، وفى الواقع لم يكن عندى ملابس، إلا الملابس القطنية التى حيكت لى فى بلدتى؛ فطلاب تلك الأيام لم يكونوا يرتدون الملابس المصنوعة من الحرير، وكان لى صديق يعمل والده تاجرًا فى مدينة "يوكوهاما"، وكان يعيش فى ترف، وذات يوم وصله من والده قميص مصنوع من الحرير، وعندما رأى بقية الأصدقاء والزملاء القميص سخروا منه، وشعر ذلك الصديق بالخجل وحاول إقناعهم بأن ذلك القميص فاخر، ولكنه فشل فى ذلك، فوضعه فى حقيبته مرة أخرى ولم يرتده، حتى ألقاه وسط مجرى كبير للمجارى.

كنت فى تلك الفترة شابًا ناضجًا، ولكنى لم أفكر فى حياكة زى لى يكون صالحًا للمناسبات المهمة، فقد كانت عندى أفكار غريبة وهى أن الاهتمام بالمظهر سواء بحلاقة الذقن أو ارتداء ملابس جيدة يكون بعد التخرج، ولذلك قلت للسيدة: "الكتب مهمة ولكن الملابس ليست كذلك"، وكانت السيدة تعلم أننى أشترى كتبًا كثيرة، فسألتنى: "هل قرأت جميع ما اشتريت من كتب؟" فشعرت بصعوبة فى إيجاد إجابة عن هذا السؤال؛ حيث إن بعض تلك الكتب مراجع وقواميس ألقى عليها نظرة كلما احتجت لذلك، ولكن هناك كتب لم أفتحها قط، ثم قلت لنفسى إذا كنت أشترى أشياء ليست مهمة كالكتب التى لم أفتحها قط، فلماذا لا أشترى ملابس أيضًا، كما أننى كنت أريد شراء رداء أو حزام للفتاة، بحجة أنها وأمها لهما فضل علىّ؛ فهما يرعيانى ويهتمان بى، ولذلك طلبت من السيدة أن تشترى رداء لى وحزامًا لابنتها.

قالت السيدة نذهب نحن الثلاثة، أنا وهى وابنتها، لكن الطلاب فى تلك الأيام لم يعتادوا على السير فى الشارع مع فتاة شابة، وبما أننا كنا نتبع العادات فى تلك الفترة، فقد شعرت بالتردد فى الخروج معهما، ولكنى قررت أخيرًا أن أخرج.

تزينت الفتاة جيدًا، ورغم أنها بيضاء اللون، فقد وضعت مسحوقًا أبيض على وجهها بكثرة، فأصبح مظهرها لافتًا، وسرنا فى الشارع وكان المارة يحدقون النظر فيها، وبعد أن يحدقوا فيها يوجهون نظرهم ناحيتى فينظرون إلىّ، مما جعلنى أشعر بالحرج.

ذهبنا إلى منطقة "نيهون باشى" واشترينا ما أردنا، وفكرنا كثيرًا قبل أن نشترى مما جعلنا نستغرق وقتًا أطول مما توقعت فى الشراء؛ وكانت السيدة تقول: "ما رأيك فى هذا؟" وكانت تضع القماش على صدر ابنتها وتقول لى: "ارجع عدة خطوات للخلف وانظر وقل هل هو مناسب لها أم لا"، وكنت أقول رأيى؛ أحيانًا هذا غير مناسب أو هذا مناسب.

قبل عودتنا كان قد حان وقت تناول العشاء، فقالت السيدة إنها تدعونى إلى العشاء ردًا على شراء هدية لابنتها، ودخلت إلى طريق ضيق حيث يوجد مسرح يسمى "كيهارا ضانا"، وكان المطعم ضيقًا وكذلك الطريق، واندهشت من معرفة السيدة الجيدة بتلك المنطقة التى لا أعرف عنها شيئًا.

عدنا إلى المنزل ليلاً، وكان اليوم التالى يوم أحد، وكنت قد اعتدت أن أجلس فى أيام الإجازات الأسبوعية فى المنزل لا أخرج، وفى يوم الاثنين، ذهبت إلى الجامعة، فقابلت أحد الأصدقاء الذين يدرسون معى، وإذا به يمزح معى ويقول:

- "منذ متى وأنت متزوج؟".

ثم مدح من اعتقد أنها زوجتى قائلاً:

- "إنها جميلة جدًا".

فتوقعت أن يكون رآنى والفتاة وأمها عندما خرجنا معًا وذهبنا إلى "نيهون باشى".

- ١٨ -

رجعت إلى المنزل وأخبرت السيدة وابنتها بما قاله صديق الجامعة عنا، فضحكت السيدة، ثم نظرت إلى وقالت:

- "لقد وضعناك فى موقف محرج بسبب خروجنا معك".

وقلت لنفسى: "هل تجذب المرأة أنظار الرجل إليها بالخروج معه؟"، وكانت نظرات السيدة تعبر عن ذلك المغزى بقوة، وربما كان من الأفضل أن أتحدث إليها بصراحة عما يجول فى خاطرى تجاه ابنتها، ولكن الشك فيهما كان لا يزال عالقًا بى، ولم أكن قد وصلت إلى الصفاء تجاههما، فحاولت أن أتحدث بصراحة معها ولكنى تراجعت، وغيرت مجرى الحديث.

غيرت مجرى الحديث عنى بأن تحدثت عن الفتاة وكنت أريد من ذلك أن أعرف ماذا تنوى السيدة أن تفعل بالنسبة لزواج ابنتها، فقالت لقد طلب يدها عدة أشخاص، ولكنى رفضت لأنها غير متعجلة فى اتخاذ قرار بشأن ذلك؛ فهى ما زالت طالبة فى المدرسة، كما أنها صغيرة السن، ولم تقل بصراحة ولكن بدا عليها أنها تعلم أن ابنتها جميلة، وأنها تستطيع أن تزوجها وقتما شاءت، بجانب أنها ابنتها الوحيدة وليس لها أبناء آخرون، وبالتالى لن تفرط فيها بسهولة، ويبدو أنها كانت محتارة بين أن ترسل ابنتها إلى منزل زوجها لتعيش هناك، أو أن تحضر لها زوجًا يعيش معهما فى هذا المنزل.

حصلت على معلومات كثيرة ومهمة من خلال كلام السيدة، ولكنى أضعت فرصة الحديث عن رغبتى فى الزواج بابنتها،

وبالتالى لم أصل إلى نتيجة، فأنهيت حديثى معها ورجعت إلى غرفتى.

كانت الفتاة تجلس معنا عندما كنا نتحدث عما قاله صديقى، فضحكت وقالت: "إنه فكر لبعيد"، ثم ذهبت إلى ركن الحجرة وجلست مولية ظهرها إيانا، وعندما قمت نظرت إليها وظهرها لى، ولم أعرف رد فعلها على ما قالته أمها، وقلت لنفسى كيف تنظر الفتاة إلى مسألة الزواج؟ وكانت تجلس أمام دولاب، وقد فتحت إحدى ضلفه، وأخرجت منه شيئًا ما ووضعته على ركبتيها، وأخذت تنظر إليه، ولمحت أمامها القماش الذى اشتريته لها.

وعندما هممت بالوقوف كنت صامتًا، فسألتنى السيدة بلهجة جادة:

- "ما رأيك؟".

فشعرت بالحيرة؛ لأنى لم أفهم رأيى بالنسبة لماذا، وعندما فهمت منها أنها تقصد هل من الأفضل أن تزوج ابنتها بسرعة أم لا، فقلت لها:

- "أنا أعتقد ألا تتعجلى فى ذلك".

- "وأنا أيضًا أعتقد ذلك".

واستمرت حياتنا نحن الثلاثة هكذا إلى أن دخل رجل آخر، ولو لم يكن دخل حياتنا لما انقلبت حياتى رأسًا على عقب، وقد عاش ذلك الرجل معنا وكانت النتيجة هى تغير قدرى تغيرًا كبيرًا، وإذا لم يكن هذا الرجل قد اعترض طريق حياتى، لما جلست طويلاً هكذا أكتب لك خطاب وداع، لقد جعل هذا الرجل حياتى

سوداء فى لمح البصر، دون أن أكون قد توقعت ذلك، وللأمانة فمن أدخله هذا المنزل وأدخله حياتنا كان أنا، وبما أن موافقة السيدة كانت مهمة لدخول المنزل، فقد طلبت منها أن يعيش معنا، وشرحت لها كل شيء من البداية بوضوح، ولكنها رفضت، وعندما أوضحت لها أن هناك أسبابًا تجبرنى على أن أجعله يعيش معنا فى المنزل استسلمت لطلبى، وبذلك أكون قد فعلت ما أعتقد أنه صواب بأسلوب الضغط.

- ١٩ -

سأشير فى هذا الخطاب إلى ذلك الرجل، الذى كان صديقى، باسم "كاف"، فقد كنا صديقين حميمين منذ طفولتنا، وبالطبع ليست هناك حاجة لشرح ما معنى أننا صديقين منذ الطفولة، وكان ابن راهب، ولم يكن أكبر أولاده، بل كان الثانى، ولذلك تم إعطاؤه لطبيب ليكون ابنه بالتبنى، وكان المذهب الذى ينتمى إليه أبوه مذهب منتشر فى بلدتى، ورهبان ذلك المذهب أغنياء إذا قارناهم برهبان المذاهب الأخرى، وعلى سبيل المثال، إذا كان راهب عنده ابنة وأصبحت فى سن الزواج، فكان أتباع ذلك المذهب يعثرون لها على زوج، ويقومون بتزويجها، ونفقات الزواج لم يكن يتحملها هذا الراهب، بل المعبد، وهذا يوضح إلى أى مدى كان ذلك المعبد غنيًا.

عائلة "كاف" كانت تعيش فى سِعة، ولكن لا أعرف ما إذا كان عندها القدرة على إرسال ابنها إلى العاصمة طوكيو لكى يتعلم فى الجامعة أم لا، ولا أعرف إذا كان أصبح ابنًا متبنى لطبيب لكى يحصل على فرصة أفضل فى التعليم أم لا، ولكنه على كل حال

أصبح ابنًا متبنى لطبيب، وقد حدث ذلك عندما كنا فى المدرسة الثانوية، وأتذكر حتى الآن أننى اندهشت عندما كنا فى صف المدرسة الثانوية وسمعت الأستاذ ينادى على "كاف" وكان اسم أبيه قد تغير إلى اسم الطبيب.

كان الطبيب الذى تبنى "كاف" غنيًا، وحصل "كاف" منه على مصروفاته الدراسية لكى يلتحق بالجامعة فى طوكيو، ولم نسافر معًا إلى طوكيو عند التحاقنا بالجامعة، ولكن بعد أن وصلنا أقمنا معًا على الفور فى منزل واحد، وكان من المعتاد وقتذاك أن يقيم طالبان أو ثلاثة فى حجرة واحدة، وأقمت مع "كاف" فى حجرة واحدة، وكنا كالحيوانات التى تعيش فى قفص على الجبل، يحتضن كل منا الآخر وننظر إلى العالم الخارجى؛ فقد كنا نخاف من طوكيو وأهلها، وكانت مساحة الحجرة نحو عشرين مترًا مربعًا وننظر من خلالها إلى العالم الخارجى باحتقار.

لكننا كنا جادين، فكنا نتعلم من أجل أن نصبح عظماء، وبخاصة "كاف"، فقد وُلِد فى معبد، وكان كثيرًا ما يقول "الجهاد"، وبالنسبة لى فإن كلمة "جهاد" هى خير وصف لتصرفاته، وكنت أحترمه بشدة.

ومنذ أن كنا فى المدرسة الثانوية، كان يتناقش معى فى موضوعات صعبة لم أكن أفهمها، مثل موضوعات الدين والفلسفة، ولا أعرف ما إذا كانت معرفته بتلك الموضوعات قد اكتسبها من أبيه، أم من المكان الذى وُلِد فيه، أقصد المعبد؛ فهو مكان ذو طبيعة خاصة، وعلى كل حال لقد كان أكثر رهبنة بكثير من الراهب

العادى، وقد أرسله الطبيب الذى تبناه إلى طوكيو ليدرس الطب ويكون طبيبًا، ولكنه كان شخصًا عنيدًا وقرر قبل أن يأتى للدراسة فى طوكيو ألا يصبح طبيبًا، فقلت له:

- "إنك بذلك تكون مخادعًا، تخدع الأسرة التى تبنتك".

ولكنه كان لا يأبه بذلك، وقال:

- "نعم هو كذلك".

وأضاف:

- "إن كل شىء يهون من أجل الهدف".

ولا أعتقد أنه كان يفهم المقصود بالهدف، وطبعًا لا أستطيع أن أقول إننى فهمت ماذا يعنى بالهدف، ولكننا كشباب صغير فى ذلك الوقت كنا نعتقد أن كلمات مثل الهدف كلمات كبيرة لها قيمة وتقدير وسمو، ومع أنى لم أفهم ماذا يقصد بكلمة الهدف، فإنها كلمة تغزو القلب وتجعلك تتحمس دون أدنى شك، فوافقته على ما قال، ولا أعرف إلى أى مدى شجعته موافقتى على المضىّ فيما يريد، ولكنه من النوع الذى يرى الأمور من جانب واحد فقط، ولا يغير رأيه مهما عارضه الآخرون، ورغم أننى صغير فإنى أعلم أنه إذا حدث له مكروه فيجب أن أتحمل جزءًا من المسؤولية، لأننى شجعته على فعل ذلك بأن وافقته على رأيه، وإذا كنت قد وافقته على ذلك حينها دون تفكير فى تحمل جزء من المسؤولية بسبب صِغر سنى، وحدث له بعد ذلك مكروه، فعندما أكبر وأصبح أكثر نضجًا فسأنظر إلى الماضى وأعرف أننى اقترفت خطأ بموافقتى له على فعل ذلك، وبالتالى سأتحمل جزءًا من المسؤولية.

التحقنا أنا و"كاف" بنفس الكلية ولكن كل منا فى قسم مختلف عن الآخر، وبدأ يسير نحو تحقيق هدفه مستخدما المال الذى يحصل عليه من الطبيب الذى يتبناه، وكأنه لا يفعل شيئًا خاطئًا، وبدأت أشعر بشعورين لا ثالث لهما؛ أحدهما الأمان بأن الطبيب الذى يتبناه لن يعرف أنه يستخدم ماله فى دراسة شىء آخر غير الطب، والآخر أن "كاف" لا يأبه بأن يعلم الطبيب.

ولم يرجع "كاف" إلى مسقط رأسه فى أول إجازة صيفية، وقال إنه سوف يستأجر حجرة فى معبد بمنطقة "كوما جوميه" لكى يواصل الدراسة، وعدت إلى طوكيو فى أوائل شهر سبتمبر، وكان هو يعيش فى حجرة داخل معبد متواضع بجانب معبد "كن نون"، وكانت حجرته ضيقة وتقع بجانب المبنى الرئيسى فى المعبد، وكان يبدو عليه السعادة الغامرة، لأنه استطاع أن يدرس ما أراد، وكان من الواضح أن حياته بدأت تدريجيًا تتغير إلى حياة الرهبنة، ورأيت فى يده مسبحة، فسألته عما يفعل بها فقال إنه يعد حباتها، ثم أرانى كيف يفعل ذلك، وقال لى إنه يفعل ذلك كل يوم عدة مرات، ولكنى لم أفهم ما الهدف من فعل ذلك، فإذا قمنا بعد الحبات الموجودة فى مسبحة دائرية، فلن يكون هناك نهاية للعد، وقلت لنفسى عند أى حبة توقف عن العد؟ وفيما كان يفكر عندما توقف عن العد؟ تلك أسئلة سخيفة ولكنى أفكر فيها كثيرًا، ورأيت بداخل حجرته الإنجيل فاندهشت، فقد سبق لى عدة مرات أن سمعته يقول فى أحاديثه "سوترا" (اسم الكتاب المقدس للبوذية)، ولكنى لم

أسمعه قط يتحدث عن المسيحية، فلم أستطع الصبر على عدم سؤاله عن سبب وجود الإنجيل عنده، فقال:

- "ليس هناك سبب معين، ولكن بما أن كثيرًا من البشر قد أعجبهم الإنجيل، فقد رأيت أنه من الطبيعى أن أقرأه وأعرف ما فيه".

وفوق ذلك قال:

- "إذا كانت هناك فرصة لقراءة القرآن فسوف أقرأه".

فقد كان مهتمًا جدًا بموضوع "الإسلام والسيف".

فى العام الثانى له فى الجامعة، جاءه خطاب يحضه على العودة لمسقط رأسه فعاد، فلم يتحدث عن التخصص الذى يدرسه فى الجامعة، ولم يشك أحد فى أنه تخصص فى شىء غير الطب، وبما أنك خريج جامعى فإنك تعرف كيف يعيش الطلاب، والقواعد المنظمة للجامعة وما إلى ذلك، ولكن عامة الناس لا يعلمون ذلك، ولم يكن ما يحدث فى الجامعة ينتقل إلى المجتمع، فالجامعة منعزلة عن المجتمع، ولكننا كنا نعتقد أن كل ما يحدث فى الجامعة ينتقل إلى المجتمع، وكان "كاف" يعلم أكثر منى، ولذلك عاد إلى طوكيو كما ذهب وكأن شيئًا لم يحدث، وعند عودتنا ركبنا القطار نفسه، فسألته: "كيف سار الوضع معك؟"، قال: "لم يحدث شىء، وكل شىء على ما يرام".

جاء صيف العام الثالث من التحاقنا بالجامعة، وهو الصيف الذى تركت فيه بلدتى إلى الأبد، فشجعت "كاف" على العودة، ولكنه لم يستجب لى، بل سألنى مستنكرًا: "وماذا تفعل أنت عندما

تعود كل عام"، وكان من الواضح أنه يريد البقاء فى طوكيو للدراسة، ولم أجد مفرًا من المغادرة وحيدًا، ولن أكرر ما ذكرته سابقًا، بأنه فى هذين الشهرين اللذين عشتهما فى بلدتى، حدث ما غير مجرى حياتى تمامًا، وأننى شعرت بالظلم والحزن والوحدة، وقد قابلت "كاف" فى شهر سبتمبر بتلك المشاعر، وفوجئت أن مجرى حياته تغير مثلى؛ حيث إنه بعث بخطاب إلى الطبيب الذى يتبناه، واعترف له بأنه خدعه ولم يدرس الطب، ويبدو أنه خطط منذ البداية بأن يتخصص فى شىء غير الطب ثم يعترف لهم بذلك، وكان يهدف من ذلك أن لا يكون هناك مفر من استكمال دراسته الحالية، ويبدو أنه لم يكن ينوى أن يتمادى فى خداع الطبيب الذى يتبناه، وحتى إذا كان ينوى خداعه، فلم يرد أن يدوم ذلك.

- ٢١ -

عندما رأى والد "كاف" بالتبنى، خطابه غضب غضبًا شديدًا، وبعث له على الفور بخطاب عنيف يقول فيه إنه لن يبعث له مصروفات، لأنه غير ملتزم أخلاقيًا وخدعه، وأرانى "كاف" ذلك الخطاب وخطابًا آخر تلقاه من أبيه الحقيقى، وكان الخطاب لا يقل استهجانًا عما فعله عن الآخر، وربما يكون ذلك بسبب شعور والده الحقيقى بحرج أمام والده بالتبنى، كما أضاف والده الحقيقى أنه ليس له علاقة بما سيحدث له، وبصرف النظر عما إذا كان سيعيد اسم والده الحقيقى أم يستمر باسم والده بالتبنى، فإن المشكلة التى ستظهر الآن هى كيف سيحصل على المال اللازم للإنفاق على الدراسة والمعيشة.

سألت "كاف" عن ذلك، فقال إنه سوف يُدبر المال من خلال العمل مدرسًا فى المدارس الليلية، وبمقارنة تلك الفترة بالآن، فإن الحياة فى تلك الفترة كانت سهلة، ولم يكن من الصعب الحصول على عمل إضافى، وقد اعتقدت أنه يستطيع الحصول على المال الكافى من ذلك العمل، ولكنى مسؤول عن جزء مما حدث له؛ فقد وافقته على رأيه عندما قرر أن يسير فى الطريق الذى أراده وتجاهل رغبة والده بالتبنى، وبالتالى يجب أن لا أوليه ظهرى وأتركه فى ذلك الموقف الصعب، وعرضت عليه إقراضه مالا فرفض، فقد كان يشعر بالراحة عندما يعتمد على نفسه، ولا يعتمد على أحد، وقال إنه ما دام دخل الجامعة فإذا لم يعتمد على نفسه فقط فلن يكون رجلا، ولأننى لم أرغب فى أن أجرح مشاعره، فلم ألح عليه وتركته يفعل ما يشاء دون ضغط.

ووجد "كاف" العمل الذى يريده بسرعة، ولكن كان العمل شاقًا ويستغرق وقته لدرجة لا يمكن تخيلها، وبجانب ذلك العمل الشاق، لم يتهاون فى استذكار دروسه باجتهاد، مما جعله يتحمل فوق طاقته، فشعرت بالقلق من أن تنهار صحته بسبب ما يبذله من مجهود فى العمل والدراسة، ونصحته بألا يبذل مجهودًا فوق طاقته، ولكنه استخف بنصيحتى.

تعقدت علاقته بوالده بالتبنى تدريجيًا، وبما أنه لم يعد عنده وقت فراغ، فلم يعد يتحدث معى كما كان يفعل من قبل، وبالتالى لم أستطع معرفة أحداث حياته، ولكنى كنت أعرف فقط أن المشكلات تزيد وأحواله تسوء، وتدخل شخص ما لكى يصلح بينه

وبين والده بالتبنى وكتب ذلك الشخص إلى "كاف" خطابًا يحثه على رجوعه إلى بلدته ولكنه رفض، ورد "كاف" ذو الشخصية العنيدة بخطاب على ذلك الشخص قال له فيه إنه لا يستطيع الرجوع إلى بلدته لأنه فى منتصف الفصل الدراسى، ولكن ذلك الشخص شعر أن ذلك تعنت من قِبَله، مما جعل الأمور تسوء أكثر، وبذلك جرح مشاعر والده بالتبنى، وأغضب والده الحقيقى، وقد كتبت خطابًا إلى والده بالتبنى محاولاً الإصلاح بينهما ولكن ذلك لم يأتِ بنتيجة، لدرجة أن والده بالتبنى لم يرد على خطابى، فشعرت بالغضب من ذلك، وكنت متعاطفًا مع "كاف"، ولكن بعد ذلك قررت أن أقف معه بصرف النظر عما إذا كان على صواب أم لا.

وبعد طول تفكير قرر "كاف" فى النهاية أن يعود إلى استخدام اسم والده الحقيقى مرة أخرى، وعلى هذا توصلوا إلى اتفاق بأن يأخذ والده بالتبنى المال الذى أنفقه عليه من والده الحقيقى، وفى الوقت نفسه لن يتحمل والده الحقيقى نفقاته من الآن فصاعدًا، وأن يفعل "كاف" ما يريد دون دون الرجوع لوالده الحقيقى، أو كما كانوا يقولون قديمًا "قطع صلة الرحم"، ولم تكن أم "كاف" حية، والتى اعتنت به كانت زوجة أبيه، وربما يكون جانب من شخصيته هذه تكوّن من تأثير زوجة أبيه، وإذا كانت أمه ما زالت حية لما تباعدت العلاقة بينه وبين عائلته، وكان والده راهبًا بمعنى الكلمة، ولكنه بالنسبة للنواحى الأخلاقية كان صارمًا كمحاربى الساموراى.

بعد أن هدأت الأمور بعض الشيء بالنسبة لـ"كاف" فوجئت بوصول خطاب طويل من زوج أخته الكبرى، وقال لى "كاف" إن زوج أخته قريب الطبيب الذى كان يتبناه، وأنه هو الذى تدخل عند الطبيب ليتبناه، وأيضًا تدخل ليجعله يعود إلى أبيه الحقيقى.

وقال لى فى خطابه بأن أخبره بأحوال "كاف"، وأضاف أن أخته قلقة عليه ولذلك يريد الرد بسرعة. وكان "كاف" يحب أخته، التى تزوجت وأصبحت جزءًا من عائلة أخرى، أكثر من أخيه الذى سار فى طريق الرهبنة مثل أبيه، وإن كان وأخوه وأخته جاءوا من نفس الرحم فإن فارق العمر بينه وبين أخته كبير، وعندما كان "كاف" طفلا كانت أخته هذه بمثابة الأم بالنسبة له.

أطلعته على الخطاب الذى جاء من زوج أخته فلم يعلق، ولكنه أفصح لى عن أنه تسلم عدة خطابات من أخته تحمل نفس المعنى، وأنه أرسل لها ردًا وقال لها ألا تقلق عليه، وكانت أخته تتعاطف معه ولكنها تزوجت رجلا ليس غنيًا ولا تستطيع أن تساعده ماديًا.

وكتبت إلى زوج أخته ردًا على خطابه وقلت له مثل ما قال "كاف" في خطابه إليه، بجانب أننى قلت له بكلمات قوية إنه فى حالة حدوث أى شيء خطر عليه فسأفعل ما أستطيع من أجله، فليطمئن، وإننى كنت قد قررت ذلك من نفسى قبل أن يصلنى خطاب منه، وكنت قد أردت أيضًا مما قلته فى هذا الرد أن أطمئن أخته، وأن أرد على والده بالتبنى ووالده الحقيقى اللذين تصرفا معى بطريقة فيها احتقار لى.

تغير اسم والد "كاف" مرة أخرى إلى اسم والده الحقيقى، ومنذ أن كان فى الفرقة الأولى إلى منتصف الفرقة الثانية، أى نحو عام ونصف العام، اجتهد واستطاع الاعتماد على نفسه فى كل شىء، ولكن نتيجة لما بذله من مجهود زائد فى تلك الفترة، فقد تأثرت صحته ونفسيته سلبًا، فأصبح حساسًا يتأثر بأى شىء بسهولة ويميل إلى الحزن، وفى بعض الأحيان كان يقول إنه يحمل على كتفيه وحيدًا كل أحزان العالم، وعندما يعترض أحد على قوله هذا يثور، وبعد ذلك بدأ يشعر بالقلق على مستقبله الذى كان مستقبلا مشرقًا، وكل طالب عادى يبدأ رحلته الجامعية الجديدة بطموح كبير ولكن بعد مرور عامين واقترابه من مرحلة التخرج، يشعر فجأة بأنه يسير بخطى بطيئة نحو التخرج وأنه سيفشل، وكان يشعر بتلك المشاعر بطريقة مفرطة، ولم يكن أمامى إلا أن أهدئ من روعه.

نصحته بألا يعمل أكثر من اللازم، وأن يريح بدنه ويلهو فى بعض الأحيان وأن ذلك أفضل من أجل المستقبل الكبير، ولكنه إنسان عنيد لم ينصت إلى كلامى، وعندما حاولت معه أكثر وجدته أكثر عنادًا فتراجعت، وكان يقول دائمًا إن هدفه فى الحياة ليس العلم ولكن أن يصبح إنسانًا قوى الإرادة، ولكى يصبح الإنسان قوى الإرادة فلا بد أن يعيش حياة صعبة، ولكن معيشته الصعبة هذه لم تجعله قوى الإرادة، بل على العكس، جعلته يمرض ويصبح ضعيف النفس، ولم يكن أمامى مفر إلا أن أظهر له تعاطفى، فقلت له: "لقد تمنيت دائمًا أن أحيا حياة كفاح مثله" (ولم يكن كلامه عن أن الحياة الصعبة تصنع إنسانًا قوى الإرادة مجرد كلام أجوف

بالنسبة لى، بل كان قويًا لدرجة أننى صدقته وانجذبت إليه تدريجيًا)، وعرضت عليه أن يسكن معى وأن نجاهد معًا فى هذه الحياة، ولأنه إنسان عنيد فقد ركعت أمامه لكى يقبل أن يأتى ليعيش معى، وأخيرًا وافق.

- ٢٣ -

كانت حجرة المعيشة ملحقة بحجرتى، وكانت مساحتها نحو اثنى عشر مترًا مربعًا، ويجب المرور من خلالها للوصول إلى حجرتى، وبالتالى يصعب استخدامها فى أى شىء، وقد أقام "كاف" فيها، ولكن قبل ذلك عرضت عليه أن يقيم معى فى حجرتى وأن نستخدم حجرة المعيشة معًا، ولكنه قال إنه يريد أن يقيم بمفرده فى حجرة حتى إذا كانت ضيقة، ولذلك اختار هذه الحجرة ليقيم فيها.

وكما ذكرت سابقًا فإن السيدة لم توافق على أن يسكن فى منزلها شخص آخر، وقالت إنها إذا أرادت أن تحول منزلها إلى منزل للإيجار فكلما زاد عدد المستأجرين زادت الفائدة بالنسبة لها، ولكنها لا تفكر فى ذلك، وبالتالى لا تريد أن يسكن صديقى هذا فى المنزل، ولكنى قلت لها إن صديقى شخص جيد ولن يسبب لها أى متاعب، وقالت حتى وإن كان كذلك فإنها لا تريد أن يسكن فى منزلها شخص غريب لا تعرفه، فقلت لها إننى أيضًا شخص غريب عنها، فقالت إن الوضع بالنسبة لى مختلف، فقد فهمتنى من أول لقاء ووثقت فىَ، فضحكت، فغيرت مجرى الكلام وقالت لى محاولة إقناعى بوجهة نظرها؛ إذا جعلت صديقك يسكن فى المنزل

فذلك سيكون شيئًا سيئًا لك، فسألتها كيف يكون ذلك؟ فضحكت هى هذه المرة.

وفى الحقيقة لم يكن هناك سبب مهم يجبرنى على السكن مع "كاف"، وقلت لنفسى لو عرضت عليه نقودًا لكى يدفعها كإيجار، فعندما يرى النقود سيرفض لأنه إنسان عصامى، يحب الاعتماد على نفسه، ولذلك نويت أن أعطى السيدة نقود الطعام الذى ستعده له مع نقود الطعام الذى تعده لى معًا دون أن يعلم هو بذلك، ولم يكن فى نيتى أن أخبر السيدة بأن وضعه المادى سيئ.

شرحت للسيدة وابنتها أن الوضع الصحى لـ"كاف" مقلق، وأننى إذا تركته يعيش وحيدًا فستزداد حالته سوءًا ويصبح أكثر عصبية وحساسية، وحكيت لهما قصته مع الطبيب الذى تبناه، وما حدث معه من مشكلات وقصة انقطاع صلته بوالده الحقيقى وأسرته، وأننى وجدته على وشك الانهيار، ولذلك قررت انتشاله مما فيه وإعطاءه أملا لكى يواصل كفاحه فى الحياة، وطلبت منهما أن يرعياه ويتعاملا معه بطريقة رقيقة، وبعد أن سمعت السيدة ذلك لم تعترض على سكنه فى منزلها، ولكنه لم يعرف أننى قلت كل هذه التفصيلات لهما، وشعرتِ بالراحة بعد إقناع السيدة بقبوله ساكنًا، وعندما حضر استقبلناه بطريقة عادية وطبيعية ولم تتحدث معه السيدة وابنتها عن مشكلاته وكأنهما لا يعرفان شيئًا.

استقبلته السيدة وابنتها بلطف وساعداه على ترتيب أمتعته، وشعرت بالسعادة لأنهما فعلا ذلك من أجلى، وكان كالعادة مشغولا بالتفكير فى حاله.

وعندما سألته عن رأيه فى مسكنه الجديد لم يقل أكثر من "ليس سيئًا"، ومن وجهة نظرى ليس المسكن الذى يُقال عنه "ليس سيئًا"، فالمسكن الذى كان قبله كان قذرًا؛ فقد كان يسكن فى مكان حقير وانتقل إلى مكان راقٍ، ولكنه لا يقول ذلك صراحة لأنه عنيد، بجانب تعاليم البوذية التى تقول إنه يجب ألا يسعى إلى الترف بالنسبة للمأكل والملبس والمسكن، خصوصًا أنه قرأ كتب سير الرهبان القدماء العظماء والقديسين، وينظر إلى الماديات بطريقة تختلف عن الطريقة التى ينظر بها إلى الروحانيات، لدرجة أنه يرى أن عذاب الجسد يؤدى إلى سمو الروح.

- ٢٤ -

ونتيجة لمعاملة السيدة لى بطريقة حنونة، فقد شعرت تدريجيًا بتحسن نفسيتى، وقررت أن أعامل "كاف" بنفس المعاملة التى تعاملت بها السيدة معى، وأنا أتعامل معه منذ زمن طويل وأعلم جيدًا أن شخصيته تختلف كثيرًا عن شخصيتى، ولكن بما أن شخصيتى كانت حادة قبل الإقامة فى هذا المنزل وزالت تلك الحدة بعد أن تعاملت معى السيدة بطريقة حنونة، فقلت لنفسى إنه سيهدأ تدريجيًا عندما يقيم فى هذا المنزل كما حدث معى.

"كاف" إنسان حازم فى اتخاذ القرارات مقارنة بى، وكان يبذل مجهودًا فى الدراسة ضعف ما أبذل، كما أن عقليته أفضل من عقليتى بمراحل، وعندما كنا فى نفس الصف فى المدرسة الإعدادية والثانوية كان من المتفوقين، ومن كل الجوانب فهو أفضل منى، ولكن عندما رجوته ليعيش معى فى هذا المنزل، كنت

أكثر منه منطقية وحكمة، بمعنى أنه لم يكن يفهم الفارق بين العناد والصبر، وإنى أريد أن تفهم جيدًا ما أقوله لك عن ذلك لأنه سيكون مفيدًا لك، إن الجسد والروح يتأثران بالعوامل الخارجية، وتلك العوامل الخارجية قد تؤدى إلى تطورهما أو تحطمهما، وعلى كل حال، فإنه من المهم أن نزيد المؤثرات الخارجية عليهما، ولكن إذا لم نفكر جيدًا فى نوعية تلك المؤثرات فسيتحولان إلى الأسوأ، وسيصلان إلى التطرف دون أن ننتبه إلى ذلك، ويقول الأطباء إنه لا يوجد شىء أكثر كسلاً من المعدة، فإذا أكلت أرزًا مسلوقًا فقط ودائمًا، فإن المعدة لن تستطيع هضم أى شىء أكثر صلابة منه، ولذلك يقول الأطباء إنه يجب أن تعوّد نفسك على أكل كل شىء، ولكن ليس المقصود من ذلك أن تعوّد نفسك، ولكن زيادة المؤثرات الخارجية على المعدة تدريجيًا سيؤدى إلى أن تصبح المعدة قادرة على الحصول على الفائدة من الطعام الأكثر صلابة، ولكن افترض العكس، افترض أن المعدة أصبحت ضعيفة، فإذا افترضت ذلك فستعرف ماذا ستكون النتيجة.

إن "كاف" كان رجلا أعظم منى ولكنه لم ينتبه إلى ذلك على الإطلاق، فهو كان يعتقد أنه إذا اعتاد الحياة الصعبة، فإن هذه الصعوبة لن تؤثر عليه لاعتياده إياها، وإنه بتحمل الآلام والمتاعب المتكررة فى الحياة ستكون هناك رحمة من الرب تجعلك لا تشعر بهذه الآلام والمتاعب.

كنت أقول له ذلك وكان يضرب أمثلة تؤكد صحة كلامه وذلك من خلال عظماء الزمن الفائت، وبالتالى وجب علىّ أن أوضح له

أنهم شيء وهو شيء آخر، وإذا كان سيقتنع بذلك لقلته، ولكنى أعرف شخصيته وأنه لن يقتنع برأيى، ولن يتراجع عما فى عقله، بل سيتمادى بأن ينفذ ما قاله، وبالتالى كان شخصًا مخيفًا، وأيضًا عظيمًا، فكان سيستمر فى المضى فى طريق القضاء على نفسه بنفسه، والنتيجة أنه بالنسبة لقضائه على نجاحه الشخصى كتضحية للآخرين، كان إنسانًا عظيمًا، لم يكن عاديًّا، ولأننى أعرف شخصيته جيدًا فلم أناقشه فى أى شيء، لقد كان مصابًا باضطراب عصبى، فإذا حاولت مناقشته وإقناعه فسيغضب، وأنا لا أخاف أن يتحول النقاش إلى مشاجرة، ولكن لا أتحمل أن ينعزل ويعانى من العزلة كما عانيت أنا منها، فكنت أخشى أن يسقط فى العزلة بدلاً من الابتعاد عنها، ولذلك تعمدت منذ أن جاء ليقيم معى فى المنزل، ألا أناقشه فى تصرفاته، بل أتركه يفعل ما يرى وأنتظر تأثير البيئة الهادئة التى حوله عليه.

- ٢٥ -

طلبت من السيدة وابنتها سرًا أن يتحدثا مع "كاف" على قدر المستطاع، وأنا أعتقد أن السبب فيما وصل إليه كان من تأثير حياة الصمت الطويلة التى عاشها، وكما أن الحديد الذى لا يُستخدم يصدأ، فإن قلبه كان لا ينبض بأى مشاعر.

أما السيدة فقد ضحكت وقالت إنه شخص لا يمكن التعامل معه، وقد دللت ابنتها على كلامها بحديث دار بينهما ذات مرة، قالت له:

- "هل الموقد ما زال يعمل؟".

- "لا"

- "هل تريد حطبًا لإشعال نار للتدفئة؟".

- "لا".

- "ألا تشعر ببرد؟".

- "أشعر ولكنى لست فى حاجة لإشعال نار".

ثم أنهى الحديث وتركها.

ولم أستطع أن أبتسم فقط وأنا أسمع ذلك، ولكن كان يجب أن أقول شيئًا فى هذا الموقف يبين تعاطفى مع الفتاة، كأن أقول: شىء مؤسف أن يفعل ذلك، ولكنى قلت لنفسى ربما لا يحتاج نارًا لأننا فى فصل الربيع، ولكن الأكيد أنه شخص لا يمكن التعامل معه.

ولذلك قمت أنا بدور حمامة السلام بين السيدة وابنتها و"كاف"، فكنت أعمل على تجميع الثلاثة بطريقة أو بأخرى؛ فإذا كنت أتحدث معه دعوت السيدة وابنتها للجلوس معنا، وإذا كنت مع السيدة وابنتها، دعوته لنتحدث معًا، بالطبع لم يكن يحب التحدث مع الآخرين، فكان أحيانًا عندما نكون مجتمعين فى حجرة نتكلم يقف فجأة ويخرج من الحجرة، وفى بعض الأحيان كنت أدعوه للجلوس معنا ولكنه كان يرفض الخروج من حجرته، ويقول:

- "ما اللذة فى الاجتماع والتحدث عن أشياء تافهة؟!".

كنت أسمعه يقول ذلك فأبتسم ولا أجد ما أقوله، ولكنى كنت أعرف بداخلى أنه كان ينظر إلىّ باحتقار للجلوس مع السيدة وابنتها

والتحدث فيما يراه تفاهات.

ربما كان "كاف" ينظر إلى نظرة دونية من زاوية معينة، كما أن نظرته إلى كل شيء كانت أعلى من نظرتى، وأنا لا أعترض على ذلك، ولكن ليس منطقيًا أن يتطلع الإنسان إلى الأعلى وهو عاجز لا يستطيع عمل شيء، وكان كل اهتمامى حينذاك أن أجعله إنسانًا طبيعيًا كأى إنسان، وليس مهمًا أبدًا أن يعتقد أنه إنسان عظيم، ما دام غير مفيد على الإطلاق، وقلت لنفسى إن أول شيء يجعله طبيعيًا أن أشجعه على الاختلاط مع الجنس الآخر، أى السيدة وابنتها، ومن خلال الاختلاط بهما سيرق وتنساب أحاسيسه ويتحول إلى إنسان طبيعى.

ونجحت تلك الخطة، وفى البداية لم يندمج بسرعة، ولكن مع مرور الوقت بدأ يقتنع تدريجيًا بوجود عالم آخر غير عالمه الخاص، وفى يوم من الأيام قال لى يجب ألا نحتقر المرأة هكذا، وكان يعتقد أن العلوم والمعرفة الضرورية للمرأة هى ذاتها الضرورية للرجل، وعندما اكتشف غير ذلك احتقر المرأة، وكان يحكم على المرأة والرجل من المنظور نفسه، ولا يعرف أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل، فقلت له:

- "إذا تحدثنا كرجلين إلى ما لا نهاية، فلن نتفق أبدًا".

- "نعم هذا صحيح".

قلت له ذلك وأنا أفكر بولع فى الفتاة، ولذلك خرجت منى تلك الكلمات بتلقائية، ولكنى لم أخبره بأن كلامى هذا مبنى على ولعى بها.

وشعرت بسعادة غامرة عندما رأيته يخرج من عالمه الخاص إلى العالم الحقيقى، ولأننى كنت أخطط لذلك منذ البداية، شعرت بالسعادة من نجاحى فيما خططت له، وعبرت للسيدة وابنتها عن مدى سعادتى بما حدث له من تغير ولم أعبر عن ذلك له، وشعرت السيدة وابنتها أيضًا بمثل ما شعرت.

- ٢٦ -

ورغم أننى و"كاف" كنا فى نفس الكلية، لكن تخصصى مختلف عن تخصصه، وبالتالى كان من الطبيعى أن تختلف أوقات خروجنا ورجوعنا إلى المنزل، وإذا رجعت قبله فكنت أمر من خلال حجرته للوصول إلى حجرتى، وإذا رجعت بعده كنت ألقى عليه التحية وأنا أمر من خلال حجرته إلى حجرتى، وكان هو يرفع عينيه عن الكتاب الذى يقرأه وينظر إلىّ وأنا أفتح باب حجرته ويقول "هل رجعت الآن؟"، كنت أقول له "نعم" وأحيانًا كنت أشير له برأسى، ثم أذهب إلى حجرتى.

وفى أحد الأيام ذهبت لقضاء بعض الأمور فى منطقة "كنضا"، وعدت متأخرًا عن المواعيد المعتادة لعودتى، عندما دخلت بخطى مسرعة إلى بوابة المنزل وفتحت الباب، سمعت صوت الفتاة يأتى من حجرة "كاف"، وتقسيم المنزل كان المدخل بعده حجرة المعيشة ثم حجرة الفتاة ثم تنحنى يسارًا فتجد حجرة "كاف" ثم حجرتى، ولأننى أعرف المنزل جيدًا فإذا سمعت صوتًا أعرف صوت من ومن أين يأتى، أغلقت الباب على الفور، وعند ذلك توقفت الفتاة عن

الكلام، ثم انحنيت لفك رباط حذاء طويل الرقبة، كان موضة فى ذلك الوقت، لم أسمع أى أصوات تصدر من حجرة "كاف"، فلقت لنفسى ربما كان صوت الفتاة الذى سمعته فى حجرة "كاف" مجرد تهيؤات، ولكن عندما فتحت باب الحجرة لأدخل وأمر من خلالها إلى حجرتى، فوجئت بأنهما يجلسان معًا داخل الحجرة، وسألنى كالعادة: "هل رجعت الآن؟"، وقالت الفتاة وهى جالسة: "أهلاً بعودتك"، وشعرت بأن ترحيبها بى كان بطريقة باردة، وكانت نبرتها غير التى اعتدت عليها، بل كانت نبرة غير عادية، فسألتها:

- "أين أمك؟".

وكان سؤالا عاديًا لا يحمل هدفًا ماكرًا؛ لأننى لم أسمع صوتًا أو حركة فى المنزل، وكان هادئًا جدًا عن المعتاد.

وعلى عكس ما توقعت، فقد كانت السيدة خارج المنزل مع الخادمة، وكان "كاف" والفتاة فى المنزل وحدهما، وعندما قالت لى إن أمها والخادمة خرجتا، شعرت بالدهشة؛ فعلى الرغم من أننى أعيش فى هذا المنزل منذ مدة طويلة فإن السيدة لم يسبق لها أن تركتنى والفتاة وحدنا فى المنزل وخرجت، فسألت الفتاة عما إذا كان هناك أمر طارئ قد جعل أمها تخرج فجأة، ففوجئت أنها تضحك مما قلت، وأنا أكره النساء عندما يضحكن فى مثل هذه المواقف، وجميع الفتيات يضحكن فى مواقف غير مناسبة وهذه الفتاة تضحك كثيرًا على الأشياء التافهة، ولكنها عندما رأت تعبيرات وجهى الجادة عادت تعبيرات وجهها إلى الجدية مثلما تكون دائمًا، وقالت بجدية:

- "ليست هناك ظروف طارئة جعلت أمى تخرج، ولكنها خرجت لقضاء بعض الأمور".

ولأننى لست من أهل البيت فلا يحق لى أن أسأل أكثر من ذلك، فصمتُ.

دخلت حجرتى وغيرت ملابسى وهممت بالجلوس إلى مكتبى، وفى أثناء ذلك عادت السيدة والخادمة، ثم جاء وقت العشاء حيث نجتمع إلى مائدة الطعام، وفى الفترة الأولى لسكنى فى هذا المنزل كانت الخادمة تأتى لى بالطعام على صينية إلى داخل حجرتى، ولكن عندما أصبحنا أصدقاء، تغير ذلك النظام وكنت أُدعى لتناول الطعام معهن، وعندما جاء "كاف" ليعيش معنا، طلبت من السيدة وابنتها أن يتعاملا معه كما يتعاملان معى، وأن يدعواه إلى تناول الطعام معنا، وتقديرًا لموافقتها على ذلك أحضرت للسيدة هدية؛ طاولة طعام يمكن طى أرجلها، وكانت نادرة وجديدة فى ذلك الوقت، وقد ذهبت خصيصًا إلى نجار فى منطقة "أوتشا نو ميزو" ليصنع هذه الطاولة حسبما طلبت منه.

وفى ذلك اليوم عادت السيدة وقالت إن السماك لم يأتِ اليوم فى موعده المعتاد، فذهبت إلى السوق لتشترى لنا طعامًا نأكله، فقلت لنفسى لقد فهمت لماذا خرجت، وفى تلك اللحظة نظرت الفتاة فى وجهى وضحكت، ولكن فى هذه المرة نهرتها أمها، فتوقفت عن الضحك.

- ٢٧ -

بعد أسبوع مررت من حجرة "كاف" ذاهبًا إلى حجرتى، فوجدته يجلس مع الفتاة يتحدثان، وعندما رأتنى الفتاة ضحكت، وكان يجب أن أسألها عما يضحكها، ولكنى صمتُ وأسرعت إلى حجرتى، فلم أتح الفرصة لـ"كاف" ليسألنى سؤاله المعتاد، وسمعت الفتاة تخرج من حجرته مسرعة إلى حجرة المعيشة.

وعند تناول العشاء قالت لى الفتاة:

- "أنت لست طبيعيًا اليوم".

ولم أسألها لماذا تعتقد أننى غير طبيعى، ولاحظت أن السيدة نظرت إلى ابنتها نظرة تأنيب.

وبعد تناول طعام العشاء اصطحبت "كاف" إلى نزهة، وبدأنا السير من خلف معبد "دنزو إن" وسرنا حول حديقة النباتات فوصلنا إلى أسفل منحدر "طومى زاكا"، ولم تكن المسافة التى سرناها قصيرة، ولكننا تحدثنا قليلاً، فهو يحب الصمت أكثر منى، ولكن فى أثناء السير كنت أحاول أن أفتح معه موضوعات كثيرة لكى يتكلم، فحدثته عن السيدة وابنتها، وأردت أن أعرف رأيه فيهما، ولكنه لم يتكلم بوضوح، بل كانت إجابات قصيرة ولم أستطع استخلاص شىء منها، وكان يبدو عليه أنه مهتم بدراسته جدًا، ولا يعير السيدة وابنتها اهتمامًا، ولأن امتحان نهاية الفرقة الثانية كان قد اقترب، فبدا للشخص العادى أنه طالب مجتهد ولذلك يهتم بدراسته، وأنا لست كذلك، ولقد بهرنى بالكلام عن العالم السويدى إيمانويل سويدنبورج الذى لم أكن أعرفه.

وعندما انتهينا تمامًا من الامتحانات، فرحت السيدة وقالت بقى لكما عام واحد على التخرج، كما أن ابنتها الوحيدة، التى هى بالنسبة لها مصدر فخر، سيأتى عليها الدور فى التخرج قريبًا، وقال لى "كاف" إن الفتيات يتخرجن فى المدرسة دون أن يتعلمن أى شىء، وكان ينظر باستخاف لما تتعلمه الفتاة بعد المدرسة من حياكة والعزف على القيثارة وتنسيق الزهور، فضحكت من كلامه، ثم قلت له كما قلت سابقًا إنه يجب ألا يحكم على المرأة بنفس المعيار الذى يحكم به على الرجل، ولم يعترض على ما قلت، بل ظهر عليه أن اقتنع بكلامى، فشعرت بالسعادة من اقتناعه، ولكن كلامه كان يدل فى الوقت نفسه على أنه ما زال ينظر إلى المرأة باحتقار كما كان يفعل من قبل، وبدا لى أنه لا يقدر الفتاة التى هى بالنسبة لى مثل أعلى للنساء، وعندما أفكر الآن فى تلك الفترة أجد أننى كنت قد بدأت أشعر بغيرة شديدة على الفتاة منه.

تحدثت معه بخصوص الذهاب إلى أى مكان آخر فى الإجازة الصيفية كتغيير جو، فقال إنه لا يريد أن يذهب إلى أى مكان، وبالطبع من حقه أن يذهب إلى المكان الذى يرغب فيه، ولكن إذا دعوته وقبل دعوتى فلن يضيرنى شىء، وسألته عن السبب، فقال ليس هناك سبب معين، ولكنه يفضل أن يظل فى المنزل يقرأ، فقلت له من الأفضل لصحتك أن تذهب إلى مصيف وتقرأ ما تشاء من كتب فى جو غير حار، فقال لى: "اذهب وحدك"، ولم تكن عندى رغبة فى أن أتركه وحيدًا فى المنزل، فقد شعرت بالضيق أن العلاقة بينه وبين السيدة والفتاة أصبحت حميمية تدريجيًا، وربما تسألنى:

"لماذا شعرت بالضيق من ذلك؟ أليس هذا ما أردته منذ البداية؟"، وليس عندى ما أقوله غير أننى كنت أحمق، وعندما رأت السيدة أن المناقشات بيننا حول الذهاب إلى مصيف أم لا لم تصل إلى اتفاق، تدخلت هى وتوصلنا إلى اتفاق أن نذهب نحن الاثنين إلى منطقة "بوشو".

- ٢٨ -

لم يكن "كاف" من النوع الذى يحب السفر والرحلات، وبالنسبة لى كانت هذه أول مرة أذهب فيها إلى مصيف "بوشو"، ولذلك نزلنا فى أول مكان توقفت فيه السفينة على ساحل المنطقة، وكان اسم الشاطئ "هوطا"، ولا أعرف إلى أى مدى تغير الآن، ولكنه كان حينذاك شاطئًا لقرية قذرة لصيد الأسماك؛ فقد كنت أشم الرائحة الكريهة للأسماك فى كل مكان، وعندما كنت أنزل البحر للسباحة كانت الأمواج تضربنى بشدة فأنجرف وأسقط على أحجار فى حجم قبضة اليد واتقلب عليها فتتسلخ يداى ورجلاى، فكرهت المكان، ولم يظهر "كاف" رضاءه أو رفضه للمكان، على الأقل كان وجهه يبدو عاديًا، وربما ذلك لأنه فى كل مرة نزل فيها إلى البحر لم يُصَب بأذى، ولكنى أقنعته بعد مجهود أن نترك المكان ونذهب إلى شاطئ "طومى أورا"، ثم انتقلنا إلى شاطئ "نقو"، ومنه إلى ما بعد ذلك، كان معظم المصطافين من الطلاب، وكان من السهل علينا أن نجد مكانًا مناسبًا لنا للسباحة، وجلست مع "كاف" فوق صخور الشاطئ ننظر بعيدًا إلى الأفق فنشاهد البحر الواسع، وننظر

قريبًا إلى أسفل فنشاهد قاع البحر، وكان منظر ماء البحر الذى نشاهده من فوق الصخور رائع الجمال، وكانت الأسماك الصغيرة ذات اللون الأحمر والأزرق القاتم، التى لا نراها فى الأسواق، تسبح وسط الأمواج بألوانها الزاهية.

كنت أذهب معه إلى الشاطئ فأجلس على الصخور وأقرأ، وكان دائمًا يجلس صامتًا، ولم أكن أعرف ما إذا كان غارقًا فى التفكير أم يتأمل البحر أم يحلم بما يحب، وكنت أحيانًا أنظر إليه وأقول: "فيما تفكر؟"، فيقول: "لا شىء"، وأحيانًا كثيرة كنت أقول لنفسى لو كانت الفتاة هى من يجلس معى هنا وليس هو لكنت شعرت بالسعادة، وأحيانًا كنت أقول لنفسى ربما يفكر فى أن يكون مع الفتاة بدلاً منى، فأشعر بالضيق وأغلق الكتاب وأقف دون أن أشعر وأصيح بصوت عالٍ فى غضب، ولم أكن أصيح بشعر أو أغنية أو ما شابه، بل أصرخ مثل الإنسان الهمجى، وفى إحدى المرات أمسكت بقفا "كاف" وقلت له: "ماذا ستفعل إذا ألقيت بك فى البحر؟"، فلم يتحرك وقال: " فكرة جميلة، من فضلك افعل ذلك"، فتركته.

كان يبدو عليه أن حالته العصبية قد تحسنت، وعلى عكس ذلك فقد أصبحت أنا حساسًا تدرجيًا، وبدأت أشعر بالغيرة منه، لأنه أصبح أكثر هدوءًا واتزانًا منى، وفى الوقت نفسه كرهته؛ حيث إنه لم يكن يعيرنى أى اهتمام، فقلت لنفسى ربما يكون ذلك مظهرًا من مظاهر ثقته بنفسه، وعندما اقتنعت أن تجاهله لى مظهر من مظاهر ثقته بنفسه لم أشعر بالرضا، وزادت شكوكى نحوه أكثر،

فأردت أن أعرف حقيقة ما بداخله من أفكار ومشاعر، هل أصبح متفائلا بشأن دراسته ومستقبله بعد التخرج؟ فإن كان الأمر هكذا فلن يكون هناك ما يجعلنى أصطدم به، بل سأشعر بالسعادة أننى ساعدته وأن مساعدتى له أتت بثمارها، ولكن إذا كان هدوؤه هذا نتيجة تقاربه مع الفتاة، فلن أترك ذلك يمر مرور الكرام، ومن العجيب أنه لم يبدِ حتى الآن ما يشير إلى أنه لاحظ حبى للفتاة، وبالطبع فأنا لم أفعل أمامه ما يجعله ينتبه إلى ذلك، فلم يكن سريع البديهة يفهم هذه الأمور بسرعة، وقد أتيت به ليعيش معنا فى هذا البيت لأنى أعلم منذ البداية أنه ليس من النوع الذى يفكر فى هذه الأشياء.

- ٢٩ -

قررت أن أكشف له عن السر الذى كنت أخفيه فى قلبى، ولم تكن المرة الأولى التى أفكر فيها فى كشف ذلك السر له، قبل أن نسافر فى هذه الرحلة كنت قد قررت ذلك ولكنى لم أستطع إيجاد فرصة لمفاتحته فى ذلك، وعندما أفكر الآن فى شباب تلك الفترة أجدهم كانوا غريبى الأطوار، فلم يكن هناك أحد منهم يتكلم عن الفتيات، وكان أغلبهم ليس عندهم ما يتحدثون به عن الفتيات، وحتى إذا افترضنا أن عندهم ما يقولونه فكان من الطبيعى أن يصمتوا، وأكيد أنكم يا شباب هذه الأيام ترون أن ذلك كان شيئًا غريبًا، ولا أعرف إذا كانت تصرفاتنا هذه نابعة من فكر كنفوشيوس أم أنها نوع من الخجل، وسأترك لك الحكم على ذلك.

كانت علاقتى بـ"كاف" تسمح لى بأن أتحدث معه فى أى شىء، وكنا فى بعض الأحيان نتحدث فى موضوعات الحب، ولكن نتحدث بشكل عام ونظرى دون الحديث عن أشخاص معينين، وغالبًا كنا لا نتحدث إلا عن موضوعات لها علاقة بالكتب والعلم والعمل بعد التخرج وطموحاتنا والسمو بفكرنا وأخلاقنا، وعلى الرغم من أن صداقتنا زادت فإن تعاملنا كان رسميًا ولم تسقط تلك الرسميات قط، وقد فكرت مرات كثيرة أن أطلعه على سرى وحبى للفتاة، ترددت فى فعل ذلك وشعرت بالضيق من حيرتى هذه ولم أعرف ماذا أفعل، وشعرت برغبة فى فتح ثقب فى رأس "كاف" ليدخل منه شعاع نور إلى مخه، فيتغير ويعطينى فرصة لكى أفضى له بما فى نفسى ويفهمنى.

كان عدم وجود فرصة للكلام معه فى موضوع الفتاة مشكلة كبيرة بالنسبة لى، ومؤكد أنه من وجهة نظرك أن ذلك شىء يدعو للضحك، ولكنى كنت جبانًا فلم أستطع الحديث عن ذلك معه سواء فى المنزل أو فى المصيف، وبينما كنت أترقب طوال الوقت فرصة لذلك، لم أستطع أن أثنيه عن التعامل معى بطريقة رسمية، وكأن قلبه مطلى بمادة لاصقة سوداء وقوية تحجب وصول أى شىء إليه، وكلما حاولت إيصال مشاعرى إلى قلبه لا يقبلها قلبه وترتد لى مرة أخرى.

وعندما لاحظت أنه متجمد المشاعر تراجعت عن الشك فيه واطمأننت من ناحيته، وشعرت بالندم على شكى فيه، واعتذرت له فى قلبى عن ذلك، وشعرت بالضيق من نفسى، ولكن بعد مرور

وقت قليل، عدت للشك فيه مرة أخرى بقوة، وكان الشك هو السبب فى شعورى بتلك المشاعر السيئة، فشعرت أنه أكثر منى وسامة وقابلية بالنسبة للفتيات، وأنه لا يفكر فى الصغائر مثلى ولذلك فهو من النوع الذى تحبه الفتيات، وأن لا مبالاته تجعله يبدو فى عيون الفتيات إنسانًا ناضجًا وعاقلا مقارنة بى، أما بالنسبة للتخصص الدراسى فإن تخصصى يختلف عن تخصصه وأعرف أننى لست ندًا له، وأنه متفوق علىّ، وعندما أقارن بينى وبينه فى كل شىء، أشعر بالغيرة منه وأعود للشك فيه.

لاحظ "كاف" أننى متوتر، فقال لى هيا نعود إلى طوكيو، وكنت أفكر فى العودة، لكنه عندما قال ذلك رفضت ولم أرغب فى العودة، وقمنا بالدوران حول رأس منطقة "بوشو" حيث ذهبنا إلى الناحية الأخرى منها، وسرنا تحت أشعة شمس الصيف الحارقة، ولم أجد أى معنى لسيرنا فى هذه المنطقة، فقلت له ذلك بنوع من الدعابة، فقال لى نحن نسير لأن لنا أرجل، وعندما كانت الحرارة تشتد ولا نستطيع تحملها كنا نخلع ملابسنا ونقفز فى البحر، ثم نكمل السير فتلفحنا الشمس بأشعتها الحارقة، إلى أن شعرنا بالتعب والإعياء.

- ٣٠ -

وبالطبع فإن السير بهذه الطريقة وسط الحرارة يؤدى إلى التعب واختلال توازن الجسد، ولا يصل الأمر إلى الإصابة بالمرض ولكن تشعر وكأن روحك تسكن جسد شخص آخر،

وكنت كالعادة أتبادل الحديث مع "كاف" ولكن مشاعرى لم تكن هى فى الأوقات العادية، فكنت أشعر تجاهه بحب وكره وظهرت تلك المشاعر فقط فى رحلتنا إلى المصيف، أى أن صداقتنا دخلت مرحلة جديدة نتيجة ما تعرضنا له حتى الآن من حرارة جو ومد وجزر وسير مسافات طويلة، وأصبحت أنا وهو مثل تاجرين تقابلا صدفة على الطريق فسارا معًا، فتحدثنا كثيرًا ولكن لم نفتح قلوبنا.

سرنا بهذه الطريقة إلى أن وصلنا إلى منطقة "تشوشى"، وفى الطريق رأينا بميناء "قوميناطو" خليجًا به أسماك الشبوط، والناس هناك يقولون إن هذا المكان مكان ولادة الراهب العظيم "نتشى رين"، ويُقال إن وقت ولادته صعد على الشاطئ سمكتا شبوط، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن قرر الصيادين عدم صيد أسماك الشبوط، ولذلك فإن الخليج ملىء بهذه الأسماك، واستأجرنا قاربًا لنشاهد تلك الأسماك عن كثب فى الخليج.

وحينها كنت أرى الأمواج، وشاهدت بشوق شديد أسماك الشبوط الأرجوانية اللون وهى تسبح وسط الأمواج، ولكن "كاف" لم يكن مهتمًا بهذه المناظر، لم يكن يفكر فى أسماك الشبوط، بل كان يفكر فى الراهب العظيم، وكان فى تلك القرية معبد اسمه معبد الولادة، ومؤكد أنه سمى هكذا بمناسبة ولادة الراهب العظيم، وكان المبنى الرئيسى فى المعبد مبنى رائعًا. قال لى "كاف' هيا ندخل المعبد ونقابل راهبه الأكبر، وفى الحقيقة أننا كنا نرتدى ملابس غير لائقة لدخول المعبد، فقد أطارت الرياح قبعة "كاف" فاشترى قبعة من البوص، وكانت ملابسنا متسخة، فحاولت إثناءه

عن مقابلة الراهب ولكنه عنيد لم يستمع، وقال إذا كنت لا ترغب فى ذلك فلتنتظر خارج المعبد، ولما وجدته مصممًا على ذلك ذهبت معه إلى بوابة المعبد وقلت لنفسى سيرفض الراهب مقابلته، ولكن كان عكس ما توقعت فسمح لنا بالدخول إلى صالة كبيرة للضيوف، ثم جاء الراهب على الفور لمقابلتنا، وسأله "كاف" عن الراهب العظيم، ولأننى كنت أختلف معه فى الاهتمامات فلم أكن أستمع باهتمام إلى حديثهما، وما زلت أتذكر حتى الآن أنه عندما قال له الراهب إن الراهب العظيم كان خطه جميلا جدًا، تغيرت أسارير وجه "كاف" لأن خطه كان سيئًا، وأنه كان يريد أن يعرف أكثر عن الراهب العظيم، ولا أعرف ما إذا كان الراهب قد قال عن الراهب العظيم ما يجعل "كاف" يشعر بالرضا أم لا، ولكن عندما خرجنا من حديقة المعبد قال لى "كاف" الكثير عن الراهب العظيم، وكنت أشعر بالإرهاق وبحرارة الجو فلم أجد الوقت مناسبًا للحديث عن ذلك، فجاريته دون تعليق، وعندما تعبت من مجاراته توقفت عن الحديث وصمت.

وأتذكر أنه فى مساء اليوم التالى، وبعد أن تناولنا وجبة العشاء وكنا على وشك الخلود للنوم، حدثت بيننا فجأة مشادة كلامية، فقد شعر "كاف" بالضيق لأننى لم أبدِ اهتمامًا لما قاله عن الراهب العظيم، وقال إن أى إنسان لا يهتم بأن يسمو بنفسه روحانيًا إنسان غبى، وهاجمنى معتبرًا أننى إنسان حقير، وكنت مشغولا حينذاك بالتفكير فى شكوكى ناحيته بالنسبة للفتاة، فلم أتحمل أن أسمعه يحتقرنى وأصمت وأبتسم، فدافعت عن تصرفاتى.

عندما كنت أتحدث مع "كاف" أكثرت من قول كلمة "بشر" لكى أدافع عن نفسى وأهاجمه، فقال لى إننى أقول هذه الكلمة لكى أخفى عيوبى، وعندما فكرت فى كلامه بعد ذلك وجدته صحيحًا، ولكن لم تكن عندى سعة صدر كافية لكى أعترف له بأننى أخطات وأحاول إقناعه بأنه ليس سيئًا كما قلت، بل استمررت فى تأكيد ما قلته عنه، وحينئذٍ قال لى فجأة: "هل تريد أن تقول إننى أتصرف وكأننى لست بشرًا؟"، فقلت: "أنت بشر، وربما تكون فى بعض تصرفاتك أقل من البشر، ولكن كلامك فقط هو الذى ليس ككلام البشر، وإنك تتصرف بطريقة تحاول بها أن تبدو وكأنك لست بشرًا".

وعندما قلت له ذلك قال إنه لم يتعلم ما يكفى ليجعله يكسب احترام الآخرين، ولم يعترض على كلامى أكثر من ذلك وصمت، وانتهى الحديث بيننا بذلك ولكنى شعرت بالندم على ما قلت، وأنهيت الكلام معه بذلك وشعرت بأننى أهدأ تدريجيًا، ثم قال لى بحزن: "إذا كنت تعرف عظماء العصور الماضية كما أعرفهم أنا لما هاجمتى هكذا"، وبالنسبة له فإن عظماء العصور الماضية ليسوا الأبطال الذين نعرفهم، ولكنهم الذين يعاقبون الجسد من أجل السمو بالروح، ومن يضربون أجسادهم بالسياط من أجل الوصول إلى سمو الروح، من يعذبون أنفسهم ويتعذبون ويتحملون الآلام ويواجهون الصعوبات، ثم قال: "إننى أشعر بالحزن الشديد لأنك لا تشعر بأننى أعانى وأتألم وأتحمل من أجل أن أسمو بروحى".

خلدنا إلى النوم، وفى اليوم التالى رجعنا كما كنا مثل تاجرين تقابلا صدفة وسارا فى نفس الطريق، وكنت أتذكر بين حين وآخر شجارنا، وأشعر بالضيق أننى قلت كلامًا ما كان لى أن أقوله، فبدلاً من أن أصفه أنه ليس بشرًا، كنت اقتنصت الفرصة وفتحت له قلبى وتحدثت بصراحة عن السبب الذى شغلنى عن الاهتمام بحديثه عن عظماء العصور السابقة، كنت قلت له السبب الحقيقى وهو أننى مولع بالفتاة، كان من الأفضل لى أن أقول له الحقيقة كما هى أمامه، ولكنى أعترف لك هنا أن السبب الذى منعنى من فتح موضوع الفتاة معه أنه لم تكن عندى الشجاعة الكافية لذلك؛ فالصداقة القائمة بيننا مبنية على أساس علاقة الزمالة الدراسية، وبالتالى فإن الموضوعات التى تجذبنا للحديث عنها تكون موضوعات دراسية وعلمية، وسواء كان سبب عدم الشجاعة فى فتح موضوع كهذا معه يرجع إلى أننى كنت حساسًا أكثر من العادى أو أننى كنت مغرورًا، وإن كنت أقصد هنا بالحساسية أو الغرور معانى غير المعانى المتعارف عليها، لكن على كل لن أشعر بالضيق إذا قلت إن السبب فى ذلك يرجع إلى الغرور أو إلى الحساسية.

وصلنا إلى طوكيو بعد أن سودت أشعة الشمس جلودنا، وتغير مزاجى بعد أن رجعت إلى طوكيو فعاد إلى طبيعته، ولم أعد أفكر فى موضوع "كاف" ولم أرَ أنه مثل الرهبان، وأكيد أنه أيضًا لم يعد يفكر فى موضوعات الجسد والروح، ووقفنا نشاهد طوكيو مثل أناس جاءوا أول مرة من منطقة نائية، ثم ذهبنا إلى منطقة "ريو كوكو"، ورغم حرارة الجو فإننا تناولنا وجبة دسمة، ثم قال "كاف"

هيا نذهب إلى "كوشى كاوا" سيرًا على الأقدام، ولأننى أقوى منه بدنيًا فقد وافقته.

وعندما وصلنا إلى المنزل ورأتنا السيدة اندهشت، فلم تتغير جلودنا إلى اللون الأسود فحسب، ولكن فقد كل منا كمية كبيرة من وزنه لأننا مشينا مسافات طويلة، وقالت إنه على الرغم من أننا فقدنا كمية كبيرة من وزننا فإننا بصحة جيدة، ولكن الفتاة ضحكت وقالت إن هناك تضاربًا فى دهشة أمها من مظهرنا وقولها إننا بصحة جيدة، وحينئذ شعرت بالسعادة، ونسيت أننى كنت أشعر بالغضب منها قبل السفر إلى المصيف، فأنا لم أرها لمدة طويلة فقد اشتقت إليها.

- ٣٢ -

لاحظت أن تصرفات الفتاة اختلفت عن السابق؛ فبعد أن عدنا من المصيف الذى قضينا فيه فترة طويلة، كانت مساعدة السيدة وابنتها لنا فى كل شىء مهمة، وقامت الفتاة بتلبية جميع طلباتى قبل "كاف"، وفعلت ذلك بطريقة غير لافتة مما جعلنى أشعر بالسعادة، أى أنها اهتمت بأن تعاملنى بطريقة أكثر رقة من تعاملها معه، وفى الوقت نفسه لا يفطن إلى مغزى طريقتها هذه غيرى، ولذلك لم يشعر "كاف" بالضيق، بل شعر أن كل شىء عادى، فشعرت أننى فزت عليه، وأن قلبى يعزف أغنية النصر.

ومر الصيف وجاء منتصف شهر سبتمبر حيث بدأت الدراسة مرة أخرى، ووجب علينا الذهاب إلى الجامعة، وكانت مواعيد محاضرات "كاف" تختلف عن مواعيد محاضراتى وبالتالى كانت

مواعيد خروجنا من المنزل والرجوع إليه تختلف، وكنت أعود بعده إلى المنزل ثلاث مرات أسبوعيًا، وفى كل مرة أعود فيها لم أكن أرى الفتاة فى حجرته، وكان كالعادة يقول لى فى كل مرة: "هل عدت الآن؟"، وكنت أرد عليه كل مرة بنفس الكلمات القليلة التى ليس لها أى معنى.

وعلى ما أتذكر أنه حدث فى منتصف شهر أكتوبر أن استيقظت متأخرًا عن موعدى، ولم يكن هناك وقت لارتداء الزى الجامعى، فخرجت بملابسى العادية مسرعًا، ولم يكن عندى وقت لارتداء حذاء برباط أو حذاء طويل الرقبة، فارتديت شبشبًا وأسرعت إلى الجامعة، وكان "كاف" عنده محاضرات لوقت متأخر عنى وبالتالى كان من المفروض أن أعود قبله إلى المنزل، وعدت وفتحت الباب وأنا أعتقد أننى عدت قبله، ولكنى سمعت صوته، وسمعت صوت ضحكات الفتاة، ولم أكن أرتدى الحذاء الطويل الذى يحتاج إلى وقت لكى أخلعه، فدخلت بسرعة وفتحت باب حجرته، فوجدته يجلس كالعادة إلى مكتبه، ولكن الفتاة لم تكن معه، ولقد لمحت الفتاة من ظهرها وهى تهرب بسرعة خارجة من حجرته، فقلت له: "لماذا عدت قبلى؟"، فقال إنه كان يشعر بتعب فلم يذهب إلى الجامعة، فدخلت حجرتى وجلست، فجاءت الفتاة فى الحال حاملة الشاى، وجلست ووضعته وقالت لى: "أهلاً بعودتك"، وبالطبع أنا لست من الرجال الذين سيحاكمونها ويسألونها وهم يضحكون: "لماذا هربت منذ قليل؟"، ولكنى كإنسان شعرت داخل قلبى أن هناك شيئًا مريبًا، ثم قامت الفتاة بعد أن

وضعت الشاى واتجهت إلى الشرفة، ووقفت مع "كاف" أمام حجرته فتحدثت معه بضع كلمات، كانت تكملة لحديثهما السابق، ولكنى لم أفهم ما قالاه لأنى لم أسمع حديثهما منذ بدايته.

بعد ذلك بقليل أصبحت تصرفات الفتاة عادية، وحتى عندما أكون فى المنزل، تأتى الفتاة إلى الشرفة وتنادى عليه، ثم تدخل إلى حجرته ويقضيان وقتًا طويلاً، وبالطبع كانت أحيانًا تحضر له الخطابات التى تأتى إليه، وتحضر له غسيله، وكانت هذه أشياء عادية لشخصين يسكنان فى نفس المكان، ولكن بالنسبة لى فقد كنت أريد من الفتاة أن تتفرغ لى وحدى، ولذلك أرى ما تفعله له غير عادى، وفى بعض الأحيان كنت أشعر أنها كانت تتجنب الحضور إلى حجرتى، وتذهب فقط إلى حجرته، وقد تسألنى إذا كان الوضع كذلك إذن لماذا لم تطرده من المنزل؟ ولكننى لا أستطيع فعل ذلك، فأنا الذى أجبرته على الحضور، وبالتالى ليس عندى سبب مقنع لطرده.

- ٣٣ -

وفى أحد أيام نوفمبر الباردة والممطرة، كنت أرتدى معطفًا وقد ابتل من مياه الأمطار، وكالعادة مررت من فناء معبد "كونياكو إنما"، وسرت فى ممر صاعد، فوصلت إلى المنزل، ولم يكن أحد فى حجرة "كاف"، وكانت النار فى مدفأة حجرته مشتعلة والحجرة دافئة، وفتحت باب حجرتى بسرعة ودخلت لكى أضع يدىَ فوق نار المدفأة، لكى أشعر بالدفء، ولكن كان فحم المدفأة قد احترق

وأصبح أبيض وباردًا ولا تصعد منه نار ولا حرارة، فشعرت بالضيق.

سمعت السيدة صوت أقدامى عند عودتى فجاءت ونظرت إلى وأنا أقف صامتًا فى منتصف الحجرة مرتديًا المعطف وأشعر بالبرد، فتعاطفت معى وساعدتنى فى خلع المعطف وارتداء ملابس المنزل، وقلت لها إن الجو بارد، فذهبت إلى حجرة "كاف" وأحضرت الموقد، وسألتها هل عاد "كاف"؟، فقالت إنه عاد ثم خرج مرة أخرى، وكانت محاضراته تنتهى بعد محاضراتى فى ذلك اليوم، وبالتالى كان من المفترض أن يعود بعدى، فتعجبت وسألت نفسى ما الذى جعله يعود قبلى؟! وقالت السيدة ربما حدث شىء مهم جعله يخرج.

جلست فى الحجرة وبدأت فى قراءة كتاب، وكان المنزل هادئًا جدًا وليس هناك صوت لأى شخص، وشعرت أن برد بداية الشتاء ينخر فى بدنى والوحدة تنخر فى نفسى، فتركت الكتاب ووقفت، وخطر لى أن أذهب إلى مكان فيه ناس، وكانت الأمطار قد توقفت، ولكن السماء بدت ثقيلة وباردة مثل لوح من الرصاص، ومن باب الاحتياط أخذت معى المظلة، وسرت على الضفة التى تقع خلف مستودع أسلحة الجيش، ثم نزلت عن المنحدر إلى الناحية الشمالية، ولم يكن الطريق ممهدًا كما هو الآن، فكان المنحدر مائلا بشدة، وكان طريق المشاة ضيقًا ومتعرجًا، وكانت فى الناحية الجنوبية من الوادى أسفل المنحدر مبانٍ كثيرة ومتراصة مما يؤدى إلى تجمع مياه الأمطار التى تتحول إلى طين، وبخاصة فى المنطقة الواقعة بعد الجسر الحجرى

الضيق وشارع "ياناجى تشو"، ولم يكن من الممكن السير بطريقة عادية دون الحذر من الطين، حتى لو كنت ترتدى حذاء طويل الرقبة أو عاليًا، وكان فى منتصف الطريق ممر ضيق وعلى جانبيه طين كثير، ويجب أن تكون فى منتهى الحذر وأنت تسير فى هذا الممر حتى لا تنزلق قدماك فى الطين، وكان عرض الممر نحو خمسين سنتيمترًا، وكان المارة يعبرون هذا الممر وهم يسيرون خلف بعضهم فى صف واحد، وقابلت بالصدفة "كاف" فى هذا الممر، ولأننى كنت مشغولا بتحسس طريقى حتى لا أسقط فى الطين، فلم أرَه من بعيد، بل رأيته عندما كان أمامى مباشرة، ووجدت من يقف أمامى فلا أستطيع الاستمرار فى السير فرفعت رأسى لأعلى فوجدت أنه هو من يقف فى مواجهتى ويكون حائلا بين أن أستمر فى سيرى، فسألته: "أين كنت؟"، فقال: "بالقرب من هنا"، وكانت إجابته كالعادة مختصرة وغير واضحة، فتبادلنا أماكننا فوق الممر وسار كل منا فى اتجاهه، ورأيت فتاة شابة خلفه، ولم أستطع تمييزها لقصر نظرى، وبعد أن مر "كاف" ونظرت جيدًا فى وجهها فوجئت بأنها الفتاة، فحيتنى بوجه احمرَّ خجلاً، ولم تكن الفتيات فى تلك الفترة يسدلن الشعر على الجبهة مثل الآن، بل كنَّ يلففن الشعر على شكل ثعبان فى منتصف الرأس ثم يعقدنه، ورأيت رأسها دون انتباه إلى شخصيتها، ولأن الممر ضيق لا يسمح بمرور شخصين فى اتجاهين مختلفين فكان يجب علىَ أن أترك لها المكان لتسير أو تنتظر هى وأسير أنا، فقررت أن أطأ الطين وأترك لها المكان لتمر.

وعندما وصلت إلى شارع "ياناجى تشو"، لم أعرف أين أذهب، فكنت أشعر بالضيق ولا أعرف إلى أين أذهب، فسرت وأنا أشعر بالغضب ولم ألقِ بالاً لتطاير الماء والطين، ثم عدت مسرعًا إلى المنزل.

- ٣٤ -

سألت "كاف" إذا كان قد خرج مع الفتاة من المنزل أم لا، فقال إنه لم يفعل بل قابلها بالصدفة فى شارع "ماصاجو تشو" فعادا معا، وبالطبع لم يكن من حقى أن أوجه له أسئلة أكثر من ذلك، وعند تناول وجبة العشاء سألت الفتاة السؤال نفسه، فضحكت ضحكتها التى أكرهها، وقالت لى خمن إلى أين ذهبت، وكنت لا أزال أشعر بالضيق، وعندما قالت لى ذلك شعرت بالغضب من أن فتاة صغيرة مثلها تعاملنى بهذه الطريقة، ومن بين الموجودين على مائدة العشاء، كانت السيدة هى الوحيدة التى انتبهت إلى تصرفاتها معى، وكان "كاف" يتصرف بطريقة عادية وكأن شيئًا لم يحدث، ولا أستطيع أن أحدد ما إذا كانت الفتاة تتعمد إغاظتى، أم أنها تتصرف بفطرتها، وكانت الفتاة مقارنة بمثيلاتها من الفتيات حريصة فى تصرفاتها، ولكنها مثل بقية الشابات تضحك بطريقة تثير الضيق، ولم أكن أكره ضحكتها هذه إلا بعد أن جاء "كاف" ليسكن معنا، واحترت فى كراهيتى لضحكتها، هل بسبب الغيرة منه، أم بسبب شعورى أنها تفعل ذلك متعمدة إغاظتى؟ وإلى الآن لا أستطيع أن أنسى شعور الغيرة الذى سيطر علىّ حينذاك، وكما قلت لك عدة

مرات إننى كنت أدرك أننى أغير على الفتاة لأننى أحبها، ومن وجهة نظر الآخرين كنت أبدو أغير عليها لأسباب تافهة، وإن كان هذا موضوعًا آخر ولكن أليست الغيرة مرتبطة بالحب؟ وقد لاحظت أن الشعور بالغيرة بدأ يقل تدريجيًا منذ زواجى، كما أن الحب لم يعد مشتعلا فى قلبى كما كان فى البداية.

فكرت فى أن أبوح بالسر الذى كنت أحتفظ به لنفسى بين أضلعى إلى الطرف الآخر، ولا أقصد بالطرف الآخر الفتاة، بل أقصد السيدة، فقد فكرت أن أطلب بصراحة ووضوح يد الفتاة من أمها، ورغم أننى قررت أن أفعل ذلك، فإنى كنت أقوم بتأجيل ذلك يومًا بعد يوم، وأكيد أنك تقول عنى إننى رجل ضعيف ومتردد، ولن أشعر بالضيق منك أن تعتقد ذلك، ولكن كان تأخرى فى طلب يدها لا يرجع إلى عدم وجود نية كافية لذلك، بل يرجع إلى أنه قبل مجيء "كاف" للعيش معنا كنت أضغط على نفسى ألا أطلب يدها لأنى كنت أريد أن أكون حرًا أفعل ما أريد وأرفض أن أتحمل مسؤولية شخص آخر، ولكن بعد مجيئه كانت فكرة أن الفتاة ربما تحبه تضغط علىّ باستمرار، فإذا كانت الفتاة تميل إليه أكثر منى فليست هناك فائدة من البوح لها بحبى، ولم يكن الشعور بالحرج أنها تحبه أكثر منى هو السبب فى عدم بوحى بحبى لها، فمهما كنت أحبها فلن أقبل أن أتزوجها وأعيش معها وهى تحب شخصًا آخر، وكنت أرى وقتذاك أنه يوجد فى هذه الدنيا من يتزوج فتاة دون معرفة رأيها بالموافقة أو الرفض، ومثل هؤلاء الرجال منبوذون وعديمو الإحساس لأنهم لا يفهمون ما الحب، ويعتقدون أنه

بمجرد أن يتزوجوا ستنتهى المشكلات وتهدأ الأمور وتسير الحياة بطريقة طبيعية، بمعنى أننى كنت أعتقد أن الحب نظريًا يسمو فوق كل الأشياء، ولكنه واقعيًا شىء ملتوٍ.

ولاحت لى فرص عديدة لكى أبوح بما فى قلبى للفتاة فى أثناء إقامتى الطويلة فى المنزل، ولكنى تجنبت ذلك، والسبب أنه ليس من العادات اليابانية أن يفعل الرجل هذا، وكان تمسكى بعاداتنا قويًا فى تلك الفترة، ولكنى لا أستطيع أن أقول إن عاداتنا فقط هى التى منعتنى من البوح للفتاة بمكنون قلبى، ولكن ما كان يخيفنى أنه إذا اعترف رجل يابانى لفتاة يابانية بأنه يحبها، وهى لم تكن تحبه، فلن تواتيها الشجاعة لتقول له بصراحة إنها لا تحبه، فإذا اعترفتُ للفتاة بحبى لها وكانت تفضل "كاف" علىّ فلن تصارحنى بذلك.

- ٣٥ -

لذلك لم أستطع أن أتخذ خطوة إيجابية فى هذا الصدد، بل وقفت ساكنًا، وشعرت بأننى مثل مريض يغفو ولكنه يرى بعينيه فقط ما يدور حوله بوضوح، ولا يستطيع أن يتحرك لفعل شىء.

وانتهى ذلك العام وجاء بعد نهايته الربيع، وفى أحد أيام الربيع، قالت السيدة لـ"كاف":

- "سنلعب لعبة الورق، ونحتاج لمن يلعب معنا، أحضر بعض أصدقائك ليشاركونا اللعب".

قال لها إنه ليس له أى أصدقاء، فاندهشت السيدة، وفى الواقع أنه له بعض المعارف الذين يتبادل معهم التحية، ولكن

علاقته بهم لا تصل حد الصداقة التى تجعله يتجرأ ويطلب منهم الحضور إلى المنزل للعب الورق، وحينئذٍ توجهت السيدة بالكلام لى وقالت:

- "إذن فلتحضر أنت بعضًا من أصدقائك".

ولكنى لم أكن فى مزاج يسمح لى بالتفكير فى لعب الورق، فتجنبت أن أرد عليها ردًا واضحًا، وفى تلك الليلة أخرجتنا الفتاة بإلحاح من حجرتينا، وأصرت على أن نلعب نحن الموجودين فى المنزل لعبة الورق، وبما أن العدد كان قليلا، فكان جو اللعب هادئًا جدًا، بالإضافة إلى أن "كاف" لم يكن معتادًا على اللعب، فجلس لا يتحرك مثل من يضع يديه فى جيبيه، فسألته هل تعرف أغنية "المائة مغنٍ"؟ فقال: "لا أعرفها جيدًا"، ويبدو أن الفتاة اعتبرت سؤالى كان بهدف الإهانة والاحتقار، ولذلك وقفت بجانبه تسانده بطريقة واضحة، ثم اتحدا وأصبحا جبهة واحدة ضدى فى اللعب، وربما أكون أنا من بدأ التحدى مع "كاف" بما قلته فجعلت الفتاة تتعاطف معه وتقف معه ضدى، ولكن لحسن الحظ أنه لم يقابل التحدى بتحدٍ رغم أن الفتاة وقفت بجانبه، وعندما وجدته هكذا أصبح من السهل علىّ أن أنهى اللعب بطريقة سلمية.

وحدث بعد ذلك بعدة أيام أن خرجت السيدة وابنتها وقالتا إنهما سيذهبان لزيارة أقارب لهما فى منطقة "إتشى جايا"، وكانت الإجازة الدراسية ما زالت مستمرة حينذاك، فبقيت أنا و"كاف" فى المنزل نحرسه، ولم تكن عندى رغبة فى القراءة أو الخروج فى نزهة، فجلست أمام الموقد واضعًا رأسى فوق يدى أفكر، وكان فى

حجرته المجاورة لحجرتى ولم أسمع له صوتًا، وكان المنزل هادئًا وكأننا غير موجودين، ولم يكن غريبًا أن نوجد معًا فى المنزل ولا يشعر أحد بوجودنا وأن يتجاهل كل منا الآخر، ولا يحاول التحدث معه.

وفى نحو الساعة العاشرة، فتح باب حجرتى فجأة، ونظر فى وجهى وقال وهو يقف على باب الحجرة وقال:

- "تفكر فى ماذا؟".

وفى الواقع كنت شارد الذهن، ولكن لو تكلمت بصدق فسأقول له إننى كنت أفكر فى الفتاة وبالطبع فى السيدة وفيه أيضًا، فقد أصبح يسبب لى صداعًا فى عقلى وأنه سبب تعقد الأمور بالنسبة لى، وأنه حاجز بينى وبين الفتاة، ولكنى نظرت إليه بطريقة عادية ولم أنطق، ودخل الحجرة واتجه ناحيتى وجلس أمام الموقد، فنزعت يدى عن حافة الموقد وقربتهما منه.

بدأ الحديث فى موضوعات لا تتفق مع طبيعته، فسألنى:

- "تُرى أين ذهبت السيدة وابنتها فى منطقة إتشى جايا؟".

- "غالبًا إلى خالة الفتاة".

- "ومن تكون خالتها؟".

- "لقد قالت لى الفتاة سابقًا إنها زوجة رجل عسكرى".

- "ولكن لماذا ذهبتا مبكرًا هكذا، رغم أن زيارة رأس العام تبدأ بعد منتصف شهر يناير؟".

- "إذا لم يكن هدف الزيارة تواصل الود، فكيف لى أن أعرف ذلك؟!".

لم يتوقف عن الحديث عن السيدة وابنتها، وعندما وجدته يسأل أسئلة كثيرة ولا أستطيع الإجابة قررت أن أستمع فقط إلى ما يقول، ولم أشعر بالضيق من أسئلته ولكنى شعرت بالدهشة، فعندما كنت أُحدثه سابقًا عنهما كان لا يهتم ولا يتجاوب معى، وعندما كثرت أسئلته عنهما قلت له: "ولماذا اليوم بالتحديد تتحدث وتسأل كثيرًا عنهما؟"، فسكت، وهو فى الأصل قليل الكلام، ودائمًا قبل أن يتكلم يتلجلج، ولم يكن فمه ينفتح بسهولة وكأنه لا يستطيع التحكم فى لسانه كما يريد، وكان هذا يعطى انطباعًا بأن كلماته ثقيلة على أذن السامع، ولكن عندما ينطلق فى الكلام يتحدث بقوة ضعف قوة الشخص العادى.

وعندما نظرت قليلاً إلى فمه عرفت ماذا سيقول، ولم أكن مهيأ ولا مستعدًا لسماع ما قاله فاندهشت، تخيل أنت ما حدث لى عندما صرح لى بلسانه المتلعثم بحبه الدفين فى قلبه للفتاة، فشعرت وكأنه يمسك عصًا سحرية وأشار إلى بها فتحولت إلى حجر لا يتحرك، صُعِقت مما قال لدرجة أننى لم أستطع أن أفتح فمى وأقول أى شىء.

ولا أعرف بدقة ماذا أحسست وقتها، ربما أحسست برعب شديد، أو ضيق شديد، على كل حال شعرت أن الموقف شديد علىّ، وأننى تجمدت من شعر رأسى إلى أخمص قدمى كالحجر أو قطعة من الحديد، أننى لا أستطيع التنفس، ولحسن حظى أن حالتى تلك لم تستمر طويلاً، فقد رجعت فى الحال إلى طبيعتى، ثم شعرت على الفور أنه هزمنى وسبقنى إليها.

لم أعرف ماذا أفعل حيال ذلك، ولم أستطع أن أفكر فى فعل شىء، ووقفت لا أتحرك وشعرت أن عرقًا مقززًا يسيل من تحت إبطى ويبلل القميص، وظل مستمرًا فى الحديث عن مكنون قلبه تجاه الفتاة بفم متلجلج، فشعرت بضيق لدرجة عدم تحمل سماع حديثه، وبالطبع كانت تعبيرات وجهى تدل بوضوح على الضيق، ومن المفترض أنه كان سيلاحظ ذلك ولكنه ظل يركز فى حديثه عن مشاعره تجاه الفتاة، ولم يكن عنده وقت للانتباه إلى ملامح وجهى، وظل من بداية حديثه إلى نهايته يتحدث بنفس الطريقة عن حبه لها، وبدلاً من أن أشعر بالضيق من حديثه هذا، ولا أعرف كيف أرد، وشعرت بالارتباك الشديد، فنصفى ينصت إلى كلامه والنصف الآخر يقول لى ماذا أفعل، وبالنسبة لتفصيلات ما قاله، لم أنتبه إلى سماعها جيدًا، ولكن أسلوبه فى الكلام ترك انطباعًا قويًا فى قليبى، وأدى إلى أن أشعر ليس فقط بالمرارة والألم والحسرة ولكن بالرعب الشديد.

وبعد أن انتهى من كلامه، لم أستطع أن أقول شيئًا، ولم يكن صمتى هذا بسبب أنى أفكر أنه من المفيد لى أن أقول له أنا أيضًا أحب الفتاة، أو من الأفضل ألا أبوح له بذلك، بل كان صمتى بسبب أننى لم أستطع قول أى شىء، ولم يكن عندى كذلك ما أقوله.

وعند تناول وجبة الغداء جلست أنا وهو إلى نفس المائدة متقابلين، وأحضرت الخادمة الطعام وكان على غير العادة، كان سيئ المذاق، ولم يكن هناك حديث بينى وبينه فى أثناء تناول الطعام، ولم نكن نعرف متى ستعود السيدة وابنتها.

بعد تناول الغداء رجع كل منا إلى حجرته وظل بها، وكان "كاف" هادئًا كما كان فى الصباح، وظللت أنا غارقًا فى التفكير فيما سمعته منه.

من الطبيعى أن أكون فكرت فى أن أبوح له بما فى قلبى تجاه الفتاة، ولكنى شعرت أن الوقت قد تأخر، وأننى أخطأت عندما لم أقاطع كلامه وأُبادر بالهجوم وأقول له إننى أحبها من قبله، أو على الأقل بعد أن انتهى من اعترافه بحبها أن أعترف أنا أيضًا بحبى لها، وسيكون غريبًا أن أُخبره الآن بحبى لها بعد أن أخبرنى بحبه لها ومر وقت وانقضى الأمر، ولم أعرف كيف أنتصر عليه فى هذا الموقف غير الطبيعى، وشعرت أن رأسى يدور من فرط الجزع من خطأى.

تمنيت أن يأتى إلى حجرتى، لقد فاجأنى بكلامه هذا ولم أكن مهيأ نفسيًا لسماع ذلك، فلو جاء إلى حجرتى فسأُفاجئه كما فاجأنى، وأعددت نفسى لعمل ما كان يجب عمله فى الصباح، وكنت أنظر من حين إلى آخر إلى الباب انتظارًا لحضوره، ولكن الباب لم ينفتح، ولم يحضر، بل ظل فى حجرته هادئًا لا يصدر صوتًا.

ومع مرور الوقت شعرت بالارتباك الشديد بسبب جلوسه فى حجرته هادئًا، وأصبحت عصبيًا ولا أستطيع الاستمرار فى التفكير وأسأل نفسى: "فيم يفكر وهو جالس هادئًا فى حجرته؟"، وفى الأحوال العادية عندما يكون هادئًا فى حجرته وأنا فى الحجرة

المجاورة ولا يفصل بيننا إلا حائط واحد أنساه وأنشغل بحالى، ولكنى الآن فى ظرف غير عادى وهدوؤه يجعلنى كالمجنون، ولكنى لم تكن عندى الشجاعة الكافية للذهاب إليه وقول ما كان يجب قوله، ولم يكن أمامى إلا انتظار مجيئه فأفاجئه بمكنون قلبى.

وعندما طال انتظارى شعرت بالملل ولم أعد أستطيع الانتظار أكثر من هذا، وأننى إذا ضغطت على نفسى وظللت أنتظره، فلن أتحمل الانتظار وسأهجم على حجرته، أدخلها عنوة وأنفجر بما فى نفسى، ولكى لا أفعل خرجت إلى الشرفة، ثم ذهبت من الشرفة إلى حجرة المعيشة، ولم يكن لى هدف أسعى إليه، بل وضعت ماء ساخنًا من الغلاية فى كوب وشربت شربة ماء، ثم ذهبت إلى مدخل المنزل، وتعمدت تجنب المرور بحجرته، ولقد اكتشفت هذا الطريق الذى لا يمر بحجرته حتى أتجنب ذلك، وبالطبع لم يكن لى هدف من الخروج من المنزل، بل خرجت لأنى لا أستطيع الجلوس فى الحجرة ساكنًا أنتظر قدومه، وسرت فى الشوارع المزينة بزينة رأس العام، دون وجهة معينة، ولم أكن أسير بهدف نسيان "كاف"، بل كنت أسير بهدف التفكير جيدًا فيما سأفعل معه.

كان "كاف" بالنسبة لى إنسانًا يصعب فهمه، وسألت نفسى: "لماذا قال لى ذلك فجأة؟، ولماذا انتظر إلى أن يصبح حبه لها قويًا لدرجة عدم تحمل كتمانه فى قلبه؟، ولماذا تغير هكذا ولم يعد (كاف) الذى كنت أعرفه؟"، وكان من الصعب علىّ أن أجد إجابات لكل تلك الأسئلة، أعرف أنه إنسان عنيد وجاد، وقلت لنفسى: "قبل

أن أُقرر ماذا أفعل تجاهه، يجب أن أعرف كثيرًا عنه"، ولكنى كنت أشعر بالضيق الشديد أن يكون بالنسبة لى من الآن فصاعدًا غريمًا، وسرت فى الشوارع دون تركيز، أتصوره وهو يجلس فى حجرتى ويعترف بحبه للفتاة، وسرت طويلاً لكى أجد حلا لمشكلتى، ولكنى سمعت هاتفًا ما يقول لى: "لن تستطيع إزاحته من طريقك أبدًا"، وبدأت أعتقد أنه عفريت، وأنه سوف يسبب لى المتاعب ولن يتركنى وشأنى أبدًا.

وعندما تعبت رجعت إلى المنزل، فوجدت حجرته هادئة كما كانت قبل أن أخرج وكأنه ليس فيها.

وبمجرد أن دخلت المنزل سمعت صوت عربة تجر باليد، وكانت إطارات العربات وقتها ليست مصنوعة من المطاط، ولذلك كانت تصدر ضوضاء يمكن سماعها من بعيد وتثير الضيق، ثم وقفت العربة أمام المنزل.

دعينا لتناول العشاء بعد ذلك بنصف الساعة، وفى أثناء مرورى أمام حجرة الفتاة شاهدت الملابس الخارجية للسيدة والفتاة ذات الألوان الزاهية ملقاة على الأرض بطريقة فوضوية، وقالتا إنهما عادتا بسرعة لإعداد وجبة العشاء لنا، ولكن الكلمات الرقيقة للسيدة التى قالتها على العشاء لم يكن لها أى تأثير علىّ ولا على "كاف"، فقد قمت بإلقاء التحية عليهما بطريقة باردة، وكان هو أقل كلامًا منى، وكان يبدو على السيدة وابنتها أنهما فى حالة مزاجية رائعة بعد أن خرجتا معًا، مما جعل تصرفات "كاف" وتصرفاتى واضحة بشدة، وسألتنى السيدة: "هل حدث مكروه ما؟"، فقلت:

"أشعر أننى لست على ما يرام"، وفجأة سألت الفتاة "كاف" السؤال نفسه، ولكنه لم يجب إجابة مثل إجابتى، بل قال: "لا أريد الكلام"، فقالت الفتاة: "لماذا؟"، فنظرت بتركيز إلى وجهه، وكنت شغوفًا بمعرفة ما سيقوله للفتاة، ولكنه تلجلج كالعادة، فقالت الفتاة وهى تضحك: "هل تفكر كالعادة فى موضوعات صعبة؟"، فاحمر وجهه خجلا.

وفى تلك الليلة خلدت إلى الفراش مبكرًا عن كل يوم، ولأننى قلت فى أثناء العشاء إننى لست على ما يرام، جاءت السيدة الساعة العاشرة تقريبًا تحمل حساء الحنطة السوداء، ولكن حجرتى كانت حينذاك مظلمة تمامًا، ففتحت الباب وهى تقول: "ما هذا؟! المكان مظلم"، فدخل قليل من ضوء مصباح حجرة "كاف" الموجود على مكتبه، وكان لا يزال مستيقظًا، فجلست بجانب وسادتى وقالت: "لقد أصابتك نزلة برد، فاشرب هذا الحساء الدافئ"، ووضعت إناء الحساء بجانب وجهى، فوجدت أنه ليس من اللائق عدم قبوله، فشربته أمامها.

ودخلت الفراش مرة أخرى وظللت أفكر إلى وقت متأخر من الليل فى أمر "كاف" والفتاة من النواحى المختلفة وأحاول إيجاد حل، ولكنى لم أصل إلى حل، وفجأة تذكرت أنه موجود فى الحجرة المجاورة، فقلت لنفسى: "ماذا يفعل الآن؟"، فقلت له دون أن أعى :"أنت"، فقال: "ماذا؟"، فقلت لنفسى إنه ما زال مستيقظًا، فقلت له: "هل ستظل مستيقظًا طويلاً؟"، فقال باختصار: "سأنام حالاً"، فسألته: "ماذا تفعل؟"، فلم يجب، وبعد ذلك بعدة دقائق

سمعته يفتح الدولاب ويخرج الفراش ويضعه على الأرض، فسألته: "كم الساعة الآن؟"، فقال: "الواحدة وخمس وعشرون دقيقة"، ثم سمعته يطفئ المصباح، وأصبح المنزل كله مظلمًا وهادئًا.

كانت عيناى مفتوحتين وسط الظلام الدامس، وبينما أنا بين النوم واليقظة ناديت على "كاف" وقلت: "أنت"، فقال: "ماذا؟"، فقلت: "أريد أن أتحدث معك أكثر فى الموضوع الذى فتحته فى الصباح"، ولم أكن أريد أن أتحدث معه فى ذلك الوقت وهو فى حجرته وأنا فى حجرتى ويفصل بيننا حائط، بل كنت أريد أن أسأله عن وقت مناسب له لكى نتقابل ونتحدث بالتفصيل، ورغم أننى كررت له طلبى لم يجب، ثم قال بصوت خفيض وبطريقة تدل على التردد: "سوف أُفكر فى ذلك"، فتعجبت وقلقت مما قال.

- ٣٨ -

لقد وضحت إجابته هذه من خلال تصرفاته فى الأيام التالية، فلم يظهر أى نية لفتح ذلك الموضوع مرة أخرى، بجانب أنه لم تكن هناك فرصة لذلك، ولم نستطع أن نتقابل ونتحدث بصراحة ووضوح وعلى مهل، لأن السيدة وابنتها لم يخرجا من المنزل معًا، وكنت متفهمًا لذلك ولكنى كنت أشعر بقلق شديد، وكنت أنتظر منه أن يبادر بفتح الموضوع معى ولكنه لم يفعل، فقررت أن أفعل فى أول فرصة تسنح بدلاً من الانتظار.

فى الوقت نفسه كنت أراقب السيدة وابنتها لعلى أستخلص من تصرفاتهما شيئًا عن هذا الموضوع، ولكن تصرفاتهما كانت

عادية ولم يتغير فيها أى شىء، وقلت لنفسى ما دام ليس هناك أى تغير فى تصرفاتهما فهذا يعنى أنه لم يطلع صاحبة الشأن بما فى نفسه ولم يطلع المسؤولة عنها بذلك أيضًا، وشعرت بالاطمئنان قليلا، ثم قلت لنفسى بدلاً من السعى لخلق فرصة لفتح هذا الموضوع إذا واتتنى فرصة طبيعية فسأستغلها وأفتح الموضوع، وعلى هذا قررت أن أترك الأمر إلى حين تأتى الفرصة.

وربما تعتقد أننى توصلت إلى ترك الموضوع للصدفة بسهولة، ولكن فى الواقع أخذ ذلك منى تفكيرًا طويلا، فقد فكرت فى تجنب "كاف" فتح الموضوع وتصورت أشياء كثيرة، وشككت فى كلام وتصرفات السيدة وابنتها، بأن تكون أقوالهما وتصرفاتهما لا تعبر عما فى قلبيهما، وقلت لنفسى متعجبًا: "هل من الممكن أن تكون أقوال شخص وتصرفاته صادقة تعبر عما فى قلبه، كما تعبر عقارب الساعة بصدق عن الوقت؟" أرجو أن تعلم أننى لم أتوصل إلى ترك الكلام فى ذلك الأمر للصدفة إلا بعد تفكير طويل فى أشياء كثيرة، وقد أدى ذلك إلى إراحة عقلى الذى تعب من كثرة التفكير.

وبعد عدة أيام انتهت الإجازة وبدأت الدراسة مرة أخرى، وكنا نخرج من المنزل فى الأيام التى تبدأ فيها محاضراتنا فى نفس الوقت، وأحيانًا كنا نعود معًا، ومن يرانا معًا يعتقد أننا على علاقة جيدة كما كنا من قبل، وفى أحد الأيام ضغطت على "كاف: وقلت له: "هل أخبرتنى أنا فقط بمشاعرك تجاه الفتاة، أم أخبرت الفتاة وأمها بذلك؟"، فقال: "لم أخبر أحدًا آخر غيرك بهذا"، وكان هذا ما توقعته، فشعرت بالفرح لصحة توقعاتى، وكنت أعلم جيدًا أنه أكثر

رزانة منى، وأنه يشعر فى داخله أننى لست ندًا له، ومع ذلك فقد كنت أثق فيه، ورغم أنه خدع الطبيب الذى تباه لمدة ثلاثة أعوام، فإن ثقتى فيه لم تتزعزع، بل على العكس كان ذلك سببًا لكى أثق فيه، ولذلك مهما كنت من النوع الذى يشك بشدة فى الآخرين، فإنه لم يخامرنى شك فى صحة ما قال.

سألته: "ماذا تنوى أن تفعل مع الفتاة؟"، وكنت أريد أن أعرف من خلال ذلك السؤال ما إذا كان حبه للفتاة مجرد شعور فقط لا أكثر من ذلك، أم ينوى أن يتخذ خطوة عملية بعد ذلك، ولكن عندما سألته عن ذلك لم يجب، بل صمت ونظر إلى الأرض وسار، فطلبت منه ألا يخفى عنى شيئًا وأن يخبرنى بكل شىء ينوى فعله، فقال لى بشكل قاطع ووضوح: "ليس هناك أهمية لإخفاء أى شىء عنك"، ولكنه لم يحدثنى ولو حتى قليلا عما ينوى فعله، ولأننا كنا نسير فى الطريق، فلم أرَ أنه من اللائق أن أوقفه فى منتصف الطريق وأضغط عليه لمعرفة ماذا ينوى فعله.

- ٣٩ -

فى يوم من الأيام ذهبت إلى مكتبة الجامعة بعد غياب طويل، وجلست إلى ركن منضدة كبيرة بجانب النافذة وكانت أشعة الشمس تسقط علىّ، وكنت أقلب فى صفحات كثير من المجلات الأجنبية التى وصلت للمكتبة حديثًا؛ حيث إن الأستاذ المشرف علىّ قد أمرنى بأن أبحث موضوعًا ما خاصًا بتخصصى حتى الأسبوع التالى، وبما أننى لم أجد بسهولة مراجع عن موضوع البحث فكنت مضطرًا

إلى استعارة المجلات عدة مرات متتالية للبحث فيها، وبعد معاناة استطعت العثور على مراجع عن موضوع البحث وبدأت فى قراءتها بتركيز شديد، وفجأة سمعت من ينادى اسمى بصوت خفيض من الناحية الأخرى للمنضدة الكبيرة، فرفعت عينى ونظرت، فإذا به "كاف" ثم انحنى فوق المنضدة ناحيتى واقترب بوجهه منى، وكما تعلم فإنه غير مسموح فى المكتبات بالتحدث بصوت مرتفع، ولذلك كان من الطبيعى أن يقترب منى ويتحدث بصوت خفيض، ولكنى شعرت بشىء غريب فى تصرفه هذا.

سألنى: "هل تذاكر؟"، فقلت: "أبحث فى موضوع ما"، ولم يبعد وجهه عنى، وقال: "ألا تذهب معى فى نزهة قصيرة؟"، فقلت "إذا انتظرت قليلاً، فسأذهب معك"، فقال: "سوف أنتظر"، ثم جلس على المقعد المقابل، فشعرت بعدم التركيز وبدأت فى القراءة بسرعة، وقلت لنفسى ربما فى نفسه شىء ما يريد أن يفضى به إلى وبالتالى لا مفر من سماعه، فقلبت المجلة التى كنت بدأت فى قراءتها وهممت بالقيام من مقعدى، فقال لى بطريقة هادئة: "هل انتهيت من بحثك؟"، فقلت: "لا ولكن ليس ذلك مهمًا الآن"، ثم أغلقت المجلة وأعدتها إلى المكتبة وخرجنا من المكتبة.

ولم يكن هناك مكان محدد نذهب إليه، فسرنا من شارع "طاتسو أوكا تشو" إلى منطقة "إيكيه نو هاطا"، ثم سرنا فدخلنا حديقة "أوينو"، وحينئذ فاجأنى بموضوع الفتاة، ومن خلال ما لاحظته استنتجت أنه أخذنى من المكتبة خصيصًا لكى يتحدث فى هذا الموضوع، وكان من الواضح أنه لم يتخذ خطوة إيجابية بذلك

الشأن، ثم اتجه ناحيتى وقال: "ما رأيك فى ذلك الموضوع؟"، وسؤاله هذا يعنى أنه يريد أن يعرف كيف أنظر إليه بعد وقوعه فى حب الفتاة، أى أنه يريد منى أن أقيّمه وهو فى وضعه الحالى، وهذا يعنى أنه تنبه إلى أن هناك شيئًا تغير فيه عما كان عليه من قبل، وكما ذكرت أكثر من مرة، أن "كاف" كان شخصية عنيدة، يفعل ما يراه ولا يقتنع بآراء الآخرين بسهولة، وهو عنده الشجاعة والقوة إذا اقتنع بفكرة ينفذها وحده، وقد اتضح ذلك جليًا، بالنسبة لما فعله مع الطبيب الذى تبناه، ولكن سؤاله لى عن رأيى فيه، يعنى بوضوح أن لم يعد كما كان من قبل، فقد أصبح يهتم بآراء الآخرين وهو لم يكن كذلك من قبل.

فنظرت إليه وقلت: "لماذا تريد معرفة رأيى؟"، فقال لى بطريقة يبدو عليها الحزن: "لقد اكتشفت أننى إنسان ضعيف، وفى الحقيقة هذا جعلنى أشعر بالحرج"، ثم أضاف: "وأشعر بالارتباك، ولم أعد أعرف ماذا يجب أن أفعل، ولذلك كنت مضطرًا إلى أخذ رأى شخص آخر"، فلم أفهم جيدًا ما الذى يقصده بقوله إنه مرتبك، فسألته عن ذلك، فقال: "أنا مرتبك، بمعنى أننى لا أستطيع أن أحدد ما إذا كان من الأفضل أن آخذ خطوة إيجابية فى هذا الموضوع أم أتراجع وأنسحب"، فهاجمته قائلاً: "هل يعنى هذا أنه إذا نويت الانسحاب فستستطيع الانسحاب؟"، ففوجئ بالسؤال ولم يجد إجابة، ولكنه قال: "أنا أشعر أننى مهموم"، واتضح على ملامح وجهه أنه مهموم، ولو كان يتحدث عن فتاة أخرى، لتعاطفت معه وواسيته، فقد كان كالأرض القاحلة التى تحتاج إلى ماء، وأنا بطبيعتى كإنسان

أحمل تلك المشاعر الجميلة من تعاطف ومواساة، ولكن بما أن الموضوع له علاقة بالفتاة، فلم أستطع التعاطف معه ومواساته.

- ٤٠ -

كنت أنظر إليه بانتباه شديد وهو يتحدث معى وكأنه خصم فى مباراة، وكنت أواجهه وكل ما فىّ مستعد للمواجهة، بعينى وقلبى وبدنى وبكل شىء دون أى تراخٍ، ومن الأفضل ألا أصف "كاف"، الذى لم يرتكب جريمة، بأنه كان عنده نقاط ضعف فى دفاعه، ولكن أقول إنه ترك دفاعه مفتوحًا ولم يعبأ لما يحدث فكان من السهل علىّ أن أهاجمه، وكأنه كان يدافع عن قلعة وسلمنى خريطتها، فكان من السهل علىّ أن أقرر من أين أهاجمه.

اكتشفت أن نقطة ضعفه أنه كان مترددًا بين أن يعيش فى عالم المثل أو يعيش فى عالم الواقع، فقلت لنفسى من الممكن أن أقضى عليه بضربة واحدة باستغلال نقطة ضعفه هذه، وعلى الفور هاجمت نقطة ضعفه، فتصرفت معه بطريقة جادة، وكان ذلك جزءًا من خطتى للقضاء عليه، وبالطبع كنت وقتذاك أشعر بتوتر ولم أكن مهيئًا للمرح أو الشعور بالخجل، وبدأت الهجوم بأن أطلقت ما فى قلبى قائلاً: "إن أى إنسان لا يهتم بأن يسمو بنفسه روحانيًا إنسان أحمق"، وكانت تلك الكلمات هى ما قالها لى عندما كنا فى رحلة مصيف منطقة "بوشو"، فقد قلت له ما قاله لى سابقًا وبالطريقة نفسها، ولم يكن ذلك انتقامًا منه، ولكنى كنت أقصد من ذلك شيئًا أفظع من الانتقام، فقد كنت أريد بهذه الكلمات أن أجعله يتراجع عن حبه للفتاة.

"كاف" رجل وُلِد فى معبد بوذى، ولكنه منذ أن أصبح طالبًا فى المدرسة الثانوية ترك المذهب الدينى الذى تعتنقه أسرته، وأنا لا أعرف الكثير عن مذهب أسرته، وبالتالى لست فى وضع يجعلنى أحكم على تصرفاته من خلال تعاليم مذهب أسرته، ولكن بالنسبة للعلاقة بين الرجل والمرأة فإن ذلك المذهب لا يشجع على أن يظل الرجل بتولا، وكان لا يؤمن بتعاليم ذلك المذهب، وكان مغرمًا منذ مدة طويلة بكلمة "السمو الروحى"، واعتقدت أن هذا "السمو الروحى" يعنى أيضًا البعد عن الرغبات المحرمة، ولكن بعد ذلك عرفت أنه لا يعنى ذلك فقط، بل يعنى ما هو أكثر من ذلك فاندهشت، عرفت أن القاعدة الأساسية للإيمان بالسمو الروحى هى التضحية بكل شىء من أجل الوصول إليه، حتى الرغبات المكبوتة والرغبات المحرمة وحتى الحب البعيد عن الرغبة المحرمة يكون عائقًا للوصول إلى السمو الروحى، وبالتالى يجب التضحية به، قال لى ذلك عندما كان يعيش فى بيت الطلاب وكنت أنا قد تركت بيت الطلاب وجئت إلى منزل السيدة لكى أعيش فيه، وكنت أعارضه بشدة عندما يقول إن الحب عائق للسمو الروحى، وحينئذ كانت ملامح وجهه تتغير ضيقًا وحزنًا، ولم تكن تدل على التعاطف معى، بل احتقارى بشدة.

ومن خلال معرفتى به لمدة طويلة، كنت متأكدًا أن كلمات "من لا يعمل من أجل السمو بروحه يكون أحمق"، ستسبب له ألمًا شديدًا، ولكن كما ذكرت سابقًا فأنا لم أقصد بتلك الكلمات تحطيم ما قام ببنائه فى ماضيه، بل بالعكس أردت له أن يستمر فى السير فى

نفس طريقه، ولم يكن مهمًا عندى أن يسمو بروحه أو يصعد إلى السماء، بل كان المهم عندى ألا يغير مجرى حياته، لأنى كنت خائفًا أن يحدث بيننا صدام بسبب المصالح، بمعنى أن الكلمات التى قلتها له كانت تعبيرًا عن دفاعى عن مصالحى لا أكثر.

قلت له مرتين متتاليتين:

- "إن أى إنسان لا يهتم بأن يسمو بنفسه روحانيًا إنسان أحمق".

ثم ظللت أنتظر وقع هذه الكلمات عليه، وأخيرًا قال:

- "أحمق، أنا أحمق".

ووقف، مكانه ولم يتحرك، ونظر إلى الأرض طويلاً، ودون أن أدرى شعرت أنا بالرهبة، شعرت أنه كان كالخصم الذى أصابته ضربة قوية ويحاول لملمة نفسه ورد هذه الضربة، ولكن مع ذلك لاحظت أن صوته ضعيف يفتقر إلى القوة، وكنت أريد أن أنظر فى عينيه وقتها، ولكنه لم ينظر فى عينىّ، ثم بدأنا فى السير مرة أخرى.

- ٤١ -

سرت بجانبه وكنت أنتظر أن يقول ما أريد سماعه، أو من الأفضل أن أقول كنت أنتظر فرصة أخرى لمهاجمته، وكنت مستعدًا أن أُهاجمه، ولكن لأننى تربيت تربية جيدة وعندى ضمير يقظ، فلو قال لى أحد بصوت خافت فى أُذنى: "أنت جبان"، لكنت استيقظت من غفلتى وعدت إلى طبيعتى، ولو كان "كاف" من قال لى ذلك لاحمرَّ وجهى خجلاً، ولكنه كان إنسانًا نبيلا وبسيطًا وعلى خلق

عالٍ فلم يعاتبنى، ونسيت أنا أن أشكره على عدم معاتبتى، بل بالعكس هاجمته، واستغللت نبل أخلاقه فاعتبرته عيبًا وهاجمته من خلاله.

وبعد قليل نادى "كاف" علىّ ونظر إلى فتوقفت وتوقف هو أيضًا، وأصبحنا متواجهين، حينئذٍ استطعت أن أنظر فى عينيه، ولأنه كان أطول قامة منى وجب علىّ أن أرفع وجهى لأعلى، وبهذا كنت كالذئب الذى يواجه حملا لا ذنب له.

ثم رجانى قائلاً: "دعنا نتوقف عن الكلام فى هذا الموضوع"، وكانت نظراته وكلماته توحى بألم شديد، مما جعلنى لا أستطيع أن أرد عليه بنعم أو لا، وقال مرة أخرى بطريقة أكثر حدة: "من فضلك توقف عن الكلام فى هذا الموضوع"، قلت له قولاً بشعًا، وكأنى ذئب نظر إلى نقطة ضعف الحمل وهى رقبته ثم انقض عليه. قلت:

- "تقول لى توقف عن الكلام فى هذا الموضوع، أنا لم أبدأ بالكلام، أنت الذى بدأته، وإذا كنت تريدنى أن أتوقف عن الكلام فى ذلك فسأفعل، ولكن إذا توقفت عن الكلام فى ذلك فهل ستنتهى المشكلة؟ إذا لم يكن عندك استعداد نفسى للتوبة فلن تنتهى المشكلة، ثم قل لى أين مبادئك التى كنت تتحدث عنها دومًا؟! أين ذهبت؟!".

وعندما قلت ذلك شعرت أنه انكمش وأصبح صغيرا، ورغم أنه عنيد فإنه فى الوقت نفسه صادق أكثر من الآخرين، فإذا تم نقده بقسوة بالنسبة لما فيه من تضارب فى الأفكار والتصرفات، فلا يقف

هكذا مكتوف الأيدى أبدًا، وعندما رأيته منهارًا هكذا شعرت بالراحة، وفجأة قال: "التوبة!"، وقبل أن أرد عليه أضاف: "التوبة! لا.. عندى نية للتوبة"، وكان قوله هذا وكأنه يناجى نفسه، أو يتحدث وهو يحلم.

ثم توقفنا عن الكلام عند هذا الحد، وسرنا نحو منطقة "كوشى كاوا" حيث المنزل، وكان جو ذلك اليوم دافئًا، وكانت الحديقة العامة خالية من الناس لأننا كنا فى موسم الشتاء، وعندما استدرت برأسى شاهدت صفوف أشجار الأرز العالية وسط السماء المظلمة قليلاً، وكانت أشجار الأرز بنية اللون، وكأنها فقدت أوراقها الخضراء بسبب الصقيع الذى غطاها، وشعرت بأن البرودة لفحت ظهرى، فسرنا بسرعة مارين بمنحدر "هونجو ضاى"، ثم انحدرنا إلى وادى "كوشى كاوا"، ثم صعدنا إلى الهضبة المواجهة، وبعد السير تلك المسافة شعرت أن جسمى أصبح دافئًا.

ولأننا سرنا بسرعة فى طريق العودة إلى المنزل فلم نتكلم، وعندما عدنا إلى المنزل وجلسنا متواجهين إلى مائدة الطعام، سألتنا السيدة: "لماذا تأخرتما؟"، فقلت لها: "لقد أخذنى (كاف) إلى منطقة أوينو"، فاندهشت السيدة وقالت: "ذهبتما إلى هناك فى هذا الجو البارد؟!"، وقالت الفتاة: "هل كان هناك ما يستوجب الذهاب إلى أوينو؟"، فقلت: "لم يكن هناك شىء معين، ذهبنا هناك للتنزه فقط"، وكان "كاف" صامتًا أكثر من صمته فى الأيام العادية، ورغم أن السيدة وجهت إليه كلامًا والفتاة ابتسمت له، فإنه لم يكن يرد، وتناول طعامه على عجل، ثم تركنى جالسًا وذهب إلى حجرته.

فى تلك الفترة لم تكن كلمات مثل "منبهات" و"الحياة الجديدة" منتشرة، ولكن "كاف" لم يستطع ترك حياته الماضية والاتجاه إلى حياة جديدة لأن تفكيره ليس معاصرًا لتلك الفترة، بل لأن ماضيه محترم جدًا لدرجة عدم قدرته على إلقاء ذلك الماضى خلف ظهره وبداية حياة جديدة، وأنه بفضل ماضيه هذا استطاع أن يحيا حتى يومنا هذا، ولا نستطيع أن نقول إن حبه للفتاة كان ضعيفًا، بدليل أنه لم يضع ذلك الحب هدفًا لحياته، لقد كان يكن للفتاة مشاعر حب شديد ولكن لم يكن هناك ما يدفعه إلى نسيان ماضيه فتعلق به، وبالتالى حدد له ماضيه الطريق الذى يجب أن يسير فيه، بجانب أنه يملك من العناد والقدرة على التحمل ما لا نجده فى ناس هذه الأيام، وبالنسبة للعناد والقدرة على التحمل فهذه أشياء أعلمها عنه جيدًا.

مساء اليوم الذى عدت فيه من التنزه فى "أوينو" شعرت براحة شديدة، وذهبت إلى حجرة "كاف" وجلست بجانب مكتبه، وتعمدت أن أتحدث إليه عن موضوعات يومية، ولكن كان يبدو عليه الضيق، وكنت أشعر بزهو النصر عليه، وكانت طريقة كلامى تدل على ذلك، ثم رجعت إلى حجرتى، وكانت هذه أول مرة أشعر بأننى تفوقت على "كاف" الذى كان يتفوق علىّ فى كل شىء.

دخلت فراشى ونمت نومًا هادئًا، ولكنى استيقظت فجأة على صوت ينادى علىّ، وكان صوت "كاف" واقفًا على باب الحجرة المفتوح قليلاً، فشاهدت ظله الأسود، وكان المصباح ما زال

مشتعلا فى حجرته، فشعرت أننى فى عالم غريب، ولم أستطع الكلام هنيهة، وظللت أنظر إليه فى صمت.

سألنى: "هل نمت؟"، وكان معتادًا على الاستيقاظ حتى وقت متأخر، فنظرت تجاه ظله الأسود وقلت: "هل حدث شىء؟"، فقال: "لم يحدث شىء ولكنى ذهبت إلى دورة المياه، وقلت أسأل إذا كنت نمت أم ما زلت مستيقظًا"، وكان المصباح خلفه فلم أستطع رؤية وجهه وعينيه، ولكن صوته كان هادئًا أكثر من العادى.

أغلق باب حجرتى فعادت إلى الظلمة، فأغلقت عينى فى تلك الظلمة لكى أعود إلى أحلامى الهادئة، ولم أعِ ماذا حدث بعد ذلك، وعندما استيقظت فى اليوم التالى فكرت فيما حدث فى تلك الليلة، فشعرت أن هناك شيئًا غريبًا، واعتقدت أن ما حدث ليلة أمس كان حلمًا، وعند تناول الطعام سألته: "هل فتحت باب حجرتى ليلة أمس فى وقت متأخر وناديت علىّ؟"، فقال: "نعم"، ثم سألته: "لماذا فعلت ذلك؟"، فلم يجب إجابة واضحة، ثم سألنى بعد أن صمت قليلا: "هل تستطيع النوم جيدًا فى الفترة الأخيرة؟"، فشعرت بشىء غريب من السؤال.

كانت محاضراتنا تبدأ فى هذا اليوم فى نفس الوقت، فخرجنا من المنزل معًا، ومنذ الصباح وأنا مشغول بالتفكير فيما حدث الليلة الماضية وأريد أن أعرف لماذا أيقظنى فى وقت متأخر، فحاولت معرفة ذلك فى أثناء سيرنا إلى الجامعة، ولكنه لم يجب إجابة شافية، وقلت: "ألا تريد قول شىء بشأن موضوع الفتاة؟"، فقال بلهجة غاضبة وقاطعة: "لا"، فشعرت أنه يقول: " ألم أقل لك توقف عن

الخوض فى هذا الموضوع عندما كنا فى منطقة أوينو"، وكان شديد الاعتزاز بكرامته، وتذكرت فجأة الكلمة التى كان يرددها دائمًا "توبة"، وكنت لا أهتم بالتفكير فى تلك الكلمة رغم أن لها قوة غريبة، وبقوتها تلك بدأت تضغط على عقلى وتجعلنى أفكر فيها.

- ٤٣ -

كنت أعلم جيدًا أن "كاف" حازم فى قراراته، وتفهمت لماذا كان غير حازم فقط بالنسبة لموضوع الفتاة، وكنت أتصور أننى أفهمه ولكنى فى الواقع اكتشفت أننى لا أفهمه، فإذا تم الضغط عليه يتصرف تصرفًا غير متوقع، يختلف عن تصرفه فى الحالة العادية، فكلما فكرت فيما قاله آخر مرة فى حديقة "أوينو" وتكراره كلمة "التوبة"، وجدتها كلمة غامضة بالنسبة لى، إلى أن بدأت أشعر بالقلق، حيث إن موضوع الفتاة ليس استثناء بالنسبة للتوبة، وبدأت أشك فى أنه هو الذى يستطيع أن ينتشلنى من "الشك" و"القلق" و"المعاناة" التى أنا فيها إذا عرفت ما بداخله، ثم فكرت مرة أخرى فى معنى "التوبة" من منظور آخر فأصابتنى الدهشة، قلت لنفسى ربما يقصد بالتوبة أن يترك ماضيه ويتجه إلى الاستمرار فى حب الفتاة، لا كما أعتقد؛ أن يترك الفتاة ويتمسك بماضيه، فأنا كنت أنظر بعين واحدة إلى الحقيقة، فلو نظرت إليها بعينىَ جيدًا لكنت سألته ماذا يعنى بالتوبة.

وسمعت صوتًا فى عقلى يقول: "حان وقت الضربة القاضية"، فاستجبت لهذا الصوت وتأهبت لفعل ذلك، فقررت أن آخذ خطوة

فى موضوع حبى للفتاة دون أن يعلم "كاف"، فانتظرت فرصة، انتظرت عدة أيام ولكنى لم أجد فرصة، فكرت فى أن أتحدث مع السيدة عندما تكون الفتاة و"كاف" غير موجودين فى المنزل، ولكن إذا كان أحدهما غير موجود فى المنزل فإن الآخر موجود، وبالتالى لن تأتى لى الفرصة التى أستطيع أن أقول "الآن الوقت المناسب"، مما جعلنى أشعر بالضيق.

مر أسبوع ولم أستطع تحمل أكثر من ذلك، فادعيت المرض، وجاءت السيدة والفتاة و"كاف" إلى حجرتى لكى يشجعونى على ترك الفراش، ولكنى كنت أجيبهم إجابات غير واضحة، ولازمت الفراش، وعندما لاحظت أن "كاف" والفتاة قد خرجا، فانتظرت إلى أن أصبح المكان هادئًا وتركت الفراش وخرجت من الحجرة، فرأتنى السيدة وقالت: "هل تشعر بألم فى مكان ما؟"، ثم نصحتنى بأن أظل فى الفراش وأنها ستحضر لى الطعام فى الحجرة وتضعه بجانبى، ولأننى غير مريض فلم أشعر بالرغبة فى دخول الفراش والنوم، فغسلت وجهى وذهبت كالعادة إلى حجرة المعيشة حيث تناولت الطعام، وجلست السيدة على الجانب الآخر من الموقد الطويل، وكنت أفكر فقط فى كيف سأبدأ الحديث مع السيدة عن الفتاة، وأعتقد أن السيدة كانت تنظر إلى على أنى مريض فعلاً.

انتهيت من الطعام ودخنت سيجارة، ولأننى لم أغادر المكان فقد ظلت السيدة جالسة بجانب الموقد، ونادت على الخادمة فأخذت أوانى الطعام، ثم وضعت السيدة ماء فى الغلاية، ومسحت حافة الموقد، انتظارًا لرجوعى إلى حجرتى، فسألتها: "هل أنت

مشغولة بشيء مهم؟"، فقالت: "لا، لماذا تسأل؟"، فقلت: 'فى الواقع أريد أن أتحدث معك قليلاً"، فقالت وهى تنظر إلى: "عن ماذا؟"، وكان يبدو عليها أنها لا تستطيع أن تتوقع ما سأحدثها فيه، وجعلنى ذلك أتردد فى أن أفاتحها فى الموضوع الذى أردت الحديث عنه.

وبعد تردد وتفكير قلت: "هل قال لك (كاف) أى شيء مؤخرًا؟"، وبدا عليها أنها فوجئت بما قلت فسألتنى: "عن ماذا؟"، وقبل أن أجيبها قالت: "هل قال لك شيئًا؟".

- ٤٤ -

لم أكن أنوى أن أقول لها ما سمعته من "كاف" بشأن الفتاة، ولذلك قلت لها "لا لم يقل شيئًا"، ولكن بعد ذلك شعرت على الفور بالضيق أننى كذبت عليها، ثم وجدت نفسى مدفوعًا إلى أن أقول لها: "لا أتذكر أنه طلب منى أن أقول لك، فما أريد أن أتحدث فيه معك ليس له علاقة به"، فقالت: "أهو كذلك؟"، ثم انتظرت ماذا سأقول بعد ذلك، فشعرت أنه يجب أن أفتح الموضوع معها الآن، فقلت دون مقدمات: "من فضلك يا سيدتى زوجينى ابنتك"، ولم يبدُ عليها أنها اندهشت من عدم توقعها ذلك، ولكنها لم تجبنى على الفور وأخذت تنظر فى وجهى، وبما أننى طلبت يد ابنتها فلم أستطع تصنع اللامبالاة بردها من عدمه، فقلت: "من فضلك، من فضلك، من فضلك وافقى على أن تكون زوجتى"، وبما أنها كبيرة فى السن فقد كانت أكثر هدوءًا منى، وقالت: "موافقة ولكن ألا ترى أن طلبك الآن فيه تسرع؟"، فقلت: "أريد أن أتزوجها بسرعة"،

فضحكت وقالت وكأنها تريد أن تتأكد من صحة ما قلت: "هل فكرت جيدًا؟"، فشرحت لها أننى أفكر فى ذلك منذ مدة طويلة.

سألتنى عدة أسئلة بعد ذلك ولكنى لا أتذكرها الآن، وكانت واضحة فى كلامها معى مثل الرجال، فلم تكن سيدة عادية، بل اختلفت عن الأوقات العادية وتحدثت معى كثيرًا، وكانت تفكر فى كل ما تقوله، ثم قالت: "حسنًا، أنا موافقة"، ثم قالت: "أنا موافقة على زواجكما، وكما تعلم فإنها فتاة مسكينة وضعيفة فقد مات أبوها وتربت يتيمة".

انتهى الموضوع بسهولة ووضوح وسرعة، فلم يحتج إلى أكثر من خمس عشرة دقيقة، ولم تشترط أى شروط لموافقتها على الزواج، وقالت إنها لن تتناقش مع أقاربها فى ذلك، بل ستخبرهم فقط بما حدث، ولكن بعد ذلك، كما أوضحت، أنه ليست هناك أهمية للتأكد من ابنتها هل توافق على الزواج أم لا، ورأيت أنها تفكر فى الشكليات، ولذلك قلت: "موضوع مناقشة الأقارب أو إخبارهم بعد ذلك ليس مهمًا بالنسبة لى، ولكن المهم هو أخذ رأى الفتاة قبل كل شىء"، فقالت: "لا تقلق، فأنا لن أزوج ابنتى شخصًا ترفضه".

بعد أن رجعت إلى حجرتى، شعرت أن ما حدث شىء غريب؛ فقد سار كل شىء بسلاسة ولم تكن هناك أى مشكلات، لدرجة أننى تشككت وقلت لنفسى: "هل هذا الأمر بهذه البساطة؟ هل انتهى هكذا؟ وهل سيسير دون عوائق؟"، ومع ذلك قلت: "على العموم لقد شعرت بالراحة بعد أن عرفت نصيبى فى الدنيا".

وفى فترة الظهيرة ذهبت إلى حجرة المعيشة حيث قابلت السيدة وقلت: "متى ستخبرين ابنتك بما تحدثنا فيه؟"، فقالت: "المهم أننى أعرف، وسأخبرها فى أى وقت"، وعندما قالت ذلك شعرت أنها أكثر رجولة منى، وأننى يجب أن أكون هادئًا أكثر من ذلك، وبالتالى هممت بالانصراف والرجوع إلى حجرتى، ولكن السيدة أوقفتنى وقالت: "إذا كنت تريد أن أخبرها بسرعة فسأخبرها اليوم عندما تعود من الدرس"، فقلت: "هذا أفضل لى"، ثم تركتها وعدت إلى حجرتى وجلست أمام مكتبى وتخيلت السيدة والفتاة وهما يتهامسان فى هذا الموضوع وأنا أستمع لهمسهما من بعيد، فشعرت بالقلق، فارتديت القبعة وخرجت إلى الشارع، فقابلت الفتاة بالصدفة أسفل المنحدر، فخلعت القبعة وقلت: "عود حميد"، فسألتى فى دهشة: "هل شفيت؟"، فقلت: "نعم، شفيت تمامًا"، ثم اتجهت مسرعًا إلى منطقة "سويدو باشى".

- ٤٥ -

ذهبت من شارع "صارو جاكو تشو" إلى شارع "جين بو تشو"، ثم استدرت إلى منطقة "أوجاوا ماتشى"، وعندما آتى إلى هذه المنطقة يكون هدفى المشى والبحث عن الكتب فى المكتبات القديمة، ولكن فى ذلك اليوم لم تكن لدى رغبة فى البحث عن الكتب، فكنت أفكر دون توقف عما سيحدث فى المنزل؛ كنت أفكر فيما قالته السيدة فى الصباح، وكنت أتخيل كيف ستستقبل الفتاة خبر طلبها للزواج، وقد جعلنى التفكير فى هذه الأشياء أسير

طويلاً دون هدف، وكنت أحيانًا أتوقف عن السير وأقول لنفسى: "من المؤكد أن السيدة ستخبر ابنتها بما حدث"، أو أقول: "من المؤكد أنها الآن قد أخبرتها".

وأخيرًا وصلت إلى جسر "منسيه باشى"، فعبرته وصعدت منحدر "ميو جن"، ثم وصلت إلى معبد "هون جو ضاى"، ثم نزلت منحدر "كيكو زاكا"، وفى النهاية نزلت إلى وادى "كوشى كاوا"، وسرت بشكل دائرى فى تلك المناطق الثلاث، ولم أفكر قط فى "كاف"، وكلما سألت نفسى الآن لماذ لم أفكر فيه ذلك الوقت لا أجد إجابة، مما يجعلنى أشعر بدهشة، فلقد كنت متوترًا لدرجة نسيان "كاف" تمامًا ولكن ضميرى لم يكن راضيًا عما أفعل.

عندما عدت إلى المنزل وفتحت الباب وسرت من المدخل ودخلت حجرته لأمر من خلالها إلى حجرتى، عاد لى ضميرى فى لحظة دخولى حجرته، وكان يجلس كالعادة إلى مكتبه يقرأ، وكالعادة رفع عينيه عن الكتاب ونظر لى، ولكنه لم يقل: "هل رجعت الآن؟"، مثلما يفعل كل مرة، بل قال: "هل شفيت؟، هل ذهبت إلى الطبيب؟"، فشعرت فى هذه اللحظة أننى أريد أن أنحنى أمامه وأطلب منه الصفح، لقد شعرت برجفة عنيفة فى قلبى حينذاك، وإذا كنت أنا وهو فقط معًا فى مكان واسع لكنت نفذت أوامر ضميرى واعترفت له بخطأى وطلبت منه الصفح، ولكن فى المنزل آخرون، والشىء المحزن أننى لم أجد فرصة ثانية لفعل ذلك.

عند العشاء جلسنا معًا إلى المائدة، وكان هو يجلس فى هدوء ولا يعلم شيئًا عما حدث، ولم ينظر إلى بشك، وكانت السيدة التى لا تعلم شيئًا عما دار بينى وبينه، تبدو سعيدة أكثر من العادى، أنا الوحيد الذى كنت أعلم كل شىء، لم أستطع ابتلاع الطعام بسهولة من تأنيب الضمير، ولم تأتِ الفتاة لتجلس معنا إلى مائدة الطعام كما كانت تفعل كل يوم، وعندما نادت عليها أمها لتأتى بسرعة، قالت: "سآتى" ولم تأتِ، وكان "كاف" يسمع ذلك وتبدو عليه الدهشة، فقال للسيدة: "ماذا حدث لها؟"، فقالت: 'ربما تشعر بالخجل"، ثم نظرت إلىّ، فقال لها بتعجب: "لماذا تشعر بالخجل؟"، فابتسمت ونظرت إلى.

وعندما جلست إلى مائدة الطعام ونظرت إلى وجه السيدة توقعت ماذا حدث، وكنت أشعر بالخوف الشديد من أن تقول السيدة لـ"كاف" كل شىء أمامى، وهى من النوع الذى يقول أشياء مثل ذلك بطريقة عادية، ولحس حظى أن "كاف" توقف عن محاولة معرفة ماذا حدث وعاد إلى صمته، وكانت السيدة فى حالة مزاجية أفضل من العادى، وشعرت بمخاوفى فلم تتكلم أكثر، فشعرتُ بالراحة ثم تنفستُ الصعداء وعدتُ إلى حجرتى، ووجدت نفسى أفكر فى كيفية التصرف مع "كاف"، ففكرت فى أسباب أدافع بها عن موقفى، ولكنى وجدت أن كل سبب لم يكن مقنعًا لكى أواجهه بما حدث، وشعرت بأنى جبان ولا أستطيع أن أشرح له بنفسى ما فعلته به.

ظللت هكذا لعدة أيام، لم أخبره بما حدث، وكنت أشعر خلال تلك الأيام بضيق شديد فى صدرى لعدم معرفتى ماذا أفعل معه، لدرجة لا يمكن وصفها، وقلت لنفسى يجب أن أقول له وإلا فلن أشعر بالراحة أبدًا، خصوصًا أن نظرات السيدة وتصرفات الفتاة تحثنى على إخباره بسرعة، وهذا يجعلنى أشعر بمزيد من الضيق، كما أن السيدة لها شخصية مثل الرجال، فليس من المستبعد أن تخبره بالأمر ونحن نجلس إلى المائدة، كما أنه من الواضح أن تصرفات الفتاة تجاهى تغيرت، وهذا سيلفت نظره ويجعله يشك فى أن شيئًا ما حدث، ولذلك قلت لنفسى يجب أن أخبره بالعلاقة الجديدة التى نشأت بينى وبين هذه العائلة، ولكن المشكلة أننى أشعر بصعوبة بالغة فى مواجهته وإخباره بذلك.

ولذلك فكرت فى أن أطلب من السيدة أن تخبره، وبالطبع فى غير وجودى، ولكن لو فعلت فلن يكون موقفى أقل خجلاً من أن أخبره بنفسى، وبفرض أننى طلبت منها ذلك، فمن الطبيعى أن تسألنى عن السبب الذى يجعلنى لا أستطيع إخباره بنفسى، وسأضطر إلى إخبارها بصراحة بكل شىء، وبالتالى ستعرف حبيبتى وأمها ما اقترفت ويعرفان أننى جبان أتهرب من المواجهة، وهما يعتقدان أننى إنسان أهل للثقة، فإذا عرفتا كل شىء فسيغيرا رأيهما فىّ وأصبح فى نظرهما إنسانًا لا يمكن الثقة فيه، وإذا فقدت حبيبتى جزءًا من ثقتها فىّ قبل الزواج، فإن ذلك سيسبب لى حزنًا لا أستطيع تحمله.

وبعد مرور خمسة أيام قالت لى السيدة فجأة: "هل قلت لـ(كاف) إنك خطبت ابنتى؟"، فقلت لها: "ليس بعد"، فعنفتنى قائلة: "لماذا لم تقل له حتى الآن؟"، فلم أجد ما أقوله، فقالت لى ما أدهشنى ولا أستطيع أن أنساه: "هذا يفسر سبب دهشته عندما حدثته فى الأمر، ألا تشعر أنك مخطئ؟ لقد تجاهلته ولم تقل له ذلك رغم أن بينكما صداقة حميمة".

فسألتها: "وهل قال شيئًا عندما أخبرته بذلك؟"، فقالت: "لم يقل شيئًا غير عادى"، وسألتها عما قال بالتفصيل، وبالطبع لم تخفِ عنى شيئًا مما قال، وقالت: "إنه لم يقل شيئًا ذا أهمية"، ثم وصفت لى رد فعله وتعبيرات وجهه.

ومجمل ما قالته أنه تلقى الضربة القاضية برباطة جأش تدعو للإعجاب، وأنه عندما سمع خبر خطبتى الفتاة كان كل ما قاله "أهكذا؟"، فقالت له السيدة: "أرجو أن يكون ذلك أسعدك"، فابتسم وقال: "مبارك"، ثم اتجه عائدًا إلى حجرته، وقبل أن يفتح باب حجرة المعيشة ليخرج منه متجهًا إلى حجرته، استدار إليها وقال: "ومتى سيتم الزواج؟"، وأضاف: "أريد أن أقدم لهما هدية وليس عندى مال، ولذلك لن أستطيع شراء هدية"، فشعرت وأنا أجلس أمام السيدة وأستمع إلى هذا الكلام بالحزن يعصر قلبى.

- ٤٧ -

وعندما حسبت عدد الأيام التى مرت منذ أن علم "كاف" بأمر خطبتى وجدتها يومين، وخلال اليومين لم يبدُ عليه أى تغير فى

تصرفاته، ولذلك لم أنتبه إلى أنه علم بالأمر، وبالنسبة للخطبة فقد تصرف بسمو، وحتى إذا كان تصرفه هذا من الناحية الشكلية فقط، فيجب أن أحترمه وأقدره على ذلك، وإذا عقدت مقارنة فى عقلى بينه وبينى، فسأجده إنسانًا عظيمًا جدًا، وشعرت باضطراب شديد فى داخلى وبصوت يقول لى: "لقد انتصرت عليه بالخداع، ولكن كإنسان انهزمت منه"، وفى تلك اللحظة شعرت أنه يحتقرنى، واحمر وجهى خجلاً، ولكنى شعرت أنه من الصعب جدًا علىّ أن أذهب إليه وأقف أمامه منحنى الرأس وأعتذر عما فعلت، لقد وجدت ذلك إهانة كبيرة لكرامتى.

وترددت؛ هل أعتذر له أم أتجاهله؟ وفى يوم السبت وبعد طول تفكير قررت أن أنتظر للغد لأحدد ماذا سأفعل، وفى مساء ذلك اليوم انتحر "كاف"، وعندما أتذكر ذلك المنظر أشعر برعب، وكنت قد اعتدت أن أنام ورأسى ناحية الشرق، ولكن فى تلك الليلة فقط نمت ورأسى متجهة إلى الغرب، وربما يكون هذا قَدَر، وأيقظتنى رياح باردة، كان الباب الذى يفصل بين حجرتى وحجرة "كاف" مفتوحًا قليلاً كالعادة، ولكن الظل الأسود لـ"كاف" وهو واقف على باب الحجرة لم يكن موجودًا، فوقفت على ركبتى وجاءنى هاتف يقول لى: "اذهب إلى حجرة كاف" فذهبت، وكان المصباح موقدًا، وفراشه مفرودًا على الأرض، وكان الغطاء موضوعًا على الحافة السفلية للفراش، والجزء العلوى من جسده منحنيًا للأمام.

فناديت عليه، ولكنه لم يجب، فقلت له: "هل حدث لك

مكروه؟"، ولكنه لم يتحرك، فوقفت وذهبت ناحية الباب بين حجرتينا، ونظرت داخل حجرته.

شعرت وقتها مثلما شعرت وقت أن أخبرنى "كاف" أنه يحب الفتاة، ونظرت داخل حجرته نظرة واحدة ولم تتحرك عيناى بعد ذلك وكأنهما مصنوعتان من الزجاج، وتسمرت قدماى ولم أستطع الحركة، وشعرت بصدمة وكأن رياحًا عاتية مرت علىّ مسرعة، وشعرت أن ظله الأسود الكبير يغطى مستقبلى وحياتى بأكملها، وأن الأمر قد انتهى ولا يمكن تغيير شىء، فارتجف جسدى بقوة.

ولكنى لم أنسَ أننى على قيد الحياة، فنظرت ووجدت خطابًا على المكتب، وكما توقعت كان الخطاب موجهًا لى، ففتحته بسرعة، ولكن لم يكن مكتوبًا فيه ما توقعت أن يكتبه، فقد كنت أتوقع أن يكتب لى كلامًا قاسيًا، وخفت أن يكون كتب ما يجعل السيدة وابنتها يحتقراننى، وعندما مررت عينى على محتوى الخطاب شعرت بالراحة لأن ما كُتِب لا يمسنى، وكان ما يهمنى فى ذلك الموقف ألا أكون مذنبًا أمام الناس.

كان محتوى الخطاب بسيطًا، وكان مكتوبًا بطريقة عامة، أنه إنسان ضعيف الإرادة، وليس له هدف فى الحياة، ولذلك قرر أن ينتحر، وأنه يتوجه بالشكر لى لوقوفى معه، وطلب منى أن أقوم بالإجراءات والواجبات الخاصة بدفنه، وأنه يعتذر للسيدة على ما سببه لها من مشكلات، وطلب منى أن أخبر أهله بوفاته، وكتب عن كل شىء مهم ولكنه لم يذكر اسم الفتاة ولا تحدث عنها، وقرأت الخطاب حتى نهايته وفهمت أنه لم يذكر اسمها متعمدًا. وأكثر ما

آلمنى ما قرأته فى نهاية الخطاب وكان مكتوبًا بخط أسود ثقيل: "كان يجب أن أموت قبل ذلك، ولكن لماذا عشت حتى الآن؟".

أغلقت الخطاب ووضعته فى المظروف مرة أخرى بيدٍ مرتعشة، ووضعته على المكتب فى مكان بارز، وعندما نظرت خلفى شاهدت ولأول مرة شلالا من الدماء على الحائط.

- ٤٨ -

أمسكت برأس "كاف" ورفعته قليلاً، كنت أريد أن أرى وجهه وهو ميت، ولكن عندما انحنيت ناحية الأرض ونظرت إلى وجهه من أسفل، تركت رأسه فى الحال، ليس لأنى ارتعبت من المنظر فقط، ولكن لأن رأسه كان ثقيلا جدًا، لمست أذنيه فوجدتهما باردتين، وظللت قليلاً أنظر إلى رأسه وشعره الكثيف قصيرًا، وكان منظر رأسه عاديًا وكأنه حى، ولم أشعر برغبة فى البكاء، ولكنى كنت مرعوبًا، ولم يكن المنظر هو الذى جعلنى أشعر بالرعب فقط، ولكن شعرت بالرعب على مستقبلى الذى أصبح مظلمًا بسبب هذا الصديق النائم على الأرض بارد الجسد.

لم أعرف ماذا أفعل، ولذلك رجعت إلى حجرتى وأخذت أذرعها ذهابًا وإيابًا، فقد أصدر عقلى أوامره لبدنى بالذهاب والإياب داخل الحجرة دون تفكير فى أى شىء، ثم قلت لنفسى يجب أن أفعل شيئًا، ولكن ليس هناك ما أفعله، فظللت أذرع الحجرة مثل الدب المحبوس فى قفص.

وفكرت أن أذهب إلى حجرة السيدة لأخبرها بما حدث،

ولكن ليس من اللائق أن ترى النساء هذه المشاهد المرعبة فتراجعت، وإن كان من الممكن أن أجعل السيدة ترى ذلك المنظر فلا يمكن أبدًا أن أجعل الفتاة تراه.

أضأت المصباح وأخذت أنظر إلى الساعة كل فترة، وشعرت أن عقارب الساعة لا تكاد تتحرك، وإن كنت لا أعلم بالتحديد متى استيقظت ولكنى استيقظت قبل طلوع الفجر، وظللت أذرع الحجرة انتظارًا لطلوع الفجر، وشعرت أن الليل الدامس الظلمة سيستمر إلى الأبد.

وكنا قد اعتدنا أن نستيقظ قبل الساعة السابعة بقليل؛ فالمحاضرات غالبًا ما تبدأ فى الساعة الثامنة، وبالتالى إذا لم نستيقظ قبل الساعة السابعة فلن نستطيع اللحاق بمواعيد المحاضرات، ولهذا السبب كانت الخادمة تستيقظ بعد الساعة السادسة بقليل، ولكنى فى ذلك اليوم ذهبت قبل الساعة السادسة لكى أوقظ الخادمة، فقالت لى السيدة مذكرة إياى: "اليوم هو يوم العطلة الأسبوعية"، وكانت السيدة قد استيقظت على صوت أقدامى وأنا فى طريقى لأوقظ الخادمة، فقلت: "ما دمت استيقظت فلو سمحتى تعالى إلى حجرتى قليلاً"، فارتدت الروب فوق ملابس النوم وجاءت ورائى، وعندما دخلت الحجرة، أغلقت باب حجرة "كاف"، وقلت لها بصوت خافت: "حدثت مصيبة"، فقالت: "ماذا حدث؟"، فأشرت إلى حجرة "كاف" وقلت: "تمالكى نفسك"، فشحب وجهها، وقلت: "لقد انتحر (كاف)"، تيبست السيدة فى مكانها وأخذت تحملق فىّ وهى صامتة، وحينئذ ركعت أمامها

وقلت: "أنا آسف، لقد أخطأت، لقد فعلت ما يجعلك وابنتك لا تسامحانى أبدًا"، ولم أكن قد فكرت فى أن أقول ذلك لها، ولكن عندما رأيتها تحملق فىّ، نسيت نفسى وقلت ذلك، وأرجو أن تعلم أننى اعتذرت إلى السيدة وابنتها لأننى لم أكن أستطيع الاعتذار لـ"كاف"، لقد جدت نفسى أفعل ذلك بعفوية ومن القلب رغم أننى لم أكن قد خططت له، ولحسن الحظ أن السيدة لم تفهم السبب الحقيقى الذى جعلنى أعتذر لها، ثم قالت لى ووجهها شاحب تواسينى: "إذا كان حادثًا غير مدبر، فما باليد حيلة"، قالت لى ذلك والدهشة والرعب يتضحان على ملامح وجهها بشدة.

- ٤٩ -

شعرت أن السيدة ظُلِمت بسبب ذلك، ثم وقفت وفتحت باب حجرة "كاف"، وكان المصباح مطفأً؛ فقد نفد وقوده، وكانت الحجرة شديدة الظلمة، رجعت فأخذت مصباحى وذهبت أمام مدخل حجرته، ونظرت خلفى إلى السيدة. وقفت السيدة خلف ظهرى ونظرت فى الداخل ولم تحاول الدخول، وقالت: "افتح النافذة".

بعد ذلك تصرفت السيدة كزوجة رجل عسكرى؛ أمرتنى بالذهاب إلى الطبيب، ثم الذهاب إلى الشرطة، ومنعت الجميع من دخول حجرة "كاف" حتى ينتهى الطبيب والشرطة من عملهم.

لقد قطع "كاف" شرايين رقبته بسكين صغير فمات فى الحال، ولم يكن به أى جروح أخرى، وقالوا لى إن الدم الذى رأيته قبل الفجر على الضوء الخافت للمصباح وكان موجودًا على باب

غرفته، هو الدم الذى اندفع من شرايين رقبته عندما قطعها، وشاهدت ذلك الدم مرة أخرى بوضوح فى ضوء النهار.

قمت أنا والسيدة بتنظيف الحجرة من الدم على قدر المستطاع، ولحسن الحظ أن أغلب الدم كان على فراشه، وقليل منه كان على أرضية الحجرة، مما جعل عملية إزالة الدم سهلة، وبعد ذلك قمنا بنقل جثته إلى حجرتى، ووضعناها فى وضع النوم العادى، ثم أرسلت تلغرافًا إلى أهله.

وعندما عدت إلى المنزل وجدت دخان بخور يتصاعد، ودخلت الحجرة فوجدتها معبأة بدخان بخور كثيف يدل على الموت، والسيدة وابنتها يجلسان وسط ذلك الدخان، وكانت تلك أول مرة أرى فيها وجه الفتاة من يومين، وكانت تبكى، وكانت عينا السيدة حمراوين، وبالنسبة لى نسيت البكاء منذ وقوع هذا الحادث حتى الآن، فشعرت بالحزن عندما وجدت السيدة وابنتها حزينتين، وأدى شعورى بالحزن إلى شعورى براحة شديدة لا تتخيلها، فقد جعل الحزن قلبى المليء بالألم والرعب يشعر بقليل من الراحة.

جلست بجانب السيدة وابنتها صامًا، فقالت لى السيدة: "أشعل عود بخور على روح (كاف)"، ففعلت ثم جلست صامتًا، ولم توجه لى الفتاة أى حديث، وأحيانًا كانت تتبادل مع أمها بعض الكلمات عما يجب القيام به فى هذا الموقف، ولكن لم يكن عند السيدة وقت للحديث مع ابنتها عما حدث قبل وفاة "كاف"، ولكنى شعرت بالراحة أنها لم ترَ المشهد الفظيع للجثة ليلة أمس، فقد كنت مرعوبًا أن تفقد جمالها إذا رأت هذا المشهد، وجعلنى هذا الشعور لا

أستطع التحرك، فشعرت بحزن وكأن زهرة جميلة تُضرب بسوط دون سبب.

عندما حضر والد "كاف" وأخوه الأكبر تناقشت معهما حول مكان دفنه، وقلت لهما إنه كان يذهب معى إلى منطقة "ظوشيجايا" كثيرًا للتنزه، وكان يحب ذلك المكان، وإننى قلت له مرة ضاحكًا: "ما دمت تحب هذا المكان فإذا مت فسأدفنك فيه"، وشعرت بالراحة أننى تذكرت كلامى هذا له فرأيت أن أدفنه فى المكان الذى يحبه، كما أننى أردت أن أزور قبره كل شهر وأركع أمامه وأطلب منه العفو، وبما أننى كنت أعتنى بـ"كاف" قبل وفاته، فقد وافق والده وأخوه على كلامى بدفنه فى منطقة "ظوشيجايا".

- ٥٠ -

ونحن فى طريق العودة من جنازة "كاف" سألنى أحد الأصدقاء: "لماذا انتحر؟"، ومنذ ذلك الحادث والناس تسألنى باستمرا هذا السؤال الذى يُشعرنى بالضيق، السيدة والفتاة ووالده وأخوه اللذان جاءا من بلدته والمعارف الذين أرسلوا لى بطاقات بريدية وحتى الصحافيون الذين لم يعرفوه، سألونى السؤال نفسه، وكنت أشعر بوخز فى ضميرى وألم فى كل مرة يتم توجيه هذا السؤال لى، وكنت أشعر وكأنهم يقولون لى بطريقة غير مباشرة: "اعترف أنك قتلته".

وكانت إجابتى للجميع واحدة، فكنت أقول ما كتبه فى خطابه، ولا أزيد على ذلك شيئًا، وفى طريقى العودة من الجنازة، أخرج لى

أحد الأصدقاء صحيفة من جيبه وأرانى إياها، فقرأت الجزء الذى أشار إليه، وكان مكتوبًا فيها أن والد "كاف" وأخاه الأكبر قاطعاه فكره الحياة ولذلك انتحر، فلم أعلق، وقال لى ذلك الصديق إن صحيفة أخرى قالت إن "كاف" فقد عقله فانتحر، ولأننى مشغول فليس عندى وقت لقراءة الصحف، وبالتالى لا أقرأ هذه الأخبار، لكن داخل نفسى أريد أن أعرف هذه المعلومات، وكنت أخشى أن تظهر مقالات فى الصحف تسبب ضيقًا للسيدة وابنتها، وبخاصة إذا قالت الصحف إن الفتاة لها علاقة بانتحاره فسأشعر بالضيق الشديد، فسألت الصديق: "وهل قالت الصحف شيئًا آخر؟"، فقال: "هذا فقط ما وجدته فى الصحف التى قرأتها".

تركنا ذلك المنزل وانتقلنا إلى السكن فى منزلى هذا بعد الحادثة مباشرة، فقد شعرت السيدة وابنتها بعدم الرغبة فى أن يستمرا فى ذلك المنزل.

بعد أن انتقلنا إلى هذا المنزل بشهرين تخرجت فى الجامعة، وبعد التخرج بعدة أشهر تزوجت الفتاة، وشكليًا وصلت إلى ما أريد، ويجب أن أقول إن ذلك كان شيئًا سعيدًا، وقد بدت السعادة على السيدة والفتاة، وكنت سعيدًا أيضًا، ولكن كانت هناك نقطة سوداء تلطخ سعادتى، وتلك النقطة السوداء كانت السبب الذى أدى إلى تحول سعادتى إلى حزن دائم.

ولقد قالت لى الفتاة - وبما أنها أصبحت زوجتى فسوف أذكرها هنا بزوجتى - أن نذهب لزيارة قبر "كاف"، وفوجئت بقولها هذا وسألتها "لماذا تذكرت ذلك الآن؟"، فقالت "لو ذهبنا معًا لزيارة

قبره فسوف يشعر بالسعادة"، فحملقت فى وجهها رغم أنها لا تعلم شيئًا عما فى نفسى، فقالت لى "لماذا تحملق فىّ هكذا؟"، فانتبهت إلى ما أفعل.

ونفذت رغبة زوجتى؛ فذهبنا معًا إلى منطقة "ظوشيجايا"، وغسلت القبر بماء، ووضعت زوجتى زهورًا وأشعلت بخورًا أمام قبره، ثم أحنينا رأسينا ودعونا له، ومن المؤكد أن زوجتى قالت لـ"كاف" إننا تزوجنا حتى يشعر بالسعادة، وقلت له عدة مرات: "لقد أخطأت فى حقك".

لمست زوجتى القبر وقالت "قبر عظيم"، ولم يكن جيدًا لهذه الدرجة، ولكنها قالت عنه ذلك لأننى اخترت بنفسى الأحجار التى شُيد بها القبر، وشعرت بسخرية القدر؛ فأمامى قبر جديد وزوجة جديدة ورفات جديدة، فقررت ألا آتى إلى قبر "كاف" مع زوجتى أبدًا.

- ٥١ -

ظللت ألوم نفسى طويلا على موت صديقى، وفى الحقيقة كنت خائفًا من ذلك بعد موته، ولأننى تمنيت منذ مدة طويلة أن أتزوج الفتاة فقد تزوجتها، وكنت أشعر بالقلق من تأثير تلك الحادثة على زواجنا، ولأن لا أحد يعرف ما سيحدث فى المستقبل، قلت لنفسى لعل شعورى باللوم الدائم يتبدل، وإن الزواج سيكون بداية لحياة جديدة، لكن كلما رأيت وجه زوجتى تذكرت ما حدث وأننى كنت السبب فيه، وتكهنى بأن الزواج سينسينى لم يكن إلا مجرد

خيال تحطم على صخرة الواقع، فكلما تطلعت إلى وجهها تذكرت "كاف" وشعرت بالرعب، وأن زوجتى بينى وبينه إلى الأبد، وجعلنى هذا أعامل زوجتى بطريقة باردة، رغم أننى لا أجد فيها أى عيب، وبالطبع كان ينتقل شعورى هذا إليها، ولكنها لم تكن تعرف لماذا أعاملها هكذا، وأحيانًا كانت تسألنى: " لماذا تتعامل معى هكذا؟ هل ترى فىّ ما يضايقك؟"، فأبتسم لها أحيانًا ولا أرد عليها، وأحيانًا كانت تثور وتقول لى بضيق: "هل أنت متأكد أنك تحبنى؟"، أو تقول: "مؤكد أن هناك ما تخفيه عنى"، وكلامها هذا يؤلمنى.

فكرت أكثر من مرة أن أفتح قلبى لزوجتى وأحكى لها، وكلما هممت بذلك وجدت شيئًا يمنعنى، وأعتقد أنك تعرفنى وتفهمنى جيدًا، لذلك ليست هناك حاجة أن أشرح لك لماذا لم أرد من زوجتى أن تثق فىّ أكثر مما يجب، ولو كنت اعترفت لها وأعلنت ندمى بقلب صافٍ كما فعلت أمام قبر "كاف"، لكانت بكت وسامحتنى، ولم أفعل لأننى لم أتحمل أن أكون سببًا فى أن تشعر بذكرى سيئة طوال عمرها، أرجو أن تفهم أننى لم أفعل لأنى وجدت ذلك مثل إلقاء نقطة حبر سوداء على ورقة ناصعة البياض، وهذا سيؤلمنى بشدة.

كنت أشعر دائمًا بألم فى قلبى ولم أستطع نسيان "كاف" رغم مرور عام على وفاته، ولكى أنسى ذلك الألم شغلت نفسى بقراءة الكتب، وبدأت أبذل مجهودًا عظيمًا فى الدراسة، وتطلعت إلى اليوم الذى أجنى فيه ثمار القراءة والدراسة على المستوى المجتمعى، ولكن أجبرت نفسى على القراءة والدراسة وأجبرت

نفسى على وضع هدف، وبالتالى كان التطلع لجنى الثمار خيالا أدى إلى تعاستى، فلم أجد غير أن أحاول دفن مشاعرى داخل الكتب التى كنت أقرأها ولكنى فشلت فى ذلك أيضًا، فتوقفت عن القراءة وانعزلت عن الدنيا.

يبدو أن زوجتى أرجعت عدم اكتراثى بشىء أنى لم أفعل ما يقلقنى، والأسوأ من ذلك أنها أرجعته إلى أننا عندنا ما يكفينا من مال، فأنا عندى من المال ما يجعلنى أعيش دون عمل، وربما هذا المال هو الذى جعلنى أتكاسل وأعيش بلا عمل، وذلك لم يكن السبب الرئيسى لعدم القيام بعمل، ولكن السبب الرئيسى كان شعورى بأن عمى قد خاننى وغشنى وأخذ مالى ففقدت الثقة فى الناس وكرهت التعامل معهم، وكنت أشعر أن الناس أشرار ما عداى، فأنا إنسان عظيم، ولكن حادثة "كاف" حطمتنى تمامًا؛ فقد شعرت أننى خائن مثل عمى ففقدت الثقة فى نفسى، وكما كرهت الناس ولم أعد أثق فيهم كرهت نفسى وأصبحت سلبيًا.

- ٥٢ -

لم أستطع أن أنسى آلامى بالقراءة، فاتجهت إلى شرب الخمر، ولا أستطيع أن أزعم حب الخمر، ولكنى أشربها عندما أرغب فى نسيان آلامى، وظللت على هذا فترة، ولكنى شعرت أن شرب الخمر طريقة حقيرة للنسيان فكرهتها، خصوصًا أننى أحيانًا عندما أكون مخمورًا أتذكر خطيئتى، وأجدنى إنسانًا أحمق يكذب على نفسه بشرب الخمر، وفى بعض الأحيان كنت أشرب كثيرًا ولا

أستطيع النسيان، بل كنت أرى ما حدث جليًا أمام عينى، وعندما كنت أنجح فى الوصول إلى مرحلة النشوة بطريقة مصطنعة، كانت تأتى بعدها مرحلة حزن.

وأحيانًا كانت حماتى تشكو إلى زوجتى من تصرفاتى، ولم تكن زوجتى تخبرنى بما تقوله أمها عنى. قالت لى أكثر من مرة: "إذا كانت تصرفاتك هذه بسبب أننى أخطأت فى شىء، فأرجو أن تخبرنى به"، كما أنها نصحتنى بأن أقلع عن شرب الخمر من أجل مستقبلى، وفى إحدى المرات بكت وقالت: "لقد تغيرت هذه الأيام"، ولو كان الأمر توقف عند هذا لهان، بل قالت أيضًا: "لو كان (كاف) لا يزال حيًا لما كنت تغيرت هكذا"، فقلت لها: "ربما تكونين على حق"، ولكن ما كانت تقصده من كلامها، غير ما قصدته من ردى عليها الذى جعلنى أشعر بالحزن فى قلبى، ومع ذلك لم أحاول أن أصارحها بما فى قلبى.

وفى بعض الأحيان كنت أعتذر لزوجتى، وكان يحدث ذلك غالبًا عندما أذهب لشرب الخمر وأرجع متأخرًا، فكنت فى صباح اليوم التالى أعتذر لها فكانت تضحك أو تصمت ولا تعلق، وأحيانًا كانت تنخرط فى البكاء، وسواء فعلت هذا أو ذاك كنت أشعر بحزن شديد لا يمكن تحمله، وكنت أعتذر لها وكأنى أعتذر لنفسى، وفى النهاية أقلعت عن شرب الخمر، لا لأنها نصحتنى بذلك، بل لأننى كرهت الخمر.

أقلعت عن شرب الخمر ولم يكن لدى بديل إلا القراءة، وكلما انتهيت من قراءة كتاب بدأت فى آخر، وكانت زوجتى تسألنى:

"لماذا تنهمك فى القراءة هكذا؟"، فأبتسم، ولكنى أشعر بالحزن فى داخلى أن زوجتى التى أحبها أكثر من أى شخص فى الدنيا لا تفهمنى، وكنت أشعر بالحزن أكثر لأن هناك طريقة تجعلها تفهمنى ولا أستطيع استخدامها، لقد كنت وحيدًا ومنعزلا، وكثيرًا ما كنت أشعر أننى منفصل عن كل شىء وكأننى الوحيد الذى يعيش فى هذه الدنيا.

وفى الوقت نفسه كنت أفكر باستمرار ودون توقف عن سبب موت "كاف"، وكان السبب الذى كنت أفكر فيه باستمرار هو ببساطة ووضوح "الحب"، فقد قررت أن السبب الذى جعله ينتحر هو فشله فى الحب، ولكن عندما فكرت بهدوء وجدت أن الموضوع ليس بهذه البساطة وأن الحب ليس السبب، ثم قلت إن السبب هو التناقض بين الخيال والواقع عند "كاف"، ولكنى لم أقتنع بأن يكون هذا سببًا كافيًا ليقتل "كاف" نفسه، وفى النهاية قلت لقد شعر أنه وحيد مثلما أشعر أنا الآن، فلم يجد أمامه مفرًا من أن يتخذ قرار الانتحار، وعندما توصلت إلى أن ذلك قد يكون السبب فى أن ينتحر شعرت بالرعب، فخطر ببالى أننى أسير فى الطريق نفسه الذى سار فيه، وجعلنى ذلك الخاطر أشعر بخفقان فى قلبى.

- ٥٣ -

بعد فترة قصيرة مرضت حماتى، وقال الطبيب بعد أن فحصها إنها لن تُشفى من مرضها أبدًا، وقمت بتمريضها بكل ما أوتيت من قوة، وكان ذلك من أجلها ومن أجل زوجتى التى أحبها ومن أجل

الإنسانية جمعاء، فقد كنت أريد فعل شيء ولكن لم أستطع لأننى كنت منعزلا عن الدنيا، وكان مرض حماتى فرصة لى لكى أفعل شيئًا جيدًا.

ماتت حماتى وأصبحت أنا وزوجتى وحيدين، فقلت: "من الآن فصاعدًا لن يكون لى إلا شخص واحد فقط أستطيع الاعتماد عليه"، ولأننى لا أستطيع الاعتماد على نفسى فقد نظرت فى وجهها ودمعت عيناى، وقلت لنفسى: "إن زوجتى امرأة تعيسة'، ثم قلت لها ذلك، فقالت لى "لماذا؟"، ولم تفهم ماذا كنت أقصد بذلك، ولم أستطع أن أشرح لها فبكت.

بعد أن ماتت حماتى عاملت زوجتى بطريقة جيدة على قدر ما أستطيع، ليس فقط لأنى أحبها ولكن معاملتى الجيدة لها تخطت مشاعرى الشخصية تجاهها إلى ما هو أشمل من ذلك، فقد شعرت تجاهها بما شعرت به عندما كنت أقوم بتمريض أمها، وأحست زوجتى بالرضا، فالمرأة تحب أن تُعامل بطريقة جيدة وأن تكون موضع الاهتمام ومحور الأحداث وهذا يجعلها تشعر بالسعادة أكثر من الحب المبنى على موقف إنسانى، وهى بذلك تختلف عن الرجل.

وفى إحدى المرات قالت لى: "ألا يمكن أن يتحد قلب الرجل وقلب المرأة ويصبحا قلبًا واحدًا؟"، فقلت: "إذا كانا شابين فيمكن أن يحدث ذلك"، ففكرت قليلا وكأنها تنظر إلى ماضيها وأنها ما زالت شابة، وتنهدت فى صمت.

ومنذ ذلك الوقت وينتابنى شعور بالرعب من حين إلى آخر،

وفى البداية كان يأتينى هذا الشعور من الخارج ولكن بعد مدة أصبح يأتينى من داخلى، وكلما فكرت فى ذلك قلت لنفسى فى شك: "ربما يكون قد أصابنى خلل فى عقلى"، ولكن لم أكن لأذهب إلى طبيب ليفحصنى.

شعرت بأننى اقترفت ذنبًا فى حق الإنسانية، وهذا الإحساس بالذنب جعلنى أذهب كل شهر إلى قبر "كاف"، وأمرض حماتى، وهو الذى جعلنى أعامل زوجتى بطريقة جيدة، كما جعلنى أشعر فى بعض الأحيان برغبتى فى أن يضربنى كل الناس بسياط، وأننى يجب أن أضرب نفسى بنفسى بالسوط، بل يجب أن أقتل نفسى، ولم أعرف ماذا أفعل حيال ذلك الشعور، فقررت أن أعيش وكأنى ميت.

ومرت عدة سنوات منذ أن قررت ذلك، وظلت علاقتى بزوجتى جيدة حتى الآن، وكنا نعيش فى سعادة لولا ذلك الشعور الذى فى داخلى والذى يؤلمنى والغامض بالنسبة لزوجتى، وعندما كنت أفكر فى إحساس زوجتى بذلك أشفق عليها.

- ٥٤ -

قررت أن أعيش وكأنى ميت، ومع ذلك كنت أتأثر فى بعض الأحيان بما يحدث فى الدنيا، وكنت أفكر فى اتخاذ موقف ولكن شيئًا ما قويًا يضغط على قلبى ويقيد إرادتى، يقول لى: "أنت رجل لا تستطيع عمل أى شىء"، فأتراجع عن القيام بأى عمل، وبعد مدة

أحاول أن أتعافى من هذه الحالة وأتراجع مرة أخرى، فأغضب وأقول لذلك الشيء: "لماذا تعوقنى هكذا؟"، فيقول لى وهو يضحك فى سخرية: "أنت تعرف لماذا، فلا تدعى أنك لا تعرف"، فأقعد ملومًا محسورًا.

من فضلك اعلم أننى كنت أعيش حياة هادئة ليس فيها مشكلات، ولكن فى داخلى كان هناك صراع مرير، ولاحظت زوجتى ذلك وشعرت بالضيق، ولكن ضيقى من نفسى أضعاف ضيق زوجتى منى كثيرًا، كنت أشعر أننى مسجون داخل نفسى ولا أستطيع تحمل ذلك ولا تحطيم ذلك السجن والخروج منه، ولأننى جبان شعرت أن أسهل حل لهذه المشكلة هو الهروب منها بالانتحار، وربما تسألنى لماذا وصلت إلى هذه النتيجة، أقول لك لم أجد أى طريق للهروب من المعاناة إلا الموت، فقد حاولت السير فى أى طريق آخر ولكنى فشلت.

كنت قد حاولت عدة مرات أن أسير نحو حتفى، الذى هو أسهل طريق للقضاء على معاناتى، ولكنى كنت أفكر فى زوجتى فكنت أتراجع، وبالطبع لم أرغب فى أن أصطحبها، ولأننى لم أستطع البوح لزوجتى بما فى داخلى من معاناة، فمن الطبيعى ألا أجعلها ضحية، وكنت أشعر بألم شديد أن أربط مصيرها بقدرى وأجبرها على ملاقاة مصيرى، فلى مصيرى ولها مصيرها.

وفى الوقت نفسه عندما أفكر فى أننى سرت إلى مصيرى فانتحرت، أتصور كيف يكون حالها فأرى أنها ستكون حزينة، وكيف لى أن أنسى ما قالته لى بعد وفاة أمها: "لم يعد لى من أعتمد

عليه إلا أنت"، وكنت مترددًا أن أقول لها إنه لا يمكن الاعتماد علىّ، ونظرت فى وجهها وفكرت عدة مرات أن أقول لها من الأفضل ألا تفكر فى الاعتماد علىّ، ولكنى أحسست بالعجز عن قول ذلك فسكتُ، ولكن بعد ذلك كانت تنظر إلى وهى تشعر أن شيئًا ما ينقصها.

أرجو أن تتذكر كيف عشت كما شرحت لك، وعندما التقينا فى "كاما كورا"، وعندما سرنا فى الضواحى، كنت كما كنت من قبل ولم يكن هناك شىء قد تغير فىّ؛ فقد كنت أشعر بالمعاناة، ولكنى كنت أحافظ على حياتى وأعيش من أجل زوجتى، وعندما تخرجت أنت وعدت إلى بلدتك كنت أيضًا أعيش من أجل زوجتى، وعندما وعدت بأن نتقابل فى شهر سبتمبر بعد انقضاء الإجازة الصيفية، لم أكن أكذب، فقد كنت أنوى لقاءك فعلاً، كنت أنوى لقاءك بعد ذهاب الخريف ومجىء الشتاء.

فى منتصف أيام الصيف الحارة ذهب الإمبراطور "ميجى" إلى العالم الآخر، فشعرت أن الحياة بدأت مع الإمبراطور وأنها يجب أن تنتهى مع رحيله، ولأننى كنت متأثرًا بالفترة التى عشتها فى عهد الإمبراطور، فوجدت أنه لم تعد هناك أهمية للبقاء بعد رحيله، وقلت ذلك لزوجتى بوضوح، فضحكت ولم تأخذ كلامى مأخذ الجد، وقالت مازحة: "إذا كنت تعتقد ذلك فإن رحيلك معه سيكون الحل لمشكلاتك".

لم أكن أتذكر فكرة "الرحيل مع الإمبراطور إلى العالم الآخر"، كانت تلك الفكرة مدفونة فى قاع ذاكرتى وكنت على وشك نسيانها نهائيًا؛ ولكن عندما سمعت زوجتى تقول مازحة: "إذا كنت تعتقد ذلك فإن رحيلك معه سيكون الحل لمشكلاتك"، تذكرت الفكرة، وقلت لها مازحًا: "سأرحل مع الإمبراطور إلى العالم الآخر احترامًا وتمجيدًا لعصره"، وهذه الفكرة كان يؤمن بها أناس فى الماضى وأصبحت الآن بالية، ولكنى اكتشفت فيها مغزى جديدًا، ومر شهر، وفى يوم دفن رفات الإمبراطور كنت جالسًا فى مكتبى، وأسمع أصوات المدافع التى كانت تشير إلى رحيل الإمبراطور إلى العالم الآخر وبالتالى انتهاء فترة حكمه، وعرفت بعد ذلك أن طلقات المدافع كانت تخبر الناس بأن القائد العسكرى إبان حكم الإمبراطور الراحل قد انتحر، وبينما كنت أمسك فى يدى العدد الخاص من الصحيفة وأقرأ فيها ذلك، قلت لزوجتى دون تفكير: "الرحيل مع الإمبراطور إلى العالم الآخر"، "الرحيل مع الإمبراطور إلى العالم الآخر".

وقرأت فى الصحيفة ما كتبه القائد "نوضا" قبل أن يرحل، كتب يقول إنه يفكر فى الموت منذ الهزيمة فى معركة الجنوب، وأحصيت الأعوام التى مضت على تلك المعركة حتى الآن، فوجدتها خمسة وثلاثين عامًا، وهذا يعنى أنه ظل طوال هذه الأعوام يفكر فى الموت وينتظر الفرصة، وفعل ذلك عندما مات الإمبراطور، فقلت لنفسى: "أيهما كان أكثر إيلامًا له؛ أن يعيش

خمسة وثلاثين عامًا يفكر فى الموت أم لحظة أن غرس السيف فى بطنه؟".

وبعد ذلك بأيام قررت الانتحار، وكما أننى لا أعلم جيدًا السبب الذى جعل القائد "نوضا" ينتحر، فإنك ربما لن تقتنع بالسبب الذى يجعلنى أنتحر، فإذا كنت غير مقتنع فذلك لأن كلا منا ينتمى إلى جيل مختلف، أو أن طبيعتنا التى ولدنا بها تختلف وهذا شىء لا حيلة لنا فيه، وعلى العموم لقد حاولت بقدر المستطاع أن أشرح لك فى هذا الخطاب وأصف لك ما حدث لى لكى تفهمنى.

سأترك زوجتى وأرحل، ولكنى مطمئن أن زوجتى لن تعانى عِوزًا سواء فى طعام أو رداء أو مسكن، ولا أريد أن أجعلها تشعر بالرعب، ولذلك سأموت دون أن أجعلها ترى دمائى، سأرحل عن هذا العالم خلسة دون أن تعلم، وأريدها أن تعلم أننى مت فجأة ميتة طبيعية، ولن أشعر بضيق إذا اعتقدت أننى فقدت صوابى.

مرت عشرة أيام على قرارى بالانتحار وقضيت معظمها فى كتابة هذا الخطاب لك، فى البداية كنت أريد أن أقابلك وأحكى لك، ولكنى قررت الكتابة، وعندما بدأت فى الكتابة أحسست بالسعادة لأننى استطعت أن أعبر عن نفسى بوضوح، ولم أكتب هذا الخطاب لمجرد التسلية أو أننى أحببت فعل ذلك، بل لأن ماضىَ هو الشىء الذى كون شخصيتى، ولأنه جزء من خبرات البشر، وأنا الوحيد الذى يستطيع الكلام عنه، وأنا أعانى لأكتبه بصدق لأنى أعتقد أنه سيكون مفيدًا لك وللآخرين، وقد سمعت منذ عدة أيام

أن الرسام "واتانابيه كاظن" قد أجل انتحاره أسبوعًا من أجل الانتهاء من لوحته "الخيال"، وربما يقول البعض إن إكماله لوحته شيء لم يكن له أهمية، ولكن ذلك مهم لهذا الشخص ويجعله يشعر بالرضا والراحة، وكذلك فكتابة هذا الخطاب مهمة لى وتشعرنى بالرضا والراحة.

والآن لقد فعلت ما رأيت أنه مهم لى فشعرت بالرضا والراحة، ولم يبقَ لى ما أريد فعله، ولذلك عندما يصلك هذا الخطاب لن أكون فى هذا العالم، سأكون ميتًا، وقد ذهبت زوجتى منذ عشرة أيام إلى خالتها فى منطقة "إتشى جايا"، كانت مريضة ولم يكن هناك من يمرّضها، فطلبت من زوجتى أن تذهب لتقوم بتمريضها، وكتبت معظم هذا الخطاب وزوجتى غير موجودة بالمنزل، وحينما كانت تعود إلى المنزل وأنا أكتب كنت أخفى الأوراق منها.

أريد أن يكون الماضى الخاص بى بما فيه من أمور جيدة وسيئة مرجعًا إلى الآخرين، ولكن أريد ألا تعرفه زوجتى، أريد منك ألا تخبرها بأى شيء عنه، أريدها أن تحتفظ بذكراى ناصعة البياض، وهذه هى رغبتى الوحيدة، ولذلك أريد منك أن تحتفظ بالأسرار التى صارحتك بها، وألا تخبر زوجتى بها وألا تعرف عنها شيئًا طوال حياتها.

خاتمة

تشير هذه الرواية إلى بعض السمات فى الشخصية اليابانية وأهم تلك السمات التى اتضحت بصورة جليه فى هذه االرواية الآتى:

أولاً الانتحار: رغم أن اليابان دولة متقدمة جدًا، وربما تكون الأكثر تقدمًا من أى دولة أخرى، لدرجة أن من يعيش فى اليابان يشعر أن مشكلة اليابانى أنه لا يلاقى أى مشكلات، أى أن مشكلته أنه ليس عنده مشكلات، وبالتالى لم يتعود على مواجهة المشكلات وبالتالى أصبح ضعيف النفسية، وعندما يواجه مشكلة ولا يجد لها حل من وجهة نظره يرى أن الحل الوحيد لهذه المشكله هو أن ينتحر، وعدم إيمانه بأى دين سبب كبير لقدومه على النتحار، فالأديان الموجودة فى اليابان مثل البوذية لا تحرم الانتحار، كما أن إيمانه بدين موجود فى اليابان كالبوذية، هو تدين شكلى ليس له علاقة بأسلوب الحياة وإنما يقتصر على طقوس الزواج أو الجنازة والدفن، ولكن عدم إيمانه بدين كأديانا السماوية يجعله ضيق الأفق، فيتجه إلى الانتحار كحل لمشكلة لم يجد لها حل، وليس مثلنا عندما نواجه مشكلة نقول إن الله موجود، وإنه سوف يساعدنا على حل تلك المشكلة، وفى الواقع إن إماننا بأن الله موجود، هو إيمان بوجود أمل فى حل المشكلة، وإن عدم إيمان اليابانى بدين

سماوى، هو فقدان لوجود أمل فى حل المشكلة، وبالتالى يجد ان الخلاص مما يعانيه بسبب عدم حل تلك المشكلة هو أن يموت، فإذا مات لن يشعر بآلام، ولذلك ينتحر، وإن هذا يوضح مدى أهمية الإيمان بدين يعطيك أمل فى استمرار الحياة وإمكانية حل المشكلات.

ثانيًا الصمت: إن اليابانى إنسان صامت، ولا يمكن أن تصل إلى ما فى داخله مهما تخيلت أنك قريب منه، فهو إنسان ذاتى، متقوقع، منغلق، وإن كان يبدو خارجيًا أنه لطيف وخفيف الظل، ومرح، لكن داخله كالصندوق الأسود، مستحيل أن تعرف ما فى داخله.

ثالثًا طول الصبر: إن اليابانى طويل البال جدًا، يستطيع أن يصبر مثلما فعل بطل الرواية، الذى صبر طوال عمره ليبوح بعد ذلك العمر الطويل بما فى قلبه، كما أن زوجته ظلت تصبر عليه بعد تغيره بعد تلك الحادثة طوال عمره.

رابعًا القرار المفاجئ: إن اليابانى دون سابق إنذار يتخذ قرار، ويتعجب من حوله من هذا القرار، فهو لا يتناقش مع أحد ممن حوله فيما يأخذ من قرارات بل يفكرداخليًا ثم يتخذ قرار.

خامسًا التنفيذ السريع: قبل أن يأخذ اليابانى قرار، يكون قد فكر فيه طويلاً، وعندما يأخذ القرار يبدأ على الفور فى تنفيذه.

سادسًا لا تراجع: عندما يبدأ اليابانى فى تنفيذ قراره لا يتراجع، ومهما حاولت أن تثنيه عن قراره فإنه لا يتراجع، وكأن قراره كطلقة بندقية خرجت ولا يمكن إيقافها.

ملحوظة: الترجمة من اللغة اليابانية مباشرة مع استخدام ترجمة من اللغة اليابانية إلى الإنجليزية كمرجع فقط.

المصدر

http://www.aozora.gr. ٢٠١٣

المرجع

Soseki Natsume Trnaslated by Edwin McClellan TUTTLE CLASSICS ١٩٦٩

ملخص السيرة الذاتية للمترجم

الاسم : ماهر أحمد محمد الشربيني، **محل الميلاد والجنسية** : مصر، **تاريخ الميلاد** : ١٩٥٩، **العمل** : أستاذ دكتور فى قسم اللغة اليابانية وأدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة، **البريد الالكترونى** : maher_fr٢٠٠٦@yahoo.co.jp، **الموقع الرسمى على الإنترنت**www.maherelsherbini.blogspot.com ، **التخصص الدقيق** : نحو اللغة اليابانية، **التخصص العام** : علم اللغة، **تخصصات ثانوية** : علم تعليم اللغة اليابانية، علم التعليم، **التاريخ الأكاديمى** : ١٩٨١ التخرج فى جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وأدابها، ١٩٨٥ طالب باحث فى جامعة تسوكوبا باليابان، ١٩٨٩ الحصول على درجة الماجستير فى جامعة هيروشيما كلية الآداب قسم علم لغة تخصص لغة يابانية، ١٩٩٢ الحصول على درجة الدكتوراة فى نفس الجامعة وفى نفس التخصص، **أهم الأعمال / معاجم** : الأول ياباني عربى، الماهر ياباني عربى، **بحوث باللغة اليابانية** : المتعدى واللازم فى اللغة اليابانية المعاصرة، أدوات التعجب فى لهجة شورى ولهجة يادورى، الاختلاف بين الأداة wa والأداة ga من ناحية التركيز، صيغة المبنى للمجهول، الاختلاف بين الأدوات ni وde وo ،دلالات صيغة المبنى للمجهول فى اللغة اليابانية الحديثة، تحليل أساليب التعبير فى اللغة اليابانية، بحث تقابلى بين تعبيرات المبنى للمجهول فى اللغة اليابانية والعربية، دراسة فى جهة اللغة اليابانية الحديثة ،**بحوث باللغة العربية** : أنماط ترجمات المبنى لمجهول فى اللغة العربية واللغة اليابانية، الوظيفة الأساسية للأداة wa فى اللغة اليابانية، **تقرير تعليمى** :مشكلات تعليم اللغة اليابانية فى جامعة القاهرة والحلول، **نوتة بحثية باللغة العربية** :الاختلاف بين أساليب التعبير باللغة اليابانية واللغة العربية، سمات اللغة العربية مقارنة باللغة اليابانية، **نوتة بحثية باللغة اليابانية** :أدوات التعجب فى لهجة وسط وجنوب أوكيناوا، **كتب مترجمة من اللغة اليابانية إلى اللغة العربية** :قوة أمى، الانطلاق من الصفر، الحياة حق للجميع، الغبى ينجح، مذكرات جرحى قنبلة هيروشيما، قصة البطل الياباني طوكوضا طوراؤ، الفتى الطائش، **أهم الألقاب** :الثانى عشر عالميًا الذى حصل على درجة الدكتوراة فى اللغة اليابانية، أول مَن حصل على درجة الدكتوراة فى كلية آداب جامعة هيروشيما، أول عربى يحصل على درجة الدكتوراة فى اللغة اليابانية، أعلى درجة علمية بين المتخصصون فى تدريس اللغة اليابانية على مستوى العالم العربى، أول عربى يصدر معاجم ياباني عربى.